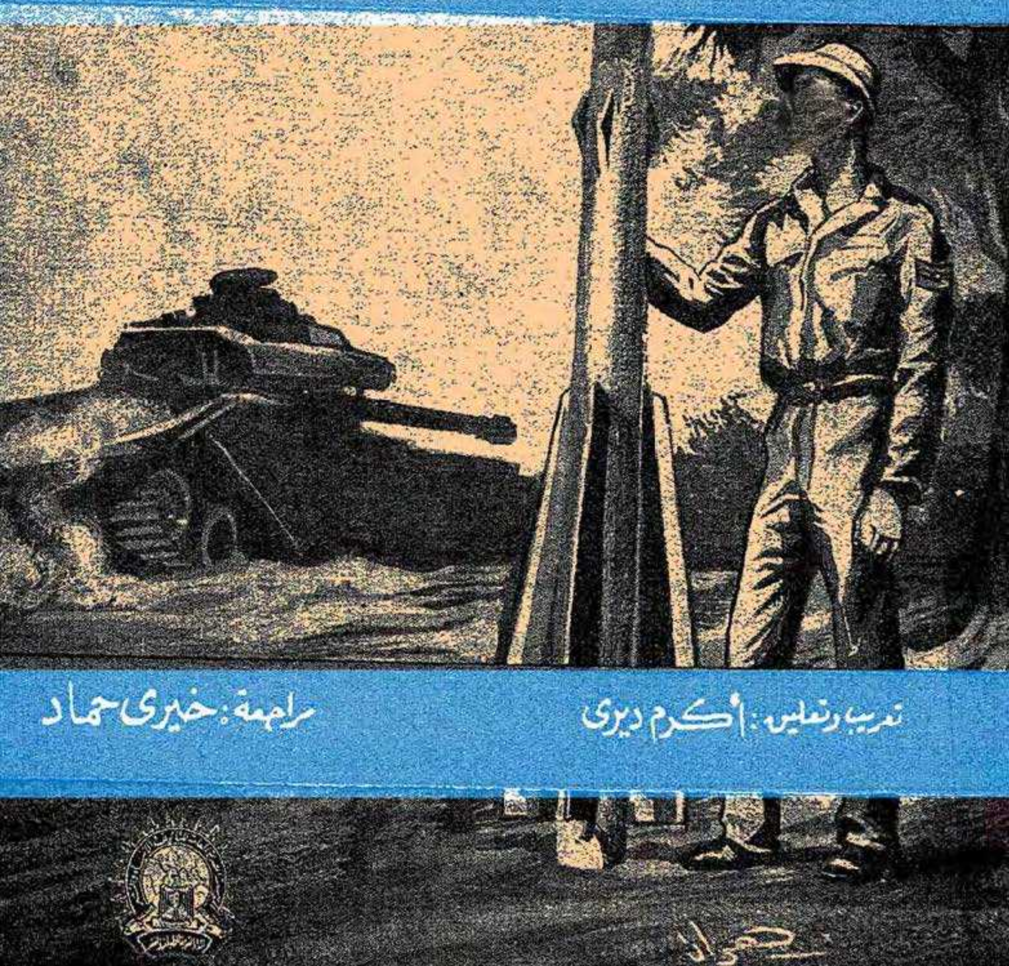
من الشرق والغرب

نظرة جديدة إلى الحرب

أيهما أفضل..؟ الدفاع أم الهجوم الرادع في معركة من غير دمار شامل

بقلم: ليدل هارت



تعريب وتعليق: أكرم ديري

مراجعة: خيري حماد

من الشرق والغرب

نظرة جديدة إلى الحرب

أيهما أفضل ؟! الدفاع أم الهجوم الرادع
في معركة من غير دمار شامل ؟!

بقلم :
ليدل هارت
تعريب وتعليق :
اكرم ديري

مقدمة المعرب

يعالج المؤلف فى هذا الكتاب الحرب الذرية واخطارها على الحضارة فى كلا المعسكرين ، بشكل عام ، كما يعالج موضوع الدفاع عن أوربا ضد الاتحاد السوفييتى ويبرز بعض المناطق المهمة ، التى لابد للدول الغربية من ان تنتبه اليها فى انشاء مخططات دفاعها • وفى مجال الحرب الذرية واخطارها ، يحاول المؤلف ان يستعرض حلولا أخرى تجنب العالم الدمار الشامل ، وتجنب الانسانية اخطار اخطاء صغيرة فى الحساب تؤدى بها الى الزوال الكامل •

والواقع ان للحدث الذرى أهمية كبرى ، ولابد لكل المهتمين بشئون السياسة وبالامور السوقية من ان يتفهموا تفهما كاملا كل الاحداث المرتبطة بالحرب •

والاستراتيجية ليست الا وسيلة ، وتحديد أهدافها هو من اختصاص السياسيين ، وتنبع أساسا من الفلسفة التى نريد أن تسود •

ومصير اى انسان (كما كتب احد الجنرالات الفرنسيين) يتعلق بالفلسفة التى ينتقيها وبالسوقية التى يحاول بواسطتها أن تسود هذه الفلسفة أو العقيدة •

ان السلاح الذرى الذى امتلأت به مستودعات كلا المعسكرين شيء رهيب •••• انه سلاح الدمار المطلق والعدم الانسانى والكونى ، ولهذا فمجرد مقارنته بالأسلحة الأخرى الموجودة فى متناول الأيدى ـ مجرد هذه المقارنة ـ خطأ لأن السلاح الذرى لا يمكن أن يقارن بأى سلاح آخر مهما اشتد طغيان السلاح الآخر وبغيه وقدرته على التدمير •••• ان أى سلاح يمكن ان يترك وسط خرائب الدمار ، التى يحدثها ، ممرات يعبر منها الانسان ليحيل رماد تلك الخرائب ويشيد به دنيا جديدة كما فعلت المانيا وروسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، أما السلاح الذرى فان رماد خرائبه لايصلح لأن يعاد به البنيان • انه رماد يزحف فوق العدم الكونى المطلق • انه رماد قاتل •••• رسالته المشئومة تنحصر فى كلمتين الموت دائما •

فالقنبلة الذرية المتوسطة والتى يبلغ وزنها ٢٠ كيلو طن تحدث قوة متفجرة مساوية لصلية ٤ ملايين مدفع عيار ٧٥ مم ٠ وقنبلة هيدروجينية متوسطة من مقياس (ميجاتون) تمثل صلية ٢٠٠ مليون مدفع عيار ٧٥ مم ٠ هذا من ناحية المقارنة بالأسلحة التقليدية٠أما من حيث الفاعلية ففاعليتها أقوى ، ولا يدخل فى ذلك حساب سقوط الغبار الذرى الذى يضاعف فى هذه الفاعلية ٠ وعلينا ألا ننسى أن هذه القنبلة أو أعدادا منها سيطلقها أفراد قلائل ، تقع على عواتقهم مسئولية اتخاذ القرار باستخدام السلاح الذرى واطلاقه ، وبالتالى تقع على عواتقهم مسئولية ابادة البشرية وحصد الحياة من فوق هذه الارض الخضراء الجميلة ٠

ان مهمة الدمار أصبحت سهلة ميسورة ، فبالأمس كان من الضرورى كى ندمر مدينة هامبورج وجود (١٠٠٠) طائرة ، وكى ندمر مدينة كمدينة برلين ، نحتاج الى مدفعية جيش بأكمله ، أما اليوم فيكفى لتحقيق هذه المهمة طائرة واحدة تقوم بمهمة فردية ٠ما أسهل ذلك !! ٠٠٠٠

ومن ناحية اخرى تتمتع هذه القوة النارية الهائلة بحركية شبه كاملة ، خلافا لثقل الكتل المسحلة التى كانت تتحرك فى الماضى ، ملتزمة بالطرق ومرتبطة بذيول ادارية طويلة ، بينما فى مكنة القوة الذرية أن تبلغ أى هدف فى العالم٠متحررة من قيود الالتزام المفروضة على أية قوة أخرى٠

وتبعا لذلك ، ومع الأساطيل الجوية ، التى تقوم بدوريات فى كثير من المناطق فى العالم ، محملة بالقنابل الذرية ، يعيش العالم فى قلق مستمر مشدود الاعصاب ، تحت رحمة الطيار ورحمة اعصابه ٠ فلو أخطأ الحساب ، أو لو توترت اعصابه وشك فى قدرة حكومته على معالجة أى موقف خطير ٠٠٠ أو بتعبير أصح ٠٠٠ لو أخطأ أى فرد من أولئك الافراد القلائل الذين ألقيت على كواهلهم هذه القوة الهائلة الجبارة٠٠٠٠ لتوجهت هذه القوة الى اهدافها وانفجرت ، وسيتبع ذلك حتما ٠٠٠٠ انتقام ذرى من المعسكر الآخر ٠٠٠٠ وفى هذا فناء العالم ودماره ٠

وفى الواقع ، لابد لكل معسكر من هذه المعسكرات من أن يملك قوة ضاربة كافية لاقناع المعسكر الآخر وردعه من استخدام قوته الذرية وهو ما يسمونه بالاستراتيجية الرادعة بشكلها الأولى المبسط : وهى محاولة التأثير مباشرة على ارادة الخصم دون المرور باختبار للقوة ٠ ومن هذه الزاوية تتطور استراتيجية معقدة ودقيقة ٠

فالمعسكران المتصارعان يملكان اليوم القوة الذرية وتتفوق روسيا فى مجال القذائف الصاروخية ، وكلاهما يملك قوة ضاربة رادعة ذرية ٠

وهذا يعنى ان العسكريين يتمتعـــان بحرية العمل · فلابد اذن من تتميم أثر الرادع الذرى بوسائل اخرى بغية الحد من حرية الخصم والتقليل ما امكن من هامش عمله ·

وهنا يعالج المؤلف فى سلسلة من الاسئلة التى يطرحها ، ويجيب عليها ، اهمية القوات التقليدية ، وهل تكفى وحدها للدفاع عن القـارة الاوربية ؟ وما هى القوات اللازمة للدفاع عنها ضد اى هجوم محتمل من قبل الاتحاد السوفييتى ؟ ويقترح فى الحلول التى يقدمها – كى تكون القوات المسلحة التقليدية فعالة – « الاعتماد بالدرجـــة الاولى على القوة البرمائية » ، ويناقش الدور التاريخى الذى لعبته هذه القوات ويحـاول تطبيق هذا الوضع ، على الامبراطورية البريطانية ، وعلى احتمال نشوب الحرائق والانفجارات فى كل مكان تحتله عنوة ضد رغبات شعبه ، فيجد ان وجود مثل هذه القوة ضرورة استراتيجية للحفاظ على القواعد الانجليزية المنتشرة فى كل انحاء العالم · وفى هذه القوة البرمائية المقترحة تتعاون مصالح القوات المسلحة الثلاث البحرية والطيران والجيش ، لتنشىء وحدة متكاملة تتعاون فيما بينها وتكون جاهزة للعمل فى كل مكان ، كما يقترح انسحاب بريطانيا من كل قواعدها العسكرية ، حفاظا على سمعتها ، ولتلعب دورا جديدا فى العالم · وهذه القوة التى يقترحها مشابهة لقوة الاسطول السادس الامريكى التى نزلت فى عام ١٩٥٨ فى بيروت بناء على طلب من كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية آنئذ ، لتقف الى جانبه ضـــد الانتفاضة الشعبية ·

وانى لألمح من تصريحات بعض المسئولين البريطـــانيين مؤخرا مثل هذا الاتجاه فقد دعا ويلسون فى خطابه الذى ألقاه فى بريد جبورت بولاية كونكيتكت الأمريكية بتـــاريخ ٣ من مارس (آزار) ١٩٦٤ « الى اقامة جيش بريطانى متحرك على درجة عالية من التدريب يستطيع أن يواجه أوضاعا كالأوضاع القائمة فى قبرص حاليـا وماليزيا وشرق افريقيـا ، بالاضافة الى أسطول يستطيع المساهمة فى دور بوليس دولى ·

ويؤكد ليدل هارت فى كثير من المناسبات أهمية الفرق المنقولة جوا كسلاح سوقى هام قادر على التحرك الى أية منطقة محدودة وبأسرع مايمكن·
ويقترح ليدل هارت الاستعاضة عن الأســـلحة الذرية التى يؤدى التكافؤ فيها الى العدمية الذرية ، بالغازات السامة · ويستعرض هذا الحل فى مقال طويل مدعم بالارقام والاحصاءات عن خسائر الغازات فى الحرب العالمية الأولى ·

والقسم الاعظم من الكتاب مكرس لدراسة استراتيجية الحلفـــاء فى

أوربا وللحرب الذرية، وللدفاع عن أوربا والدفاع عن الشرق الأوسط ، كما ان فيه جزءا هاما خصصه للتكتيكات الجديدة ، ومســـتقبل الدبابات وللقتال الليلى ، وللتنظيمات الجديدة ٠

والواقع ان استراتيجية الحلفاء وبخاصة الاستراتيجية الامريكية قد تبدلت وتطورت منذ ان كسر السوفييت الاحتكار الذرى وسبقوا فى ميدان الصواريخ ، وبدلا من أن يعتمدوا على الرادع الذرى ، هذا الرادع الذى استندت اليه كل خططهم السوقية فى اوربا ، راحوا اليوم يعتمدون على ما يسمى « برد الفعل المتدرج » بمعنى ان يكون لكل مستوى فى التهديد رد فعل مناسب ومتلائم معه ٠ وهذه السياسة الجديدة كانت نتـــائج خوف المعسكرين من الاستخدام الذرى ٠

فقد وصف الخبير السوقى الامريكى هنرى كيسنجر هذه الاستراتيجية الجديدة بقوله « كلما زادت نتائج الحرب النووية هولا تبـــاعدت الهوة بين التهديد الذى يطلق بقصـــــد الخوف والردع ، وبين الاستراتيجية الفعلية الواجبة التطبيق ٠ ان التزايد فى الطـــاقة التدميرية يؤدى الى تناقص فى جدية التهديد باستخدام هذه الطاقة » ٠

وقد انضم المرحـــوم كيندى رئيس الولايات المتحدة الامريكية الى صف هذه السياسة الامريكية الجديدة ، المرنة ، المؤمنـــة بالرد المرن ، ورفض مبادىء استراتيجية الانتقام الذرى الشامل ٠ وقد عرض الجنرال مكسويل تايلور هذه الاستراتيجية الجديدة بوضوح كامل واطلق عليهـــا « الرد المرن » ٠

وتعنى هذه السياسة ان لكل عمل يقوم به العدو ردا يلائمه ويتناسب معه بقوة كافية لتفشل عمله ٠ ولكن هذه الاستراتيجية الجديدة لاتعنى أن ننقل سلوكنا عن سلوك العدو ٠ فمن الممـــكن ان نرد على هجوم تقليدى بدفاع ذرى تعبوى ، وقد ندعمه بعمل ذرى سوقى محدود ٠ وهذا يعنى اننا سندرس كل حالة على حدة ونهىء لهـــا الرد الملائم دون أن نلجأ الى سياسة الانتقام الذرية الشاملة الا فى النهاية عندما لاتجـــــدى الحلول الأخرى ، ونصبح مخيرين بين العبودية والدمار ٠ غير ان هذه السياسة السوقية الجديدة ، لاتخلو من خصوم ، منهم أولئك الذين ستصبح بلادهم مسرحا لهذه المعارك المحدودة النطاق ٠ فهناك دول كثيرة لاتعجبها هذه الفكرة ، فكرة أن تكون بلادها مسرحا تجريبيا لعملاقين يجربان فيهـــا اسلحتهما ٠

وهناك اعتراض آخر على هذه السياسة هو احتمال توسعها لتنقلب

الى حرب انتقامية ذرية بين الطرفين ، حرب تنتهى الى الانتحار الشامل بطريقة « الهاراكيرى » ٠

ويقترح المؤلف فى سياق بحثه للدفاع عن أوربا انشاء منطقة مجردة للاسلحة الذرية فى وسط اوربا ، ويحاول احيـــاء مشروع راباكى وزير خارجية بولندا صاحب هذا المشروع المعروف ، والذى مازال حتى الان موضع مناقشة فى جنيف فى مباحثات نزع الســلاح ، والمعروف ان هذا المشروع يدعو الى تصفية مخازن الصواريخ والاســلحة الذرية الاخرى فى شطرى المانيا وفى بولندا وتشيكوسلوفاكيا ٠ ثم تحول هذا الاقتراح واخذ طابعا جديدا بعد تعديلات طرأت عليه وتســــتهدف التعديلات تجميد الاسلحة الذرية فى منطقة واسعة من اوربا ، لايجـــاد مانع ذرى بين المعسكرين المتصارعين أو ما يسمى بمنطقة مجردة من الاسلحة الذرية ٠

ان ليدل هارت يعتبر من النقاد العسكريين الأوائل فى عصرنا الحالى فهو يحلل ويلخص فى هذا الكتاب الوضع السوقى الحالى فى العـــالم ٠ ويناقش نقاط ضعف حلف الاطلسى ومحاسنه وبخاصة فى ميدان القوات الجوية والبرية التى تشكل درع هذا الحلف ٠ وان رأيه للحفاظ على السلم هو فى انشاء درع دفاعى ٠ اذ فى رأيه أن الدرع الدفاعى أجدى وانفع من انشاء سيف هجومى أو هجوم مباشر شـــامل déterrent حسب التعبير الفنى الذى يستخدمه السوقيون ٠

وقد أحببت أن أقدم الى القراء ـ هـــذا الكتاب باللغـة العربية ـ وبخاصة الى ضباط جيوشنا العربية ، التى تعدها الامة العربية لأشرف وأنبل معركة وهى معركة فلسطين ٠ فمؤلف هذا الكتاب ، يعتبره الجنرال غودريان مؤسس الوحدات المدرعة الالمانية ، ملهم الحرب الصاعقة الخاطفة ٠ وقد كتب الجنرال شاسان : ان الكابتن ليدل هارت هو اكبر مفكر عسكرى فى القرن العشرين ، فقد احدثت افكاره ثورة فى فن الحرب » ٠

لقد قمت بهذا الجهد المتواضع على ضوء شـعاع من الامل يبرق من خلال ظلمات مستقبل مجهول ٠٠٠٠ ، ووسط صمت الليالى المليئة بنزيف الأسى ، فى جو يحفر الأعصـــاب ويوشك أن يدمر الصبر ٠٠٠٠ قمت بترجمة هذا الكتاب واعداده يملأنى شعور ـ باننى أقدم بذلك بعض ما على من دين وضريبة مستحقة الأداء لوطنى الحبيب ٠٠٠٠ وطنى الذى سيحطم

كئوس الدم والدمار وينطلق مع موكب البنائين ليشيد صرحـــا يحمى الانسانية من الدمار والمدمرين ويجعل كلمة الله والحق والانسان هى العليا .. .هى العليا مهما بغى البغاة وطغى الطغاة ...

ورغم البغى والطغيان

ورغم تجار الدم والموت .

رغم هذا سنحيا ... احرارا سنحيا ... فالحياة الحرة ارادة الله ، ولا راد لارادة الله ....

القاهرة ١ مايو ١٩٦٤

اكرم ديرى

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب محاولة لتلخيص الوضع الاستراتيجي بوضعه الحالي ، ولكي نستخلص منه المعنى والدلالة . ولقد انقضت عشر سنوات منذ أن طبعت كتابي عن المسائل العامة المتعلقة بالدفاع ، ومنذ ذلك الوقت كتبت عدة أبحاث ومذكرات وزعتها شخصيا على المهتمين بشئون الدفاع . وخلال السنتين الاخيرتين ، كرست وقتي لاجراء سلسلة من الدراسات المتعلقة بالمشكلات التي بدا لي أنها تتطلب فحصا جديدا وتحليلا عميقا . ولقد كان غرضي من توزيع هذه المذكرات والابحاث اجراء مناقشة عامة لمحتواها من قبل المختصين . ثم طورتها تدريجيا ، واستخدمتها على نطاق واسع فيما عالجته من مواضيع في هذا الكتاب ، كما انني استعنت ببعض الوثائق الاساسية ذات العلاقة الدائمة بالمسائل الاساسية المعلقة ، في الحاضر وفي المستقبل .

وقد ناقشت متناقضات الحرب الذرية في كتاب صغير عنوانه « الثورة في فن الحرب » طبع بعد القاء القنابل الذرية الاولى على اليابان في عام ١٩٤٥ .

وقد بينت علاوة على ذلك الاخطار الطويلة المدى وآثار عودة الخنجر الذي نقذفه الى صدورنا ، هذه الآثار التي تبدت أمام ناظري ، على المستويات ـ السوقي (الاستراتيجي) والسياسي ـ والثقة بالاسلحة الذرية عند وضع سياسة ما والمحافظة على السلام .

وفي كتابي الدفاع عن الغرب ـ الذي طبع عام ١٩٥٠ ، طورت استنتاجاتي عن الآثار ـ وبخاصة فيما يتعلق بالقيود والمساوى ـ لاستخدام مثل هذه الاسلحة كرد على أي هجوم مباشر شامل رادع DETERRENT ووقع الغزو الشيوعي على كوريا الجنوبية بعد طبع هذا الكتاب بعدة أسابيع . وقد برهن تطور هذه الحرب ودلل على مفهوم التحديد والتقيد . وكذلك أظهرت الحرب في الهند الصينية نفس المفهوم .

ثم ازدادت قدرة السلاح الذرى بشكل هائل فى عام ١٩٤٥ بظهور السلاح الهيدروجينى ، والمسمى بشكل شائع « القنبلة الهيدروجينية » ولكن هذه القدرة لم تعد فى نفس الفترة ، احتكارا للأمريكيين ـ اذ أضحت روسيا فى الواقع فى المقدمة فى مجال القذائف الصاروخية للمسافات الطويلة ، التى كانت تسمح بالقيام بهجوم ذرى أكثر فاعلية٠

ان امتلاك العسكرين لاسلحة ذرية من شأنه أن يفقدها قيمتها ٠ وعلاوة على ذلك فان التفوق العددى الحاسم لا يؤمن النصر ، كما من شانه أن يفعل ذلك بالنسبة للأسلحة الأخرى ، ولكنه يعنى بكل بساطة الدمار الشامل ٠ وليس هناك درجات أهمية فى موضوع الانتحار ٠ (ويجب أن نذكر هذه الكلمة بصورة دائمة) ٠

ومن الصعب جدا فى الواقع أن ندرك هذا المفهوم ، بذهن تعود التفكير فى عبارات الاسلحة الاخرى ، وبالتالى ميال الى اعتبار الطاقة الذرية « تماما وكأنها كأى سلاح من الاسلحة الاخرى » ٠ ان النتيجة الطبيعية للتعادل الذرى هو العدمية الذرية ٠

وهكذا نجد أن السلاح الهجومى المباشر الشامل الذرى (١) الذى وضع فيه الغرب ثقة كبرى ، قد ذبل وتلاشى ، الا عندما يستخدم كسلاح هجومى ضد عمل من نفس نوعه (٢) ٠ ذلك لأنه عندما يثير استخدامه انتحار من استخدمه ، من الممكن عندئذ استعمال أشكال أخرى للهجوم ٠ دون أن نتوقع منها العواقب السيئة اذا كانت محدودة فى هدفها وعملها ٠

ان مثل هذا الوضع ، بشكل خاص ، يتيح مجالا متجددا ، للعمل ومتزايدا للضربة المفاجئة التى يستطيع احداثها بسرعة ودون اراقة للدماء تقريبا (الأمر الواقع) ٠

ان كتابى هذا مخصص لبحث مسألة تلاشى السلاح الهجومى المباشر الشامل ولما يحل محله ٠

ب ٠ ه ٠ ليدل هارت

---

(١) أى السلاح الرادع الذرى DETERRENT

(٢) يقصد المؤلف أن هذا السلاح لايمكن أن يعتبر سلاحا هجوميا مباشرا شاملا ضد غزو تقليدى بالقوة المعروفة الكلاسيكية ٠ ويمكن أن يعتبر كذلك عندما يستخدم الخصم السلاح الذرى ٠

(المعرب)

الجزء الأول

عودة إلى الماضي..

- ١ -

تطلعات روسية عام ١٩٥٢

ان هذه الصفحات قد كتبت فى نهـاية عام ١٩٥٢ ، للاجابة عن سؤال طرح علىفى ذلك الحينوهو كيف يواجهالروس الموقف الاستراتيجى وما هو الحل الذى أقترحه لو كنت رئيسا لأركان حرب الجيش السوفييتى ؟ وفى هذه الصفحات ما يساعد على تفهم الأخطـار الراهنـة فى ذلك الوقت وتفهم الوضع كما كان ، قبـل ازدياد انتشار الأسـلحة الذرية وظهـور القنبلة الهيدروجينية .

« لقـد قضيت كل حياتى محاولا أن اتنبـأ بما يوجد فى الجـانب الآخر من الجبل » . هــكذا قال ولنجتون محددا بدقة المهمة الأساسية للقائد العام ولرجل الدولة : التنبؤ بما يجرى خلف الجبهة وفى ذهن الخصم ، فالخيال عامل له نفس أهمية المعلومات وخاصة عندما تكون غير أمينة ولا موثوقة .

وعندما نعالج المشكلة التى تطرحها علينا روسيا ، نجد اننا نتعرض الى عوائق أصعب مما تعرضنا له فى الماضى .

فأول هــذه العوائق هو توحيــد موارد مادية هائلة مع التعصب . وان ديناميكية هذا الجمع تمثل الديناميت فى العالم الحالى .

والعائق الثانى يتألف من الطابع غير المفهوم والغامض للفكر الروسى والصعوبات التى يتعرض لها الغربيون فى فهم طريقته . ولقد تضاعفت الفوارق بين الروس وجيرانهم الاوربيين بسبب الانعزال واعتناقهم العقيدة الماركسية .

والصعوبة الثالثة هى نقص المعلومات الاكيدة عن الوضع فى داخل الاتحاد السوفييتى على المستوى السـياسى والعسكرى . وحتى فى عام ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ عندما كنا حلفاء لهم فى الحرب ضد هتلر ، كنا فى ظلام تام نجهل كل ما يتعلق بقواتهم أكثر من جهـدنا بكل ما يتعلق بالقوات الالمانية المعادية .

ففى الوقت الذى كنا نعرف فيه تقريبا مكان كل فرقة مدرعة المانية أو فرقة مشـاة أينما تحركت ، لم يكن لدينا الا فـكرة غامضة عن عدد الفرق التى يتألف منها كل جيش روسى • وهذه الفكرة هى أكثر غموضا اليوم عن ذى قبل •

لقـد أكد رجال الدولة وقادة الحلفـاء العسكريين مرارا أن الجيش الروسى الحالى يتألف من ١٧٥ فرقة • ان دقة رقم كهـذا تدعو للتفكير ، ولكنها لا تمثل فى الحقيقة الا افتراضا • ومن الممكن أن ينظم جدول دقيق ـ الى حد ما ـ عن قواتهم فى البلاد المحتلة والشيوعية • ولكن من الصعب معرفة قواتهم الموجودة بعيدا الى الخلف وفى قلب الاتحاد السوفييتى •

وليس ذلك فقط لأن شـبكة أمنهم كثيفـة جدا ولـكن المساحات الشاسعة تسهل الاختفاء • ان الستار الحديدى هو شاشة شفافة اذا ما قورن بالعمق الذى يتمتع به •

ان المعلومات التى نملكها عن روسيا اليوم فى عديد من المجالات ، أكثر تشويشا وغموضا مما يتصور الانسان وعنـدما تكون دقيقة تكون أيضا مشكوكا بصحتها • وهكذا اذا أردنا أن نجرب تحديد الأعمـال المحتملة لقادتهم فان أحسن طريقة لذلك هى أن نضـع أنفسنا مكانهم ، وأن نتخيل وأن نفحص من وجهة نظرهم الوضع على المستوى السوقى • ان الاستراتيجية مادة عملية وهى أقل تجريدا من النظرية السياسية • وهى أقل تأثرا بطرق التفكير الوطنية • وبالرغم من أن المهنة العسكرية كانت أحسن خادم للوطنيـة الا أن هناك طريقـة تفـكير دولية لدراسة مشاكلها •

فلو كنت رئيسا للاركان العامة للجيش الروسى لأحسست بارتياح عظيم بأن أمتلك مثل هـذه الاوراق الرابحة على المستوى العسـكرى وأن أرى حكومتى تملك أوراق اللعب نفسها على المستويات العليا •

ولن أرغب أبدا بأن أبادل هـذه الاوراق بالاوراق التى قـد يلعب بها الخصوم الغربيون ، على كلا المستويين •

ولكنى سأحذر ستالين من خطر حرب عالمية حتى يكون واثقا على الأقل من حل المشكلة الأولى وتتاح له الفرصة لحل المشكلة الأخرى (بالطبع فانى لن أعرض الموضوع بمثل هذا العنف ، عندما أتحدث مع ستالين • ولكنى سأذكره كم كان دائما نبيها وعاقلا وكيف كان يصرح بأنه سينتبه دوما كى لا يكرر الاخطاء التى ارتكبها هتلر) •

وفى الاعتبار الأول سأبرز ما يلى : « ينبغى أن يكون الاتحاد السوفييتى واثقا من قدرته على تدمير بريطانيا بسرعة ، وليس ذلك بسبب قوتها الذاتية فحسب ولكن نظرا لموقعها الاستراتيجى ، مقابل القارة الاوربية ، الذى يشكل قاعدة لهجوم معاكس أمريكى مدعم بشكل خاص بالقنابل الذرية .

« ثم علينا بعد ذلك أن نكون قادرين على أن تتهيأ لنا الفرصة السانحة لابطال هجوم معاكس أمريكى بوسيلة فعالة ولمدة طويلة » .

وسأقول له أى لستالين: « ان غزو أوربا وطرد الامريكيين منها ليس بكاف ، بل ينبغى ألا ندع لهم أية فرصة للهدوء كى يعترفوا بعدم كفاءتهم وليدركوا فى النتيجة أنهم سيخسرون أكثر مما سيربحون فيما لو بذلوا جهدا تدميريا متصلا مستهدفين بذلك اعادة احتلال نقطة استنادهم فى أوربا » .

وعندما أعرض عليه هذه النقاط الرئيسية أحاول جهدى تفصيلها. فبصفتى رئيسا للأركان العامة للجيش السوفييتى وكرجل سوقى موضوعى ، لن اسمح بأن أخدع نفسى بدعاية الحزب لمرحلة ما بعد الحرب والتى تتضمن أن بريطانيا لم تلعب الا دورا لا أهمية له فى انكسار هتلر. ويبدو لى واضحا أن الخطيئة الاولى التى ارتكبها هتلر والتى كانت قاضية عليه هى أنه لم يتخيل خطة غزو بريطانيا بعد أن احتل القارة الاوربية وانه لم يحضر هذه الخطة أبدا .

لقد كان هتلر مجبرا أن يلتفت الى الشرق لانه لا يستطيع اجتياز الـ PAS-DE-CALAIS الذى يشكل أكثر من خندق مضاد للدبابات ، منعه من استخدام وحداته المدرعة ذات الاثر الحاسم . وهكذا اضطر الى مهاجمة الاتحاد السوفييتى دون أن يكون قادرا على تركيز كل قوته . فخسر بهذا العمل الميزة الكبرى التى كان يتمتع بها بعد سقوط فرنسا . بل أكثر من هذا . لم يستطع أن يقهر بريطانيا فاصبحت « الجزيرة المتاخمة للقارة » قاعدة انطلاق للقوى القاذفة الامريكية ومركز وثوب للهجوم الذى حرر أوربا . فلا بد من أن آخذ بعين الاعتبار هذا الدرس فى خطتى الخاصة .

« فى عام ١٩٤٥ ، منذ انتهاء الحرب الكونية الثانية ، أمرت الاركان العامة اخراج بريطانيا خارج ساحة المعركة . وقد بدأت الدراسة فى الواقع أيضا فى وقت مبكر أكثر من هذا اذ ما أن تبدى أن تشرشل وروزفلت يحاولان سحق ألمانيا سحقا كاملا دون أن يتركا لها قوات

قادرة على تشكيل أى سد دفاعى حتى ظهر لنا واضحا أنهم يفتحون لنا الطريق الى غرب أوربا وجنوبها • كم كانوا عميا • وهكذا بدأنا نفكر بحل لمشكلة الجزيرة البريطانية التى أضلت هتلر وحيرته •

« وهكذا أتوصل بسرعة الى استنتاج يتحتم على روسيا بموجبه أن نخلق وحدات منقولة جوا ، هامة قدر الامكان ، بهدف القفز فوق ممر (البادوكاليه) (PAS-DE-CALAIS) والاسطول البريطانى ـ نظرا لان بحريتنا أقل كفاءة حتى الآن من بحرية هتلر فى انتزاع السيادة البحرية • لقد دربنا أثناء الحرب العالمية الثانية كثيرا من المظليين أكثر من أى بلد آخر ولكن كانت تنقصنا دوما وسائل النقل الجوى لاستخدامها فعليا • ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى دعانا الى عدم القيام بعمليات منقولة جوا ، اذ كانت هذه العمليات أيضا لا ضرورة لها لاننا كنا دوما فى أعقاب الجيش الالمانى وعلى ظهره • لقد كان مهما جدا أن نحتفظ بهذه الورقة الرابحة فى أيدينا وأن نسدل ستار النوم على خصوم المستقبل ، وأن ننسيهم خطر الغزو المنقول جدا •

« منذ انهيار المانيا ونحن ننشىء فرقنا المنقولة الخاصة ونبنى مقاتلاتنا ذات المدى البعيد مع أسطول النقل الجوى • ولقد ركزنا خلال الحرب العالمية الثانية كل جهدنا الجوى على الدعم التعبوى للجيوش بشكل خاص • ولم تكن مقاتلاتنا ملائمة لمواكبة مهمات جوية ضد الاهداف البعيدة •

« ومن المفهوم أن قوة محمولة جوا معرضة لكثير من المخاطر ومن الصعب نقلها الى هدفها عندما يعترضها دفاع جوى ولو كان معتدلا • ولكننا نملك عدة أوراق نلعبها • الاولى هى أن نلقى بقوتنا المحمولة جوا على انجلترا بغتة ، وقبل أن تعلن الحرب ، حتى نتمكن من ضرب الانجليز قبل أن يجندوا قواتهم • وعطلة نهاية الاسبوع تكون فرصة مواتية • وهم بشكل عادى دون مراقبة للجو من السهل ابطال قوتهم فى هذه الحالة • ويتبع هذا الهجوم عبر الجو تقدم عام لجيوشنا فى أوربا بشكل تتلاحق فيه الضربتان وتفتح كل ضربة الطريق للضربة الثانية • وهذا الشكل سيحرم العدو من الفرص المواتية التى تسمح له باستعادة توازنه •

لقد كنا قلقين نوعا ما ، فى العام الماضى ، عندما ظهر لنا من بعض الدلالات أن الانجليز واعون لخطر النزول من السماء ، مفاجأة ، وعندما أعادوا احياء (حرسهم الوطنى) لزمن الحرب ، كاجراء وقائى ، ولكن

الصحف البريطانية أشارت الى أن التجنيد لهذه المنظمة الشعبية كان كطاقة فرن يلتهم المجندين . وانى لا أعتقد أن هناك كثيرا من الاشخاص ممن يعيرون هذا الخطر الاهتمام اللائق .

« والانجليز ميالون بشكل طبيعى لاعتبار عملية من هذا النوع ، من وجهة نظرهم الخاصة ، ويحللونها بطرق تفكيرهم الخاصة . وان قادتهم العسكريين كانوا عادة حذرين للغاية فى الحرب الماضية. ويهتمون بشكل خاص بتأمين تموين واسع . وهم يقدرون بلا شك أنه ما من شخص يستطيع أن يقذف بقوة هامة ورئيسية على بعد مماثل للبعد بين الجزيرة البريطانية وروسيا ، وعلى جزيرة . لأن الاعاشة ستكون غير منتظمة ، وهم حتى الآن لم يشفوا من الصدمة التى أصابت هجومهم المظلى فى أرنهايم. وأكثر من هذا فان الانجليز يحافظون كثيرا على قواتهم لأن مواردهم البشرية محدودة ، وهم لا يمكن أن يتخيلوا الا بصعوبة القاء قوى عدة داخل موقع حيث يخشى أن ينعزلوا ويحاصروا ويبادوا قبل أن يحصل طيرانهم وبحريتهم على سيطرة بحرية وجوية كافية تسمح بتمرير تعزيزات ودعم عبر ممر البادوكاليه .

« ان الانجليز والامريكان لا يفهمون أن وحداتنا العسكرية الروسية معتادة على شظف العيش ، تقنع بقليل من الأشياء ، وتقاتل عدة أسابيع دون تموين يعتبره أى جيش غربىأساسيا بالنسبة اليه، ففرقنا الروسية تستطيع أن تتمون من البلاد التى تقاتل فيها . وأن خصومنا لا يمكن أن يفهموا أيضا أن بامكاننا أن نكون بلا شفقة ولا رحمة ، وأن رجالنا لا يتبرمون من القيام بعمليات انتحارية . وحتى لو اضطررنا الى تضحية فيلق أو فيلقين محمولين جوا فى نزول مماثل على انجلترا ، فانها لن تكون الا فرصة ناموسة اذا ما قورنت بالخسائر التى تعرضنا لها فى معاركنا الاولى ضد الالمان . ونحن لا نستطيع أن نتراجع أمام خسائر أولية هامة لان رأسمالنا فى اللعبة كبير وهام .

وهناك وسيلة أخرى لانزال قوة مباغتة فى انجلترا، قبل أن نحصل على السيطرة الجوية والبحرية ، بغزو تحت البحار ، بواسطة قوات منقولة بالغواصات . وقد درسنا هذا الاحتمال ، الا أنه يتطلب تطويرا هاما يحتاج الى كثير من الوقت ويسبب مضاعفات متعددة . وعلى ضوء التجربة المحدودة للبحرية الروسية والنتائج التى حصلت عليها بالمقارنة مع النتائج والخبرات التى حصل عليها الجيش فاننى لاأثق ثقة كبرى بأهليتها لادارة مشروع كهذا المشروع حتى نهايته وهدفه ، وهكذا ففى نظرى أن

الاغارة المنقولة جـوا هى أحسن رهان ، فى المسـتقبل القريب على كل حال ٠

ومع ذلك فان بامكان ستالين أن يرفض هذا الاقتراح ٠ اذ لم يكن مجبرا على الضرب أبدا اذا لم يكن واثقا تمام الثقة من النصر ٠ ان المغامرات التى كان يحبها هتلر لم تغريه أبدا ٠ بل أكثر من هذا ، فان فرصته الوحيدة هى أن يشن هجومه المفاجىء قبل أن يستنفد الانجليز احتياطهم٠ ولكننا نعرض أنفسنا بلا جدال فى هذه الحالة لنتحمل مسئولية البدء بالعدوان ٠ وقد يكون من الحـكمة ، ولاسـباب سياسية وسيكولوجية ، أن نرفع الستار بمعركة أرضـية على القارة الاوربيـة ، لانه بامكاننا فى هذه الحالة أن ندعى بسهولة أكثر أن هجومنا كان ردا على الذين انتهكوا حرمة حدودنا ٠ وستالين لا يفكر كرجل سوقى « استراتيجى » ولكنه يفكر بالاحرى كسوقى كبير «فى الاستراتيجية الكبرى» على أعلى المستويات حيث لا بد من أن توحد الاعمـال السـياسية والعسـكرية ٠ واذا رفض ستالين هذا الهجوم « المشوش ذو النتائج المجهولة ضد انجلترا ، فهناك عدة أشكال أخرى للهجوم لوحداتنا المنقولة جوا ملائمة للتعاون الوثيق مع هجوم برى ٠

« احدى هذه الاشكال هو قذف هذه القوى خلف جسور الراين ، بغية الاستيلاء عليهـا سليمة لعبور جيوشـنا مع تطويق القوى الحليفـة المرابطة الى الشرق من الراين ومنع وصول نجدات الحلفاء اليها ٠

« وهناك شكل آخر يتضمن قذف هـذه القوى على مضائق جبـال الالب التى تصل بين النمسا وايطاليا أوقذفها الى أبعد من ذلك على مضائق أذربيجان الايرانية التى تنفذ نحو سهول العراق٠ان العمليتين الأخيرتين لاتتطلبان الا قوى قليلة نسبيا ٠ وان بمقدورنا أن نقوم بهذه العمليات فى الوقت الحـاضر ، دون أن نضعف قوانا الضرورية لـكل من الهجمات الرئيسية ٠ ان مجموع قواتنا الارضية يزيد بشكل واسع عن احتياجاتنا الفعلية فى أوربا الغربية ٠

وباستطاعتنا أيضـا أن نجهـز الفرق الـكافية لدعم « الفـتاحة » ouvre-Boîte المنقولة جوا فى ايطاليا وفى الشرق الاوسـط ٠ وكلمـا اتسـع نطاق التهـديد الذى نحدثه نسـبب انهيـارا معنويا وارتبـاكا وتشوشا ٠

واذا أعطينا الوقت لنتابع تطوير قواتنا الجوية المنقولة جوا نصبح

قادرين على تنفيذ هجومين رئيسيين فى الوقت نفسه وعلى مستوى ملائم مع هجومين ثانويين ٠

« واذا بدا من الضرورى أن نختار بين جسور الراين ومضائق البلطيق فانى أحبذ هذه الاخيرة ، اذ أن من الضرورى أيضا أن نلقى بقوات الغواصات بكمية كافية فى المحيط الاطلنطى لنقطع خطوط التموين البحرية ، من أمريكا الى أوربا وبشكل خاص الى انجلترا ٠

« انى لا أعتمد كثيرا على حصار الغواصات لأحصل على القرار كما كان هتلر والاميرال دونتز يأملان ٠ وبالرغم من أننا فى عام ١٩٤٥ امسكنا بمخططات أحدث الغواصات ، الأمر الذى يمثل رأسمال هام ، الا أن هذا لا يعنى أبدا أننا نملك أسطولا للغواصات يساوى فى أهليته وخبراته الاسطول الذى كان يملكه الالمان ٠ ينبغى أن نعوض عن كثير من نقاط الضعف بين الاشخاص ٠

« وفى كل الاحوال ، ينبغى أن نحل مشكلة اخراج القاعدة الامامية الامريكية فى بريطانيا ، خارج المعركة ، منذ المرحلة الاولية للحرب ٠ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ عندما نهاجم الجزء الغربى من أوربا ونحتل الساحل ، يتحتم على القوى الجوية الروسية أن تحصل على التفوق الكامل على القوى الانجليزية والامريكية الموجودة فى جنوب بريطانيا ، فنصبح عندئذ قادرين على السيطرة بشكل كاف على ممر البادوكاليه ليجتازه جيش الغزو الروسى ٠ فى عام١٩٤٠ وفى زمن « المعركة الجوية فوق سماء بريطانيا » لم يكن هناك الا هامش بسيط كى يربح هتلر المعركة ٠ ولكنه لم يكن مهيئا للمشكلة التى كان عليه أن يعالجها، اذ لم يكن يملك وسائط النزول المدرعة ـ الضرورية لنقل وحدات الانقضاض ـ فى حين أننا تمتعنا بالوقت اللازم والكافى لبناء هذه الآلات بكميات وفيرة ٠

« واذا لم ننجح فىالحصول على السيطرةالكافية على ممرالبادوكاليه ليجتازه جيش غاز قادر على اكتساح كل شىء ، ينبغى علينا أن نكون قادرين على أن نلعب أوراقا أخرى ٠

« احدى هذه الاوراق هى قذف ذرى يقوم به طيراننا أو بقذائف موجهة ذاتيا من النوع الذى نصنعه فى الوقت الحاضر ٠ والورقة الأخرى هى القذف الجراثيمى ٠ وبما أن انجلترا تشكل جزيرة فسيقل خطر عودة هذا القذف علينا كخنجر يوجه مرة ثانية الى صدورنا ٠

« ونظرا لاننا نتمتع بميزة هائلة فى مجال القوىا لمخصصة للهجوم

البرى نستطيع أن نحتفظ بهذه الاوراق فى متناول ايدينا يستعملهـا الامريكان ·

« لانه من المؤكد أن الحلفاء في أوربا سيحتجون بشـدة اذا أخذت أمريكا مبادأة استخدام الاسلحة الذرية ضد المدن ، نظرا لانهـا تشكل أهدافا كثيرة التأثير بالقذف الذرى ، فى حين أننا نعرف كيف نمسك أنفسنا عن استخدام هذا السلاح · وهناك أيضا خطر من ضبط النفس بهـذا الشكل الا أن الربح من ذلك قد يكون أكبر وأوسع · وهناك أيضا مشكلة بدء قصف انجلترا ، بعد أن تصل قواتنا الى الساحل البلجيكى أو الفرنسى بوساطة قواتنا الجديدة للقصف الاستراتيجى ·

« ومن الحيوى بالنسبة الينا ، فى كل الظروف ، أن تباد انجلترا بسرعة ، وأحسن وسيلة لتحقيق ذلك هى أن نحولها الى بلد لا يمكن أن يسكن وذلك بتحويلها الى جزيرة جرداء · وهذا الحل أسهل علينا من أن نحول الشعب الانجليزى الى اعتناق الشيوعية · ونستطيع احتلالهـا واعادة الاسكان فيها تدريجيا اذا رغبنا فى ذلك · بالرغم من أن هناك حلا يتضمن أن نجعل منهـا مخفرا أماميـا على المحيط الاطلنطى ، تحتله فقط حامية روسـية · ولا بد من فحص هـذه المسائل من قبـل سوقى علمى بأعصـاب هادئة ودم بارد · ان الانجليز والامريكان أنفسهم لم يسمحوا للشكوك الانسانية التى يتبجحون بها من أن تمنعهم من تخريب المانيا وتدميرها دون أن يهتموا بالنتائج الانسانية· ان التخلص التام من المعارضة هو الوسيلة الفعالة أو بالاحرى الوسيلة الوحيدة الفعالة لحل مثل هذه المعضلات فى النهاية · وقد فهم النازيون هذا ، مع أنهم قاموا بمثل هذا العمل سرا وبشكل مخز أفسـد عليهم كل شيء · وفى منطق بارد على الماركسيين أن يكونوا أكثر من النازيين المتحمسين والعاطفيين فاعلية ، وانصاف الجماعيين أو اشباه الجماعيين (المؤمنين بنظام القيادة الجماعية) ·

« وفى الوقت الحاضر الذى أخذت فيه أمريكا جنوب أوربا والشرق الأوسط تحت جناحها كما أخذت أوربا الغربية ، ينبغى علينا أن نقبل أن الفرص التى تتفتح أمامنا لتحقيق حروب محلية لا تسبب حربا عالمية قد تضاءلت فى كل مكان · وهكذا اذا تطورت أية قضية الى عمـل عسكرى فنحن نستطيع أن نعين له أهدافا محدودة · انه الكل أولا شيء أبدا · وانه لأكثر من الضرورى من ناحيتنا أن نبيد بريطانيا العظمى وأن يعطى هذا الهدف الاولوية فى مخططاتنا ·

« واذا أبيدت بريطانيا العظمى فلن يبقى فى أوربا شيء يقلقنـا ·

ان الفرنسيين فقراء فى تجهيزاتهم بسبب التأخير فى الانتاج وبسبب عدم فاعلية انتاجهم الخاص • كل هذا لن يسمح برفع معنوياتهم فوق المستوى الذى كانت عليه فى عام ١٩٤٠ • ان الألمان الغربيين لم يسلحوا بعد ، وحتى عندما تنتهى المجادلات المتعلقة باعادة تسليحهم فانهم سيكونون بحاجة الى سنتين على الاقل قبل أن تتحقق مســـــاهمتهم المقررة للدفاع عن أوربا باثنتى عشرة فرقة .

« وفى الوقت الذى استطعنا فيه قلب جزء هام من جيشنا الى قوى ميكانيكية ينبغى أن نكون قادرين بسرعة كبيرة على اجتياح الجزء الاكبر من القارة الاوربية • ان حلف شمال الاطلسى يتشـــكل من عشرين فرقة بعتادها الحربى ، فى حين نملك نحن ثلاثة أضعافها لنشكل رأس حربتنا الميكانيكى، ووحدا تاأكثر بكثير لتتبعها ، فى حين احتياط دول حلف شمال الاطلسى ناقص وبامكاننا أن ندعم تقدمنا اذا كان ذلك ضروريا بالقاء عدة قنابل ذرية أو بالتهديد باستخدامها • وحتى لو تعرضنا الى بعض الفشل على التخوم (كاسبانيا المطوقة بالجبال أو شـمال افريقيا المحاطة بالماء) فان هذه التخوم لا تقدم التسهيلات لهجوم معاكس أمريكى كما تقدم له بريطانيا • وبالاضـافة الى ذلك فليس من الصعب خلق اضـطرابات فى افريقيا بين السكان المواطنين لتأخير تطوير القواعد الامريكية حتى اللحظة التى يمكننا فيها مهاجمتها ، وهم فى حالة غليان فى الوقت الحاضر •

« ان الفرصة السانحة متاحة أمامنا اذن لـكى نبعد الامريكيين الى مسافات بعيدة ولزمن طويل نوعا ما كى نضعف من حماستهم اذا دمرت بريطانيا • وستلعب دعايتنا دورا مساعدا عنـدما ترفع هذه النغمات » « اذا أرسلتم أولادكم الى أوربا فلن تروهم أبدا ،وستقدمون لهم تذكرة الذهاب الى معسكرات الاعتقال فى سيبيريا » •

« ومن المؤكد أننـا سنتعرض للقصف من مسـافة بعيدة من القارة الامريكية• ولكن الفرصة سانحة لردهم أوعلى الاقل أن نقصرأمد القصف، أكثر مما لو كانوا يقصفوننا من قواعد موجودة فى أوربا أو قريبة منها. وهناك أكثر من سبب يدعونا للتساؤل فيما اذا كان الامريكيون بمدنهم الكثيفة المفتوحة للهجوم يقبلون بعناد أن تستمر هـذه المباراة فى مجال القذف الذرى بمثـل هـذه الشروط • وستخسر فى مثل هـذه المبـاراة الحضارات النامية والمتطورة ، وحتى لو القت قنابل أكثر فانها ستتعذب أكثر من الحضارات الاخرى •

« ان حلفاء أمريكا فى أوربا لن يقبلوا هذا السباق الذرى بسرور •

وقـد يرغبون فى أن تحميهم أمريكا وتدافع عنهم ضـد الغزو الروسى • ولكنهم لن يستسيغوا فكرة تحرير جديدة من الغزو بمعركة ذرية مدمرة• وفى مثل هذا الاحتمال لا بد لنا من أن نشاركهم هذا الاسى •

«ولكى نتجنب جنون الاستمرار فى مباراة بالقصف الذرى، تسبب الرعب والارتباك ، قد يكون من المستحسن بالنسبة الينـا ، فى المرحلة الاولى،أن نجرى عدة غارات ذرية على مدينة نيويورك وبعض المدن الامريكية الاخرى • وهى فعلا داخل دائرة عمل قاذفاتنا : TUG75 ,T U—4—S— التى هى أقدم منها ولكنها كثيرة وهى تشبه الطائرة الامريكية ، وتستطيع أن تبلغ أهدافها وراء المحيط الاطلنطى • ولن يكون بامكانها أن تعود الى قواعدها مما يجعلهـا قادرة على اجراء عملية التفـاف هامة فى تقربها من أهدافها • وقد اعتاد طيارونا اعتبار المهمات « الانتحارية » شـيئا عاديا يحتمه الواجب الوطنى • كما أن بامكانهم أن ينزلوا فى أمريكا الوسطى فى حين لن يجد الطيارون الامريكيون فرصا سانحة ليجدوا ملجأ لهم فى أوربا عندما نحتلها •

« ومع ذلك فانى أعارض فى استخدام كمية كبيرة من القنابل الذرية فى غارات ارهابية الى ما وراء المحيط الاطلسى قبل أن يزداد عدد القنابل المكدسة المخزونة • وفى المرحـلة الاولى من الحرب سنحتفظ بأكبر عدد منها لاستخدامه ضد انجلترا أو ضد الدول الاوربية الاخرى التى ستقف ضدنا أو تتمرد علينا •

« ان انجلترا والدول الاخرى الدائرة فى فلك أمريكا تشكل أهدافا كثيفة • ومن الممكن بسهولة بالغة أن نشلها ونبطل حركتهـا • أما نحن فبامكاننـا أن نبقى أحياء بعـد أن نتعرض الى خمسـة أو عشرة أضعاف القنابل الذرية التى نلقيها على أعدائنا • كل ذلك بفضل بلادنا الشاسعة الواسعة ، وبسبب فطنة سـتالين الذى وزع تركيبنـا الصناعى على كل أجزاء الاتحـاد السوفيتى وكذلك بفضـل نمط الحيـاة البسيط والذى لا يعتمد على الابهة ولا على الكماليات لشعبنا •

« ولكنى أفضل حتمـا أن اتجنب المخاطرة وأضرارها التى تبدو لى ضعيفة نسبيا • وانى أريد أن أمتنع عن أى قصف ذرى طيلة الوقت الذى يتردد فيه أعداؤنا فى استخدام هذا السلاح • اننا نتمتع بكثير من المزايا فى مجالات متعددة• فان قوانا البرية وقوى المرافقة الجوية أكثر من كافية كى تسمح لنـا بالضرب فى آن واحد على كل مسـارح العمليات • ولقد

حصلنا فى كل مكان على تفوق عددى كبير على خصومنا ، ومن المرغوب فيه أن نتوصل الى استخدام ملائم لفرقنا الكثيرة غير الميكانيكية .

« وفى الشرق الأقصى ، سأستخدم جزء من جيشنا الرابع ، الموجود بقرب مضيق بهرنج ، ليكون جاهزا للهجوم ضد الاسكا . وليس هذا الاتجاه ملائما لعملية أساسية . ولكن ضربة توجه هنا ، حتى لو كانت ضعيفة ستوقظ الشكوك والخوف لدى الامريكيين والكنديين وتسبب نبعثرا كبيرا فى قواتهم المخصصة للحفاظ على أرضهم الخاصة.

« أما اندفاعى الرئيسى فسيتوجه من ساخالين والكوريل ، معززا أو مدعما أقرب ما يمكن بقواعدنا على اليابسة باتجاه اليابان . ولا يوجد هنا الا مساحة بسيطة من الماء وينبغى أن يكون طيراننا قادرا على التفوق فيها . وأكثر من هذا فان لدينا ثمانية فرق محمولة ملائمة. فى عام ١٩٥٠ عندما انقضت الفرق الامريكية فى اليابان على كوريا كان بودى أن ألقى بقواتنا المنقولةجوا على اليابان وأن أجعلالقواعد الامريكية فيها تستسلم. وكان هذا المشروع هو الرد الكامل على حركاتهم المتهورة والمندفعة لمساعدة كوريا الجنوبية . وكم كان مسليا وجميلا أن نضع ماك آرثر نفسه فى الكيس ... ولكن ستالين قدر أن من الأفضل على طول الزمن ، تشجيع الامريكيين على ارسال قطعات كثيرة الى كوريا كى يتورطوا فيها ونضعف قدرتهم الدفاعية فى مواقع أخرى أكثر أهمية .

انى أرى كم كان صاحب فراسة وادراك لاننا فى النهاية ملكنا فرصا كبيرة لاجتياح أوربا فى حين لن نلاقى الا مقاومة ضعيفة باندفاعنا عبر ايران والعراق نحو الخليج الفارسى وساحل البحر الابيض المتوسط. ان تركيا تشكل قلعة دفاعية جامدة الا أنها اليوم ليست على الممر ولم تحصل على التجهيزات الهجومية الضرورية لتمنع تقدمنا وراء جناحها الشرقى أو جناحها الغربى فى أوربا . ان غزو الشرق الاوسط لن يسمح لنا باستثمار موارده البترولية بسرعة ولكنه يدفع خصومنا الرئيسيين الى مسافة بعيدة ويتيح لنا أحسن تغطية لحقولنا البترولية فى القفقاس ومنشآتنا الصناعية فى الاورال .

وفى الوقت الحاضر تتعرض هذه المنشآت الى هجوم جانبى .

« ان السيئة الوحيدة لاثارة كوريا جديدة فى الشرق الاوسط هى أن هذا يعنى فى الوقت الحاضر احتمال نشوب حرب عالمية . ولهذا فكرت فى المكان الذى نستطيع منه محاولة اجراء حركة مع احتمال ضعيف للتدخل الامريكى . ويبدو أن الهند هى المكان المناسب . اذ ليس من

الصعب أن ندفع الهند والباكستان الى الاقتتال على كشمير ، وعندما يتورط الباكستانيون ويفقرون ، يصبحون ميالين الى قبول مساعدتنا . وسيلاقى الانجليز والامريكان صعوبة في مساعدة الهند فى قتال يبدأ على هذه القواعد وبذلك نجد أنفسنا بوضع جيد . وينبغى أن تصل مساعدتنا بالطبع ، عن طريق الجو . ان عصر الطيران الى جانبنا ، اذ يسمح لنا بتحويل أحلام روسيا القيصرية الى حقائق مجردة بالنسبة لروسيا السوفيتية . وان نجدة الباكستان وانقاذها يفتح لنا الطريق لنخلف الانجليز كما حل هؤلاء محل المونغول على رأس الهند . وبهذا الشكل نتمكن من التسلل الى جنوب شرقى آسيا قبل حلفائنا الصينيين المقيدين فى الوقت الحاضر والخطرين بسبب طاقاتهم .

ان الفرص كبيرةجدا للتقدم فى عدة اتجاهاتدون اثارة حرب عالمية، الامر الذى ينبغى أن أحافظ عليه بشكل عاقل أطول وقت ممكن . وهذا لا يعنى أن نخاف . وفى الواقع ، عندما أكون على ثقة من أن الامريكيين جاهزون لتوضيح الموقف فى اليوم الذى يتقدم فيه تسليحهم ويحاولون ارغامنا على اختيار بين التراجع والحرب ، فانى أميل لصالح القتال لاننى لست قلقا من هذا الاحتمال .

« ومن العجب أن نرى الامريكان يدعون بأنهم سيربحون الحرب فى النهاية مهما طالت لان انتاجهم من البترول والفولاذ أعلى من انتاجنا . ويبدو أنهم لا يريدون أن يفهموا أننا نحتاط بكميات هائلة من هذه المواد لتسليحنا نظرا لان استهلاكنا المدنى محدود واقل منهم بكثير . وبالاضافة الى ذلك يبدو من السخف أن نتصور حربا طويلة يتقاذف فيها الطرفان القنابل الذرية . ان قنبلتين بسيطتين من عيار أولى قد أخضعتا شعب اليابان المعروفبصلابته ولذلك فانى لاأتصور كيف تقف المدينة الصناعية الامريكية طويلا أمام اختبار من هذا النوع .

وهكذا يمكن أن نستخلص عدة استنتاجات ملائمة جدا من تحليل وضعنا بالمقارنة مع وضع العدو . ومع ذلك ، على أن أحترس من أن أنصح بالقيام بالغزو اذ أن هناك عوامل كثيرة لا يمكن ادخالها فى حسابنا فى التطور الحالى للتسليح .

« لا يمكننا أن نكون واثقين كل الثقة ، حسب مقاييس ستالين من تحقيق الشرطين الاساسيين الذين أشرت اليهما عند البدء . فبناء على ماتقدم ــ قد يكون من الأفضل أن نتابع سياستنا واستراتيجيتنا فى الحرب

الموهة التى يطلق عليها خصومنا « الحرب البـــاردة » . وهناك كثير من الدلائل على نجاحها المطرد والمستمر .

وكجندى سوفيتى فانى قانع كل القناعة بحقيقة حكمة لينين التى طبقها ستالين بفاعلية عظيمة :

« ان الاستراتيجية الصحيحة هى التى تتضمن تأخير العمليات الى الوقت الذى يسمح فيه الانهيار المعنوى للخصم للضربة المميتة بأن تكون سهلة وممكنة » .

- ٢ -

التطلعات الامريكية الجديدة عام ١٩٥٢ (١)

« لقد كتبت هذه السطور فى نيسان - أبريل عام ١٩٥٤ - بعد انفجار أول قنبلة هيدروجينية وتطبيق عقيدة « الانتقام الجماعى » واعلان الخطة الامريكية الجديدة . ولقد تأكدت التنبيهات والانتقادات أثر ذلك على نطاق واسع ، أكدها وثبتها تسلسل الأحداث • وقد تخدم اعادة طباعتها على البرهنة بأنه لم يكن هناك حاجة لموهبة استثنائية فى التنبؤ لنتعرف على نتائجها المحزنة والتى كانت طبيعية فى ذلك الوقت • »

ان انفجار القنبلة الهيدروجينية فى الربيع قد القى ظلالا على العالم الحر • فأولئك الذين يعتقدون انها مخصصة للحماية والدفاع قد أحسوا بقلق يتزايد باستمرار •

وكان قلقهم عتابا مصبوغا بالازدراء الأسود للقرار غير الناضج والسريع الذى اتخذه قادتهم عام ١٩٤٥ ، عندما اطلقوا الشيطان الذرى من عقاله ، وكذلك بالنسبة للقرار الذى اتخذه الرئيس ترومان عندما أمر بدراسة (القنبلة الهيدروجينية) •

ويمكن اعتبار القنبلة الهيدروجينية كالثمن المدفوع لهيروشيما • وقد حررت هيروشيما النابض الذى يوقف حركة التقدم الذرى اذ وجد فيها رجال الدولة المسئولون الوسيلة البسيطة السهلة لتأمين النصر والسلم العالمى • ويتحمل العالم اليوم نتائج اهمال البحث الدقيق والدراسة العميقة لهذه المشكلة • والمشكلة العاجلة والأكثر أهمية الآن التى نريد لها جوابا كى ننير عقولنا هى المشكلة التالية : من أين أتت التسمية ؟ « التطلع الجديد » للسياسة الاستراتيجية العسكرية ؟

ان هذه المسألة الحيوية ترتبط ارتباطا وثيقا بوصول القنبلة الهيدروجينية • لقد أعلن البانتاجون قبل عيد نويل انه أعد برنامجا

---

(١) PERSPECTIVES

عسكريا جديدا يتضمن فكرا استراتيجيا جديدا وان هذا البرنامج قد صدق عليه . وقد أبرزت الحسابات الاولى أهمية المزايا الاقتصادية لهذا البرنامج . ففى عام ١٩٥٧ سيتناقص حجم القوات المسلحة للولايات المتحدة الامريكية ، كما يؤمل من هذا البرنامج ، من ٣٫٤٥٠٫٠٠٠ الى ٢٫٨١٥٫٠٠٠ ، أى أنه يقتصد بما يعادل ثلثى المليون من الرجال ، أى ١٨ ٪ من النسبة العامة . وفى الجيش البرى سيكون النقص بمقدار ٣٠ ٪ . يعنى كل هذا اقتصادا فى الميزانية المالية بما يعادل من ٤ الى ٦ مليار دولار سنويا .

والاقتصاد فى النفقات ينبغى أن يرتبط بفاعلية القوات وقدرتها ، فسيبقى حجم الجيش البرى عشرين فرقة لكنها مضغوطة وكذلك بالنسبة البحرية . أما الطيران فسيعزز فى الحاضر بقوى جاهزة للاشتراك فى العمليات وله الافضلية الاولى فى هذا البرنامج .

ولقد كان الانطباع العام فىهذا المنهاج الجديد جيدا ومثيرا للضجة. ولكن أى واحد يملك بعض المعلومات دون أن يكون لديه طريقة معينة للتفكير ، يعرف بعد أن يفحص تنظيم القوات المقاتلة أن لديها ميلا دائما للتوسع والتضخم . وكان هناك مجال واسع للقضاء على هذا التضخم ولاجراء التطوير والتحويل أيضا .

ولكن فى كانون الثانى ـ لبست السياسة الجديدة الامريكية مظهرا قابلا أكثر للنقاش عندما أعلن دالاس « ان الدفاع المحلى ينبغى أن يعزز بالهجوم المباشر الشامل الرادع لقوة ضخمة للانتقام » وحدد ملامح السياسة الجديدة بأنها قرار رئيسى يستند أساسا الى طاقة مهمة للانتقام بوسائل وفى أمكنة من اختيارنا » ، بينما فى منتصف شهر مارس (آزار) ظهرت الخطة الامريكية الجديدة مرعبة ومخيفة لأعين الاوربيين .

نقلت الصحافة تصريح نائب الرئيس نيكسون ويقول فى هذا التصريح ما يلى : لقد طبقنا مبدأ جديدا : سنعتمد فى المستقبل على قوى انتقامية جماعية ومتحركة بدلا من أن نترك الشيوعيين يقضمون فينا حتى الموت فى حروب صغيرة وفى أى مكان فى العالم .

ولقد كان طبيعيا أنهذا التصريحيعنى التهديد بالقصفالاستراتيجى بأسلحة التدمير الجماعية الجديدة . ولقد كان له صدى التهديد الخطير وخاصة وانه صدر بعد اجراء انفجار القنبلة الهيدروجينية فى بكينى فى أول شهر آزار (مارس) ، وكانت الصور التى أخذت لهذا الانفجار مرعبة وآثاره أكثر ضجيجا من تصريح رئيس لجنة الطاقة الذرية ، الاميرال

ستراون والذى قال فيه ان قنبلة هيدوجينية واحدة « تستطيع أن تدمر مدينة » .

ولقد كان الامل يدغدغهم فى أن الانفجار سيؤثر على زعماء الكرملين، الا أن « النفس الخلفى » الذى أحدثه كان أكثر قيمة وعنفا اذ أحدث ضجيجا بين الشركاء الاوربيين لامريكا . أما سكان البلاد الدائرة فى ملك الاتحاد السوفيتى الاقرب الى روسيا والى قوتها القاذفة الاستراتيجية فقد تذكروا فجأة أن الروس قد فجروا قنبلة هيدروجينية فى آب (أغسطس) عام ١٩٥٣ أى قبل سبعة شهور .

ومع هذا « اللباس الجديد البكينى - الطرى » شعر الغربيون أنهم تعروا تماما .

وبعد ذلك حاول دالاس أن يخفف هذا الأثر فأعلن فى مؤتمر صحفى اننى لم أقل أبدا فى أية لحظة أننا سننتقم انتقاما مباشرا بالرغم من أننا قادرون على ذلك حقا فى ظروف قد تتطلب مثل هذا الاجراء . ان الشىء الاساسى هو أن نكون قادرين على الانتقام بسرعة . وأن فقدان هذه القدرة على الانتقام السريع هى التى تسبب كثيرا من المآسى من نوع بيرل هاربر .

لقد وقع دالاس بين حدى المشكلة : الرغبة فى تطمين اتباع أمريكا والرغبة فى عدم تشجيع روسيا واتباعها (وخاصة فى القيام بهجوم جديد من نوع الهجوم الكورى دون أن يتعرضوا الى العواقب) ولكن استشهاده ببيرل هاربر لم يكن له أية رابطة حقيقية مع مشكلة « الحروب الصغيرة » ثم ذهب اثر التقوية والتعزية بالتأكيد التالى : « تعنى قابلية الانتقام الجماعية والضرورية أن قوة الهجوم المباشر الشامل الرادع كافية كى لا تحتاجوا الى أى دفاع محلى حول محيط يتألف من ٢٠٫٠٠٠ ميل من العالم السوفيتى »

وكانت هذه الحجة دليلا على فكر مرتبك جدا حول مشاكل القمة . وكانت على تناقض طبيعى مع تجربة السنوات التى كانت أمريكا تملك فيها احتكار القذف الذرى . واذا كانت لهذه الحجة قيمة ولم تكن خدعة ومناورة فذلك يعنى أن حكومة الولايات المتحدة تعتبر استخدام « القوى الرادعة » جوابا على أى هجوم من النوع الكورى .

ثم اضيف ملحق مهم الى هذه التصريحات فى تقرير واشنطن طبعته جريدة الابزيرفر فى ٢١ مارس (تاريخ ميلاد سيىء الفأل منذ عام ١٩١٨). وقد تعرض هذا التقرير الى أن مفهوم دالاس وتصحيحه كان كالآتى :

كان نفس التصميم الذى وضعه رؤساء الاركان العامة البريطانيون فى ربيع عام ١٩٥٢ وقدم الى اللجنة الموحدة لرؤساء الاركان الامريكيين برئاسة الجنرال برادلى فى حزيران - من هذه السنة ، من قبل مارشال الجو البريطانى سير جون سليسور دون أن يقبل فى هذه اللجنة .

وعندما اجتمع رؤساء الاركان العامة الجدد برئاسة الاميرال رادفورد فى أغسطس الماضى (آب) عكفوا على قراءة الاوراق المقترحة وقبلوا بالاستنتاجات وملاحظات زملائهم البريطانيين .

ومن مصادر أخرى فى واشنطن تأكد أن سبب هذا التبديل هو وصول الرئيس ايزنهاور الى السلطة وعودة تشرشل الى الحكم .

وكان رئيسا الحكومتين الامريكية والبريطانية قلقين جدا ومهتمين بتنزيل ميزانيتهما ومتعلقين بشدة تبدو أنها تساعدهم على حماية النقد والامن فى وقت واحد .

ولقد أكدت بعض المصادر أن هذه الفكرة كانت تسيطر على مستر تشرشل قبل ذلك بكثير وحتى قبل أن يعود الى الحكم بزمن قليل . ولقد عرضت الجريدة الامريكية COMBAT FORCES فصولا فى عددها الصادر فى شهر شباط (فبراير) الخطة الاستراتيجية الجديدة بتوقيع السيد لويد نورمان . وقد صرح هذا الاخير « لقد تحول المستر تشرشل لصالح القوة الجوية الذرية بعد اجتماع عقد من قبل القوات الجوية فى البانتاجون لبحث موضوع قيام القيادة الجوية الاستراتيجية بهجوم معاكس ذرى ، وقد ذكر عن تقرير طبع فى مجلة QUARTLEY من قبل مدرسة الحرب الجوية .

وعندما انتهت الحرب الكورية، كان هناك حاجة للاقتصاد فى النفقات يعززها النداء التالى من الشعب « أعيدوا أولادنا الى المنزل » وكان هذا الضغط مصحوبا برغبة طبيعية للادارة الجديدة بزيادة ميزانيتها قد سبب خلق سياسة جديدة لها طابع التجديد .

وفى الواقع لم تكن هذه العودة أكثر من عودة الى السياسة السابقة المستندة الى الثقة بالقنبلة الذرية لتثبيط الهجوم ، هذه السياسة المتسمة بطابع غير ملائم كشفت عنه التجربة الكورية عام ١٩٥٠ واستبدلت بنوع من الحماية أكثر واقعية فى ميدان المعركة ولكن النفقات الهائلة التى تتطلبها مثل هذه الحماية انعشت فكرة «اقامة الحواجز والسدود» كسياسة محسنة بأقل التكاليف .

وتمت تدابيرها واجراءاتها باتفاق بين المصالح الثلاثة : البحرية والجيش والقوات الجوية · وقد أعطت الافضلية للمولود الاخير دون أن تجرح الاولاد البكر ·

ولقد كانت أيضا محاولة للتوفيق بين ثلاثة أفكار مختلفة :

ـ الفكرة الاولى وتتضمن التصميم على قذف القنابل الذرية فى قلب الروسيا لاخراجها من ساحة المعركة بسرعة ·

ـ الفكرة الثانية وتتضمن التصميم على صد غزو روسى برى هام باستعمال قنابل وقذائف جديدة ذرية تكتيكية فى جبهة القتال ·

ـ الفكرة الثالثة وتتضمن اقامة أسوار وحواجز مانعة (١) دون نزاع بنشر قوى كافية على الارض لا تشجع العدو على القيام بأى هجوم ·

ولكنها كانت محاولة لتوفيق ثلاثة أفكار متناقضة واذابتها فى وحدة ثلاثية ليس لها منطق داخلى · واستخدام القوة الذرية يجعلها تبدو فكرة مشجعة · ولكن هذا الوهم المشجع قد اضعفه انفجار القنبلة فى الاول من شهر مارس (آزار) ـ (وكان من الممكن أن يكون الاول من نيسان ـ ابريل التاريخ الملائم لهذه المحاولة) ·

ان القنبلة الهيدروجينية تجعل من المستحيل التطلع الى النصر فى حرب شاملة فالمعنيان والمفهومان اللذان يعبران عنها قد أصبحا الآن فى منتهى السخف · فمن يحلم أو يقول « بربح الحرب » اذا وقعت هو أكثر من سخيف · وان من يتكلم بهذا الشكل يهدد بلده ويهدد الانسانية كلها ·

وقد ظهر تشرشل فى هذا المنعطف التاريخى ولم يظهر فقط لانه كان الرجل الأول الذى قاوم أحلام هتلر فى الغزو · ولكن لانه أيضا ، أكثر من أى انسان آخر قد رمز وعبر عن الايمان بأن النصر يحل كل مشاكلنا · وبعد أن دخلت أمريكا الحرب تحدث عن نفسه كأنه ضابط من ضباط روزفلت ولكنه أخذ المبادأة بتحديد هدف الحرب ·

وكان آخر مؤلف له عن الحرب قد سمى : النصر والمأساة · وكان العنوان أكثر ملاءمة مما احتواه من تحليلات حول النقاط الثانوية · ان التفتيش عن النصر فى حرب مماثلة كان مهيئا له أن ينتهى الى مأساة ·

---

(١) Endigvemeut أو سياسة اقامة الحواجز والسدود ·

(المعرب)

لان الغزو الكامل لالمانيا الذى اراده دون وعى كان يهيىء السبيل لاحتلال أوربا من قبل روسيا والى انتشار هائل للشيوعية فى كل الاتجاهات ٠

وفى الظروف الحالية ، يعتبر التفتيش عن النصر بأية وسيلة مؤذيا وضارا أكثر من أن يكون عديم النفع والقيمة ٠ وقد صرح ماريشال القوة الجوية الملكية السير جون سليسور فى بياناته عن التطور الجديد فى الاستراتيجية التى أحدث تحالف القوة الجوية مع الطاقة الذرية : انى أعتقد أن النتيجة الاولى لهذه الثورة أو التطور - التى لها مدى بعيد - هو أن الحرب الشاملة التى عرفناها فى الاربعين عاما الاخيرة ، أصبحت ملكا للماضى ... ان الحرب الشاملة فى عصرنا تعنى الانتحار العام وانتهاء المدنية كمانعرفها نحن...» فخلافا مع كثيرين ما زالوا يعيشون فى الماضى ، استطاع تفكيره أن يقتحم له طريقة عبر المشكلة الحالية ، ولكنه فتح له ذلك الى منتصف الطريق ٠ اذ من الغريب أنه يعتبر تحالف الجو والطاقة الذرية ورقة رئيسية فى صد أى غزو ٠

ويبدو أن هذه الفكرة تستند الى وهم ٠ هل توجد حكومة مسئولة تتجرأ على استخدام القنبلة الهيدروجينية ، اذا وصلت الى هذا الحد للرد على هجوم محلى ومحدود ؟ يقينا ان المبادأة فى مثل هذا الهجوم عمل هجومى مع احتمال شن حرب عالمية بالقنابل الهيدروجينية التى هى بأعتراف القادة الجويين انفسهم دمار عام ونهاية للمدنية . وهكذا يظهر أن كل تهديد باستخدامها هو جنون أو خدعة لا أساس لها ٠

ومع كل سيئات القذف بالقنابل الهيدروجينية فان السيد ولتر لينجن أشار «انه أضحى من المستحيل لبلاد قليلة المساحة أو متوسطتها ومفتوحة لمهاجم مزود بالاسلحة الذرية أن تشتبك بنفسها أو أن تتدخل فى حرب عالمية » ان كل التهديدات أو المقترحات فيما يتعلق بانشاء (خط نيكسون) ستكون اداة لتحطيم منظمة حلف شمال الاطلنطى ولفتح الابواب أمام الشيوعية ٠

ان القنبلة الهيدروجينية هى عائق يمنع سياسة اقامة الحواجز والسدود أكثر من كونها مساعدا لانشائها ٠

ففى الواقع فان استراتيجية التطلع الجديد قد أصبحت بالية وعتيقة منذ أن شاهدت النور ٠ وعلى كل حال فقد كانت تصورا قديما وضعت فيه الحرارة من جديد ، معبرا عن رغبة متفاعلة فى الهدوء والثبات فى ظرف كانت فيه الشروط غير ملائمة أبدا لاشباع مثل هذه الرغبة ٠

واذا كانت القنبلة H تقلل من احتمالات حرب كونية فانهـا تزيد من امكانيات وقوع حرب محدودة تنشأ من توسع نطاق هجوم محلى ٠

ان أمام الخصم عددا من الطرق المختلفة ليتخذها كاجراءات وكلها يمكن أن تنجح بسبب التردد فى الرد باستخدام القنابل الهيدروجينية أو الذرية ٠

وقد يجرى الهجوم بايقاع بطىء بشـكل تجاوزات تدريجية ـ وقد يكون له عمق محدود ولكنه ينمو ويتطور بايقاع سريع : بضربات سريعة يتبعها قدر المستطاع عروض للتفاوض ٠

وقد يكون للهجوم كثافة محدودة يتخذ شكل تسللات متعددة لقوات صغيرة جدا وكأنها البخار الذى لايستطيع أحد أن يمسك به ٠

وهناك سيئة أخرى للقنبلة الهيدروجينية تتمثل فى أنها تستطيع فعلا منع استخدام القنابل والقذائف الذرية التكتيكيـة التى وضع حلف الأطلسى ثقتـه واعتماده عليهـا مؤخرا ليعوض من تفـوق الروس فى العدد (١)٠ ومن الامور المشكوك فيها أن من الممكن استخدام مثل هـذه الاسلحة الذرية التعبوية دفاعيا لايقاف تقدم الوحدات المعادية دون أن يثير استخدامها تدمير المدن والبلاد بالقنبـلة الهيدروجينية ، سلاح الانتحار العام ٠

والمسألة تثار أيضا لنعرف اذا كنا قادرين على الاستمرار فى مواجهة عمل جوى لقصف عدة قنابل من النوع الـكلاسيكى ، على مسـافة كبرى خلف الجبهـة ، ان أية تشكيلة جوية هامة تطـير فوق المناطق الداخليـة وتكتشف قد تعتبر انذارا لقصف هيدروجينى وقد تسبب انطلاقا فوريا لقاذفات القنابل الهيدروجينية فى الجبهـة المقابلة ٠ وهكذا فان سياسة الانتقام الفورى كما عرفها المستر دالاس تصبح سلاحا خطرا ذا حدين٠

ان هـذه المناقشـات والردود تؤدى الى الاستنتاج بأن قيمـة قوى القصف الاستراتيجى قد دنت الى الصفر ، الا فى حالة أخـيرة وهى أن تأخذ روسيا المبادأة فى مثل هذا العمل ٠ ان ميزان الاحتمالات يؤكد بأنها لن تفعل ذلك وهى لن تربح شيئا من مثل هذه المبادأة كما أننـا

(١) يعنى المؤلف هنا أن الهدف الاصلى من اختراع الاسلحة الذرية التعبوية هو استخدامها فى ساحة المعركة للتعويض عن النقص العددى ٠ فعندما تستخدم القنبلة الهيدروجينية يصبح استخدام مثل هذه الاسلحة الصغيرة عديم النفع والقيمة ٠

(المعرب)

نحن سنخسر فيها أكثر منها. وابتداء الحرب من قبلنا سيكون ضربا من الجنون . مع ذلك نجد أنفسنا قبالة واقع سيىء لأن الامتناع عن القصف الذى يفرضه الحس السليم ، يقود الى الخسارة أو يقود على الاقل الى استخدام ضيق جدا لافضل أوراقنا . والخلاصة فان ظهور القنبلة الهيدروجينية قد أضعف من قدرتنا على مقاومة الغزو الشيوعى . وهذه النتيجة مهمة جدا . ولكى نعيق هذا التهديد ونضع فى سبيله الحواجز والالغام ، لابد لنا من الاعتماد اليوم على الأسلحة التقليدية . ومع ذلك فان هذه النتيجة التى وصلنا اليها لا تعنى أن علينا أن نعود الى الطرق التقليدية . ولكنها بمثابة دفع وتشجيع لنبتدع طرقا جديدة .

لقد دخلنا فى عصر سوقى جديد يختلف عن العصر الذى يرمز اليه المدافعون عن القوة الجوية الذرية ، الثوريون فى العهد السابق .

ان الاستراتيجية التى يطنب فى مدحها خصومنا اليوم مستوحاة من فكرتى الافلات من الطاقة الذرية الجوية الكبرى وابطال مفعولها . ولو سمحت لنفسى أن أسخر لقلت انه كلما زدنا الأثر الجماعى لقذائف القصف فتحنا آفاق التقدم والسهولة أمام هذه الاستراتيجية الجديدة من نوع حرب العصابات .

وينبغى أن تستند استراتيجيتنا الخاصة على فهم واضح لهذا المبدأ، كما وان سياستنا العسكرية بحاجة الى توجيه جديد .

وهنا يمكننا أن نلاحظ ، بين قوسين ، أن تدمير مدننا بقنابل هيدروجينية !! قد يسبب أيضا تدمير « الطوابير الخامسة » أيضا .

وطالما يحتفظ الروس بالقنبلة (هـ) مع قوة جوية استراتيجية فنحن ملزمون على التعلق بهذا السلاح الانتحارى ، الذى يشكل خطرا كبيرا لو أهملنا الحصول عليه . ولكن شكل القوات التى نحتاج اليها هو تقريبا على النقيض من اتجاه المفهوم الجديد .

ان امكانية وضع قنابل هيدروجينية فى الهدف لا يستدعى امتلاك طيران سوقى هام ، كما كانت الحال فى غارات الحرب العالمية الثانية ، اذ برز موضوع النوعية أكثرمن موضوع الكمية. ووجود عدد ضئيل نسبيا من الطائرات الحديثة يشكل ضمانة أجدى فى بلوغ الهدف اذا ظهر ذلك ضروريا .

وان الافضلية الاولى بالنسبة الينا هى أن نفهم أن الاستخدام

التقليدى لطيران القصف الاستراتيجى لم يعد ذا موضوع أو انه ليس فى وقته ·

ان هذا الاستخدام يفتح الطريق ، وهى الطريق الوحيدة الممكنة لزيادة الاحتياط فى هذا النوع من الاسلحة التى نحن بحاجة اليها ـ قوات برية وبحرية وقوة جوية تكتيكية ـ دون زيادة فى الاستهلاك ، الامر الذى يتجاوز طاقتنا الاقتصادية ·

أما مشكلة الامن فيمكن حلها دون زلل أو خطأ اذا ما أحسن استخدام العقل البشرى بالاضافة الى اعادة توزيع القوات المسلحة فهناك متسع المتقدم التعبوى وللتطور الفنى فيما يتعلق بحركة قواتنا الارضية كى نحبط استراتيجية العصابات المعادية ·

ولكن ما نحتاجه قبل كل شيء لامننا هو أعصاب باردة وصبر وقدرة على بحث الموضوعات بعمق · ان الاخطار الرئيسية التى تهددنا هى السخط والاثارة وعدم تقدير العواقب · وان وجودها مجتمعة قادر على احداث انفجار حتمى ·

- ٣ -

التقدير البريطانى القديم عام ١٩٥٦

كان الرد البريطانى على استيلاء ناصر على قناة السويس عام ١٩٥٦ ، كان هذا الرد ، المثال الواضح على التمسك بالعادات القديمة والتفكير القديم الذى لا يتطور مع تطور الظروف . فقد كان الهجوم الذى وقع بعد أربعة أشهر من تأميم القناة تصورا قديما من كل النواحى . فبالاضافة الى الهدف الذى أعلن عنه وهو ايقاف انتشار الحرب فى الشرق الأوسط ، فلقد كان للهجوم أربعة أهداف أساسية : المحافظة على حق المرور فى القناة وابقاء طريقها مفتوحا أمام شحنات البترول ـ القضاء على عبد الناصر وايقاف التسلل الروسى (١) .

ولكن نتيجة العمل الانجلو فرنسى كانت معاكسة لهذه الأهداف ، اذ أن قناة السويس أغلقت وأوقف التموين بالبترول وتعزز مركز ناصر وبقى الطريق مفتوحا أمام التسلل الروسى . ويمكن تلخيص سير هذا الهجوم ونتائجه كمايلى :

« كانت اسوأ ما يمكن فى عملية سيئة »

ولو بحثنا الامر من زاوية عسكرية رأينا انه تمخض عن مجموعة من الاخطاء كل خطأ منها يزيد فى فداحته عن الآ خر .

---

(١) مما لاشك فيه أن القضاء على عبد الناصر كان هدفا من أهداف العدوان الثلاثى وهو ان دل على شىء فانما يدل على الأذى الذى لحق بالاستعمار وأعوانه واتباعه فى المنطقة من ظهور هذا العملاق العربى الذى تتجسد فيه وفى نضاله روح التحرر العربى والعمل من أجل القضية العربية . فعبد الناصر هدف طبيعى لكل مستعمر ولكل شعوبى فى هذه المنطقة . أما التسلل الروسى فهو تعبير شاع فى الأوساط الاستعمارية فى أوربا الغربية وفى الولايات المتحدة الامريكية وروجت له الصحف الصهيونية .. وفى رأيى انه تعبير قديم أثبتت الاحداث عدم صحته اذ اتخذ ذريعة للتدخل فى شئون المنطقة فلا حاجة لى فى التعليق عليه .

(المعرب)

ولو سمحت لنفسى ان اسخر لقلت ان احسن جواب للحكومة البريطانية على اتهامها بالتواطؤ مع اسرائيل هو أن تدخلها حرم اسرائيل وبريطانيا العظمى من المكاسب التى كانت ستجنيانها لو أنهما امتنعتا عن الهجوم • فلقد حققت العمليات الاسرائيلية ضد المصريين انتصارا رائعا فى الوقت الذى تدخل فيه الانجليز (١) وفى خلال أيام كان من الممكن تحرير القناة • وقد دمرت المطارات المصرية بشكل أصبحت فيه غير قادرة على استقبال قوة جوية روسية من المتطوعين وكانت سمعة ناصر قد وصلت الى الحضيض (٢).

كان من الممكن الحصول على كل هذا دون أن تدفع بريطانيا ماديا ومعنويا الثمن من سمعتها (٣) ، ولكان من الممكن أن تكون فى وضع رائع لتوقف التدخل الروسى ولتسهيل الوصول الى حل سلمى (٤).

ومن الصعب أن يفهم الانسان كيف أن ايدن (٥) تصور أن شكل الانذار والهجوم الذى تبعه يمكن أن يتخذ طابعا خارج انجلترا ، غير طابع

---

(١) هذا غير صحيح ـ وهو مغالطة لأحداث التاريخ ، اذ من الثابت بعد أن فضح العدوان الثلاثى وكشفت كل وثائقه ومؤامراته ، ان العدوان كان مبيتا ، ان اسرائيل لم تقبل القيام بأى هجوم قبل أن تؤمن لها السيطرة الجوية والبحرية ، ففى الايام الاولى من المعركة ، باعتراف المؤلف نفسه فيما بعد قصفت المطارات المصرية من قبل القوات الجوية الانجليزية والفرنسية ، وتبين أن مجال المعركة لم يكن مواقع المصريين فى سيناء ، بل ثورتهم فى الداخل والاستيلاء على قنال السويس تمهيدا لعودة الاحتلال الانجليزى الى مصر ، لقد كانت معركة السويس من الوجهة السوقية أكبر انتصار حققه المد التحررى الثورى فى المنطقة كما أثبتت الاحداث التاريخية فيما بعد •

(٢) وهذا الكلام مغالطة أيضا ولعل المؤلف استقى معلوماته من حكومات حلف بغداد آنئذ اذ أن الجماهير العربية من الخليج الى المحيط تابعت بأعصابها هذه المعركة وكانت سمعة ناصر فى الأوج خرج منها بطلا من أبطال التاريخ تحوطه الجماهير الشعبية فى كل مكان بالحب والاعجاب •

(٣) أى تدخل روسى يتكلم عنه المؤلف فى حين لا يتكلم عن التدخل الآخر ، فمن الثابت أن ستون طائرة نفاثة فرنسية يقودها الطيارون الفرنسيون حلقت فى التاسع والعشرين من اكتوبر (تشرين الاول) فى ساعة الصفر فوق قبرص لتتزود بالوقود وهى فى طريقها الى اسرائيل عدا تدخل البريطانيين المسلح •

(٤) لقد عرضت مصر فى ذلك الوقت تسوية سلمية ولكن التواطؤ والعدوان كان مبيتا •

(٥) رئيس وزراء بريطانيا أثناء العدوان الثلاثى على بورسعيد الذى انتهت حياته السياسية بتحطيم العدوان أمام ارادة الشعب العربى فى مصر بقيادة عبد الناصر الرائعة •

(المعرب)

العدوان المتعدد الاطراف بهدف استعادة الاشراف البريطانى على قنــــاة السويس (١)۰

وباتخاذه هذا القرار القاتل فان الامل بالحصول على نتيجة ملائمة متعلق بالحصول على نصر سريع ۰ والاساس فى العملية هو تامين الاشراف الكامل على القناة قبل أن يتمكن المصريون من سدها ، وكان من الواجب بعدئذ الحصول على نصر كامل قبل أن يتحرك الرأى العام العالمى ضد انجلترا وفرنسا أو يكون لروسيا فرصة للتدخل ۰

ولكن طريقة العمل وسرعة الانزال البطيئة ونوع القوات المستخدمة وقواعد الانطلاق نفسها كانت لا تتلاءم مع الهدف المرسوم ۰ وكان من الواجب أن يظهر هذا للحكومة البريطانية ولمستشاريها الفنيين ۰

ان الطريقة التى اتبعت كانت تكرارا مصغرا لعمليات الانزال التى حدثت فى البحر الابيض المتوسط أثناء الحرب العالمية الاخيرة حينما كان الزمن لا أهمية له بقدر أهمية الاعداد الضخم الدقيق ۰

ففى مشكلة السويس سادت العادة البريطانية والحكمة «ببطء» ولكن «بأمان» فنتج عدم الامن من المبالغة بالامن ، وكان البطء فى العمليــة مبالغا به (٢)۰

ان أحسن طريقة لتخليص القنـــاة ومنع المصريين من ســـدها هو

---

(١) انها مغالطة كبرى من قبل المؤلف وتشويه للتاريخ العسكرى والسياسى المعاصر اذ أن اسرائيل ربيبة الاستعمار وربيبة بريطانيا بالذات وهى جسر لهما ، فكيف يمكنها أن تهاجم لوحدها ؟ فهناك بالتأكيد تواطؤ بين اسرائيـــل وفرنسا وانجلترا فقد القت الطائرات البريطانية فى ٣١ اكتوبر منشورات على مصر باللغة العربية وكانت قبرص تزدحم بالقوات العسكرية الجوية والبحرية والبرية ، وتم اعداد العملية بسرية تامة فى فرنسا وانجلترا واسرائيل ۰ (المعرب)

(٢) كان المؤلف يحاول أن يلقى مسئولية البطء فى العملية على الانجليز ونسى المؤلف أن القوى الشعبية المسلحة والقوات المسلحة العربية قد صدت عملية الهجوم ببسالة منقطعة النظير وكان البطء فى تحقيق الاهداف ناتجا عن المقاومة العنيدة الضاربة لشعب تحرر من الاستعمار وكان حرا فى تعبئة كل طاقاته ۰ لقد تصوروا أنه ما أن يبـدأ الغزو البرمائى حتى يستسلم عبد الناصر والشعب المصرى ، الا أن الرئيس عبد الناصر فور وقوع العدوان وجه قوله المأثور الى الشعب المصرى :

(سنقاتل فى كل معركة من قرية الى قرية ومن مكان الى مكان ۰۰ ليكن كل فرد منكم جنديا في القوات المسلحة .. سنقاتل ولن نسلم .. سنقاتل ولن نستسلم »۰ (المعرب)

الاستيلاء على مفاتيحها الرئيسية والاستيلاء على المطارات بالقفز من الجو وبالمفاجأة . وكانت هذه العملية تحتاج الى فرقة محمولة جوا أو على الافضل فرقتين . ولقد كان من التوصيات التى أعطيت للقيادة البريطانية دوما أن يكون احتياط بريطانيا الاستراتيجى على أرضها فى بريطانيا بالذات مكونا من قوة منقولة جوا ومن أسطول للنقل الجوى قادر على نقل فرقة كاملة نحو أية نقطة مهددة عبر البحار . ولكن برغم كل هذه التوصيات لم تكن تملك سوى لواء مظليا واحدا وكانت وسائل النقل تافهة .

وعندما وصلنا الى موضوع الهجوم المظلى عبر الجو ، أنزلنا فوجا واحدا فى بورسعيد فقط (٥٠٠جندى) وأرسل الفوجان الباقيان عن طريق البحر فى حين قذف الفرنسيون أكثر من الضعف وكانوا على وشك ان يقذفوا (١٥٠٠ مظلى) آخرين عندما صدر أمر ايقاف النار وأوقف الهجوم .

وكان هذا هو اسوأ مافى هذه العملية اذ أن المهمة البريطانية هى فتح الطريق نحو الجنوب على طول الجزء الاول من القناة ، فى حين كان على الفرنسيين أن يتبعوهم وان يتجاوزوا قواتهم فى نقطة متوسطة كى يشنوا استثمارا للفوز حتى نهاية القناة .

وبما انه لم يكن هناك قوى كافية لتنفيذ العملية كان لا بد من أن تنقل القوة الرئيسية بالبحر ، وهى طريقة للنقل بطيئة جدا وتقلل من احتمالات المفاجأة(١) وازداد هذا العائق بعدم ملاءمة القواعد البريطانية . فقبرص تقع على مسافة مائتى ميل من بورسعيد أى على مسافة يوم فى البحر ولكن ليس فيها الا مرفأ صغير . ومالطة تقع على مسافة ١٠٠٠ ميل وهى بعيدة جدا كى تؤمن حركة سريعة وصغيرة جدا لتشكيل غزو كبير ولا تتيح تدريبا ملائما للقطاعات التى ينتظر استخدامها . ويبدو لى أن المرافىء الليبية (الواقعة فى ليبيا) تقدم موضع انطلاق وسطى وهى منتقاة أصلا ووردت كثيرا فى الخطط الاولية . ولكن العرب المقيمين فى هذه المناطق ، وعوا طبيعة هذه الخطط ؛ الأمر الذى اضطر المخططين فى وقت متأخر ، أن يأخذوا بعين الاعتبار أن هذه القواعد لايمكن استخدامها للقيام بهجوم على

---

(١) حتى لو استخدمت الطائرات فى نقل القوة المهاجمة فان هذا لن يغير مجرى المعركة ومصيرها ففى منطقة الانزال الجوى خاض الشعب المسلح مع قوات من الفدائيين المصريين معركة فناء أو موت ضد المظليين

(المعرب)

بلد عربي (١) وينطبق هذا الذى اقوله على القواعد البريطانية فى الاردن، وهكذا اضطرت القيادة للعودة الى مالطة .

وبالاضافة الى ذلك ازدادت صعوبات النقـــل بالبواخر بسبب أن مراكب انزال الدبابات كانت قليلة جدا والدبابات كانت ضخمة بالنسبة اليها .

وبالرغم من أن القيادة تمكنت من أخذ ثلاثين مركبا لانزال الدبابات من القوات البحرية الا انه تبين أن اثنتين فقط منها كانتا فى حالة عملية جيدة واثنتان لنقل نصف لواء من دبابات السنتوريون، وهى قوة لاتتناسب مع ضخامة العملية ضد مصر كما ان هذه الوسائل لا تصلح لعملية انزال صعوبات كثيرة .. وتأخر كبير .. كلها أمور كانت لها آثار بعيــدة فى أسلوب زج زوارق الانقضاض الاحتياطية للعمل وفى اعادة استكمالهـــا للوصول الى العدد المطلوب وبقلب المراكب المباعة لشركات مدنية بتحويلها للاستخدام العسكرى .

وهكذا ضاعت فرص المفاجأة والسرعة فى العمليــــة التى كانت قد تناقصت بسبب القرار الذى اتخـــذ باجراء قصف طويل قبـــل انزال القطعات .

وهذا القصف لم يبدأ الا فى اليوم السادس مع انزال المظليين ، اما الانزال البحرى فجرى بعد يوم أيضا ، لقد كانت القناة قد سدت قبـــل ذلك بزمن طويل وأدين الهجوم البريطانى - الفرنسى بتصويت معاد فى الأمم المتحدة ووقفت حكومة الولايات المتحدة فى الطليعة تكافح ضـــد استمرار القتال .

كيف درس هذا النمط من الهجوم البطىء وكيف طبق ؟ انه كان نتاج عادات الحرب الأخيرة التى تحمل فى باطنها الخوف من الخســائر

---

(١) يثير المؤلف فى موضوع الموانىء والقواعد الليبية نقطة مهمة فالواقع ان القواعد الجوية والبحرية فى ليبيا تشكل خطرا مبـــاشرا على مصر وقد وعى سيادة الرئيس جمـــال عبد الناصر هذه الحقيقة . كرجل سياسي سوقي . فشن حملته المشهورة اثر مؤتمـــر القمة فى مطلع عام ١٩٦٤ ، لعدم تجديد اتفاقية تأجير القواعد الجوية فى ليبيـــا لبريطانيا وأمريكا وتجاوب معها الشعب العربى فى ليبيا ولا بد من أن تستمر هـــذه المعركة وتغذى حتى تزول كل القواعد الاجنبية من الوطن العربى لان وجودها يتنـــافى مع عزة الشعب العربى وكرامته .

(المعرب)

الفادحة والخوف من احتجاج الرأى العام فيما لو وقعت هذه الخسائر بسبب هجوم معاكس من طيران ناصر أو بخاصة بسبب ملاقاة المقاتلات النفاثة لطائرات النقل المهاجمة (١) ·

ومن الواضح اليوم ان هذا الخطر قد بولغ فى تقديره كما قدر ذلك عدد من الخبراء منذ البدء ·

ولكنها كانت غلطة رئيسية أن نحاول القيام بهجوم مماثل دون أن نتهيأ للتعرض لمثل هذا الخطر لأنه فى حالة تماثل حالة الهجوم على السويس فان هذا الخطر أقل أهمية من اضاعة الوقت واضاعة عامل المفاجأة ، وبالتالى فان تعرضنا لهذا الخطر أقل أهمية أيضا مما وصلنا اليه وهو عدم حصولنا على الهدف ·

وهناك عامل آخر مهم أدى الى فشل الهجوم على مصر ، هذا العامل هو اطالة أمد القصف الجوى ويبدو أن هذا التطويل فى القصف أملته رغبة القوات الجوية فى تجربة نظريتها المفضلة والتحقق منها وهى امكانية الحصول على النصر بالعمل الجوى وحده · ان هذا الاتجاه يتلاءم مع الحجج التى قدمها العقلاء من بين المخططين فى الجيش وعززوه .

ولم تكن هذه هى العوامل الوحيدة التى كانت تعمل ضد المفاجأة والسرعة اللتين تشكلان روح كل عملية حربية · فلقد كانت الخدمة الالزامية عائقا من العوائق وبخاصة ان الضرورة تحتم استدعاء كثير من جنود الاحتياط . وكانت الفوضى فى الدعوة الاحتياطية مريعة. فوضى فى دعوة الاحتياطيين وفى جمع التجهيزات والأعتدة التى يفترض أنها جاهزة للتجنيد العام وفوضى فى اختبار مياه السيارات وفى تحميل البواخر · وقد اكتشف أن تجهيزات عديدة لا يمكن استخدامها ، وهناك بواخر

---

(١) هذا غير صحيح ولا يؤيده الواقع فقد ذكر ارسكين تشيلدرز فى الكتاب الذى عربه الاستاذ خيرى حماد أن الأجواء كانت تحت سيطرة القوة الجوية الاسرائيلية والفرنسية العاملة فى سيناء ، بعد أن أمر الرئيس جمال عبد الناصر لسحب الطائرات المصرية من الجو وارسلها الى مطارات بعيدة جدا ، حفاظا على الطيارين والطائرات من أن تسحق من القوى الثلاثية ولتتهيأ لمعركة طويلة وقاسية يقاسى فيها المعتدون الأمرين فى كل شبر من أرض مصر · وحتى ظهر ٢ نوفمبر كانت القوات البرية صامدة فى العريش وخان يونس وأبو عجيلة · فى هذا الوقت صدر الامر للقوات العربية أن تنسحب من سيناء ·

(المعرب)

أرسلت مشحونة بشكل لا يتلاءم مع عملية انزال على شاطىء معاد كما حدث فى غزوة غاليبولى عام ١٩١٥ ذات الطالع السيىء ٠

وكان الطابع الوطنى يشكل عائقا آخر لأن النصر السريع فى عمل هجومى يتطلب صفات عدة من الجرأة والاندفاع وانعدام الشفقة والرحمة التى ليست أبدا من الصفات التى يتميز بها الانجليز (١) كما كانوا يتميزون بها أيام دراك (٢) ونيلسون وكما تتسم بها اسرائيل الحديثة(٣)٠ الاسم الكودى(٤) الذى أعطى للعملية وهو « الفارس » يرمز الى مفهومها الذى لا يتلاءم مع الزمن ٠

وقد كانت الأخطاء العسكرية جسيمة الا أن الأخطاء السياسية والاقتصادية كانت أكثر خطورة وجسامة ٠

ومن الناحية السياسية كان النصر النهائى لهذه العملية مستحيلا الا فى حالة دعم الولايات المتحدة الامريكية لها نظرا لأن الكتلة الافريقية الآسيوية لها وزنها المعادى فى الأمم المتحدة وكذلك فهناك خطر آخر هو التدخل الروسى (كذا) ٠

لقد كان العمل العسكرى ضد مصر دون موافقة الرئيس أيزنهاور متهورا ٠ ولقد كان من غير المنطقى أن يبقى الرئيس الأمريكى فى الظلام وأن نتركه يعتقد أنه تعرض لعملية خداع ٠ ولقد كان رد فعله القبيح طبيعيا جدا وهو يشابه رد الفعل لدى أى رجل أعمال يحس بأن شركاءه الصغار يلعبون برأس مال الشركة من وراء ظهره ودون علمه ٠

ومن الناحية الاقتصادية وقعت الحكومة البريطانية فى فخ مزدوج لأنها لم تستطع دعم العملية ولا حتى أن تعيش دون عون أمريكى لسد حاجتها من البترول ومن العملات الصعبة ٠ لقد كان حماقة وجنونا أن

---

(١) هذا صحيح اذا صدق المؤلف لان الانجليز لايتمتعون بصفات الجرأة والاندفاع ، اما عدم الشفقة فقد أثبتوا فى كل حروبهم انهم وحشيون ودليل على ذلك ماتعانيه الآن القوى الوطنية المتحررة فى بعض البلدان العربية على أيديهم من تعذيب ووحشية ٠

(٢) دراك Drake بحار انجليزى قاتل الاسبانيين وكان مشهورا بشجاعته ٠

(٣) يقصد المؤلف أن الجيش الاسرائيلى جيش يؤمن بالعنف ولا يعرف الشفقة ولا الرحمة فى عملياته فهو يقتل ويذبح كل شيخ وطفل وشاب ٠ ولذلك فان أول معركة عربية مع اسرائيل ينبغى أن تتصف بصفة العنف الذى لا حدود له مع جيش اسرائيل وبمذابح تشبه مذبحة دير ياسين حتى يزول هذا الوهم من أذهان الغربيين ٠

(٤) الاسم الكودى : اى الاسم الرمزى للعملية ٠

(المعرب)

تشن الحكومة حربا لا تملك وسائطها حتى ولو كان مقدرا لها أن تربحها دون ضمانة لهذا العون الرئيسى من حليفتها الأساسية (١) ٠

ولم يكن باستطاعة الحكومة أن تستمر فى الحكم أسبوعا آخر فى الظروف التى وجدت فيها دون أن تعرض البلد لمصيبة مالية هى : انهيار الجنيه ٠ هذا الحدث المؤسف هو الرد الحاسم على الحجة التى تذرع بها البعض والتى تدعو الى استمرار المغامرة دون الاهتمام بالأمم المتحدة أو بالولايات المتحدة الامريكية ٠

فما هو اذن الدرس النهائى فى العدوان على السويس ؟ ان انجلترا ليست قادرة على أن تلعب اللعبة المخالفة للأدب التى تمثلها « سياسة القوة » فالرقابة الملازمة لنظامها الديمقراطى وضمير الشعب البريطانى وأخلاقه وصعوبة انتهاج سياسة عدم الشفقة الى نهايتها تشكل عائقا ثالثا ٠

وتتضاعف هذه الآثار بسبب العادات التقليدية فى بطء السلوك والردود وكل هذا يطل عليه عدم الاستقلال الاقتصادى بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ٠

ولهذا فان من الأجدى لبريطانيا من كل النواحى أن تتبع سياسة اخلاقية أو كحد أدنى سياسة مقبولة من غالبية الرأى العام العالمى ٠

خدعة بريطانيا الكبرى

« أرض الأمل والمجد » هذه هى القصيدة المفضلة لدى البريطانيين منذ زمن طويل ٠٠٠٠٠٠ وتمتد هذه القصيدة الانجليزية لتقول :

« أملا أن تتوسع وثباتك وتنمو ٠٠٠٠ »

« نبتهل الى الله الذى منحك القوة أن يزيدك قوة ٠٠٠٠ »

وهذه هى الأغنية التى كانت الأجيال البريطانية الماضية تتغنى بها ،

---

(١) انه فعلا لمن السخف أن تتحدث بريطانيا عن نفسها فى هذا المقال لانه يثبت ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر من انها أصبحت دولة من الدرجة الثالثة طالما ثبت انها لا يمكن أن تشن حربا مهما كانت محدودة دون معونة من الولايات المتحدة فى حين قاومت مصر الهجوم واحبطته ولم يكن فى خزانتها كما أعلن الرئيس سوى نصف مليون جنيه من العملات الصعبة ٠

(المعرب)

وكانت هذه الأجيال تتطلع باعجاب الى خريطة الممتلكات البريطانية الموزعة بشكل واسع فى كل أنحاء الكرة الأرضية ، وكان من عادتها أن تتحدث عن « الامبراطورية التى لاتغيب الشمس عن ممتلكاتها » لقد كان هذا هو السبب الرئيسى لكبرياء الانجليز • وقد جهلوا أن الجملة نفسها بالضبط قد استخدمت وقيلت حول موضوع الممتلكات الاسبانية والبرتغالية التى اندثرت منذ زمن طويل وقيلت أيضا فى الماضى البعيد عندما كانوا يتحدثون عن الامبراطورية الرومانية •

ان أغرب شيء يتعلق بالامبراطورية البريطانية هو أن جزيرة صغيرة كالجزيرة البريطانية وجيش صغير كجيشها لا يجود الا بجزء بسيط من قواته • وبالرغم من ذلك فقد نجحت خلال فترة طويلة فى ادارة بلدان واسعة كثيفة السكان فى أركان المعمورة الأربعة • كان هذا العمل مأثرة تدعو للاعجاب وأكبر خدعة (بلوف) فى التاريخ •

لقد كانت خدعة منذ البداية ولكنها كانت تعتمد على الأقل على قوة حقيقية ، حتى ولو كانت هذه القوة لا تتناسب مع النتائج الهائلة التى وصلت اليها • ان القوة البحرية والطاقة الصناعية والمالية لبريطانيا وبخاصة بعد الثورة الصناعية قد استندت الى دعم توسعها الاستعمارى • وقد وضعت هيبتها التى تجمعت من هذا الاستعمار سقفا للبناء وأعطتها واجهة مؤثرة • وقد بقيت القوى البرية قليلة العدد لحماية النقد ، ولكن سلاحها كان ذا فاعلية كافية كى يسمح لها بالسيطرة على الجماهير المسلحة تسليحا بدائيا فى آسيا وافريقيا •

ولا يدعو هذا للتساؤل والتعجب لأنه فى القرن السادس عشر عندما ظهرت لأول مرة الأسلحة النارية كانت قبضة من ٦٠٠ جندى اسبانى تغزو الامبراطورية (AZTEQUE) (١) فى المكسيك فى حين كان أقل من ٢٠٠ جندى يكفى لاخضاع امبراطورية البيرو •

وقد كانت القوات البحرية البريطانية ذات فعالية كافية للمحافظة على التفوق فى البحار ولكى تمنع القوى الأوربية الأخرى من التدخل • وكانت مواردها المالية المتزايدة تشكل تركة مالية متينة ، وتقدم فى الغالب عونا فعالا للاستيلاء على دعامات جديدة فى البلاد •

---

(١) الشعب الذى كان يقطن المكسيك سابقا وسيطر عليها الى أن وصل الاسبانيون عام ١٩٢٠ •

(المعرب)

وقد ساعد البريطانيون فى كثير من الحالات استعداد الشعوب لاستقبالهم وتحيتهم كمنقذين لينقذوهم من الحكام المتسلطين المستبدين (كذا) مما ساعد على قبول الحكم البريطانى الخاص بفضل ادارة عادلة للأقاليم ·

ولكن عندما حل القرن الحالى ضعفت القاعدة المادية لهذه (الخدعة الكبرى) بسبب دخول عوامل جديدة · فقد تهدد اشراف بريطانيا ورقابتها على البحار بسبب ظهور قوى بحرية جديدة ، ومن هذه القوى ، نجد اليابان وهى دولة آسيوية بنت المراكب ودربت عليها بحارتها لتكون ثقلا مضادا لمنافسيها الأوربيين · وكانت انتصاراتها على روسيا فى عام١٩٠٤ــ ١٩٠٥ أول تصدع كبير فى هيبة « البيض » ثم اهتزت القوة البحرية نفسها بولادة القوة الجوية ·

وبالانتظار ، كانت القاعدة السيكولوجية للخدعة قد تقوضت وانهارت بفعل تطور التعليم فى الغرب وبالمد الذى أحدثه الشباب المتعددون الذين جاءوا يتعلمون فى بريطانيا · اذ كانوا يشعرون عندما كانوا يعودون الى بلادهم أن حقوقهم مهضومة فى الغالب بسبب عدم ايجاد الوظائف المناسبة لهم وبخاصة فى المجال السياسى · وكانوا ينقمون لشعورهم بأنهم أقل قيمة من البريطانيين·وكان لسلوك الموظفين الرسميين البريطانيين المتسم بشعور التفوق والسيادة وزن أكبر ثقلا مما كان للمكاسب المتينة التى حققتها الادارة البريطانية·وفى الوقت نفسه أضحى البريطانيون أكثر شفقة مما كانوا عليه فى الماضى عند القضاء على الفتن والثورات · ولكن انتشار الأخبار اليوم بوساطة الصحافة والراديو يجعل سياسة القسوة وعدم الشفقة والرحمة أكثر صعوبة من ذى قبل ، لو أراد البريطانيون أن يتبعوا أسلوبهم السابق نفسه (١) كما كانوا يعملون فى الماضى · وقد ظهر الفراغ العسكرى فى الدفاع عن الامبراطورية بوضوح عام ١٩٣٠ · ولكن الشعب البريطانى وحكومته لم يحسا بذلك · وقد أصبح من الواضح أننا لو أجرينا تحليلا دقيقا للوضع أن القوات البريطانية لم تعد ملائمة للدفاع عن امبراطورية بهذا الاتساع ضد كل التحديات الجديدة التى ظهرت حتى ولو ضوعف تعدادها ·

---

(١) يعترف المؤلف هنا بالاسلوب الذى لايتسم بالشفقة والرحمة الذى كان ولا زال مستخدما لدى البريطانيين فى قمع الثورات التحررية فى مناطق المستعمرات البريطانية ·

(المعرب)

وقد انهارت الحيلة عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تحت وطأة الكوارث التى وقعت علينا من اليابانيين فى الشرق الأقصى والى حد ما بفعل الانكسارات التى أوقعنا بهـا رومل فى الشرق الأوسط فى الوقت نفسه تقريبا ٠

لقد كانت مأساة ومهزلة من مهازل القدر فى آن واحد أن الفرصة لم تواتينا للاحتفاظ بماليزيا وبرمانيا بسبب القرار المميت الذى اتخـذه تشرشل بارسال نجدات الى الشرق الاوسط فى عام ١٩٤١ كى تنتزع نصرا ليس كاملا هناك ، فى حين كانت هـذه النجـدات ضرورية لانقاذ سنغافورة ومواقعنا فى الشرق الأقصى ٠

وعندما حل النصر فى عام ١٩٤٥ كانت نتيجة هـذه الانكسارات والكوارث لم تسو بعد ، وكذلك النفوذ البريطانى ، لأن النصر الذى حدث قد اكتسب حصيلة الثقل التعاونى لروسيا وأمريكا فى نظر العالم وفى نظرنا نحن البريطانيين ــ وأكثر من ذلك وضع هذا النصر كلا من روسيا وأمريكا وجها لوجه كقوتين عالميتين عظيمتين فى حين ترك النصر بريطانيا جانبا ــ بريطانيـا المنهكة بالجهـد المستمر الذى يتجاوز حـدود مواردها الضعيفة ٠ وترك الانتصار انجلترا أيضا كالتاجر المفلس ينتظر الصدقة من أمريكا ٠ واليوم وبعد سنوات ما بعد الحرب ، حاربت بريطانيا لتلعب دور دولة كبرى فى الميدان العسكرى ٠ هذه المحاولة الفاشلة تثبت بعث الخدعة القديمة بشكل مخفف ولكنها لا تخدع الا نفسها فى الوقت الذى تعيق فيه هذه المحاولة نهوضها الاقتصادى ٠

لقد أصـبح من الضرورة بمكان وجـود خط سياسى جـديد تعززه الواقعية العسكرية ٠ ان بريطانيا العظمى لا تستطيع الدفاع عن الشرق الاوسط حتى ولو دعمتهـا أمريكا ٠ والقوى الروسـية الجاهزة فى هذه المنطقة هى أكثر أهمية من القوى التى نستطيع أن نضعها ضدها ٠ وبامكان روسيا أن تقتصد بسهولة عشرين فرقة أو أكثر لتقوم بالغزو فى اتجاهين من القفقاس وشرق بحر قزوين ٠

والفرق المنقولة جوا والتى يحتمل وجود عشر منها مع ١٥٠٠ طائرة نقل تشكل فتاحة العلبة المثالية كى تفتح بالقوة الحواجز الجبلية ولتستولى على النقاط الحاكمة points-clés فى المؤخرة البعيدة ولكى تنشر الرعب والفزع ٠

ولكى نقاوم مثل هذه الضربة فان جيوش الدول العربية (لا تمثل

الا حاجزا من الورق) (١) واذا كانت تركيا قادرة أكثر على تأمين دفاعها الخاص الا انها ستجد نفسها على الهامش ولن تستطيع سد الطريق الذى يقود الى حقول البترول فى الشرق الاوسط ٠

ماذا يستطيع الغرب أن يفعل لتعزيز الدفاع ؟ قد يكون باستطاعة فرنسا وانجلترا أن ترسلا فرقتين ٠ وتستطيع الولايات المتحدة أن ترسل أكثر من فرقتين بقليل ولكن حتى هذا العدد القليل لا يمكن أن يصل بكامله وفورا عن طريق الجو ٠ وسيكون مثلا آخر « للعدد القليل الذى يصل متأخرا » ويستطيع الحلفاء أن يأملوا فى ايقاف الغزو بقنابل وقذائف ذرية على مضائق الجبال ٠ ولكن هذا لن يكون له الا مفعول الدلالة على الفشل الجزئى ٠ ان القوى الروسية المنقولة جوا تشكل وسائط للقفز فوق مثل هذا الحاجز ٠ وهى كافية لدرجة تستطيع فيها أن تسحق أى خصم وأن تستولى على حقول البترول ٠٠

والخلاصة فان الوسيلة الوحيدة لمنع الجيش الروسى من اختراق الشرق الأوسط هو الهجوم المباشر الشامل الرادع DETERRENT وبعبارات أخرى : ينبغى اخماد عزيمة الغزو بالتهديد بالقاء القنابل الهيدروجينية على المراكز الحيوية الروسية ٠

وبالاضافة الى هذا فان بريطانيا تفتقر اليوم الى قواعد مناسبة ٠ واذا رغبت فى بناء بعض القواعد الجديدة ، مع افتراض احتمال وجودها ، فلن تكون أحسن من الحالية ٠ وقد تثير محاولاتها فقط الشكوك والشعور المضاد للبريطانيين المتولد بشكل خاص منذ عملية العدوان على السويس وتساعد بهذا الشكل سياسة التسلل الروسية وهى خطر مستتر دوما ٠

ان أكبر أمل لمقاومة النفوذ الروسى ولحماية التموينات البريطانية بالبترول فى الشرق الاوسط ربما كان فى أن نلعب دورا مميزا فى « الحارس الطيب » ٠

والشرق الأقصى أيضا لا يمكن الدفاع عنه ٠ فالصين باعتبارها دولة منظمة بصورة بدائية أقل تعرضا لخطر السيل النووى من الاتحاد السوفييتى ٠

---

(١) ان الجيوش العربية لا مصلحة لها فى مثل هذه الحروب ، فسواء شكلت حاجزا من الورق او جدارا من الصلب فهى لن تدخل المعركة لصالح أى معسكر لان معركتها الرئيسية هى اسرائيل صنيعة الاستعمار الغربى وربيبته .

(المعرب)

ومع ذلك تتابع انجلترا تعلقها فى هذا القطـــاع بنقاط ارتكازها الاستعمارية التى تتفتت تحتها ويهدمها من جذورها المد القومي الآسيوى ٠

وبطرق صلب الموضـــوع وجوهره فى المجال العسكرى وجـــدنا انه لو تركت بريطانيا هذه القواعد لوفرت كثيرا من النفقات وفى الوقت نفسه تقلل من الأخطار التى تتعرض لها ٠ وبجزء من هذا الوفر تستطيع أن تدفع ثمنا جيدا لقاء المواد الاولية ٠ وبهذا الشكل تصبح « الحارس الذى يمكنه أن يقدم السرور » واذا لجأت الى عمل معاكس فانها ستتأخر وقتا أطول وتثقل التضحيات التى تقدمها وهى أصلا تضحيات لا مقابل لها ٠

كان من الواجب أن تعلمها التجربة من جديد أنه من الجنـــون الاستمرار فى نشر قصور من الرمال فى كل أنحاء العالم ٠٠ فاذا استفادت من الدرس ، واذا تعلمت على البقاء داخل حدود قوتها ، فان هذه القوة قادرة على النمو والتقدم ٠ وهذا هو أيضا الطريق الذى اذا سارت عليـه بريطانيا ، فانها تستطيع أن تستعيد نفوذها الذى فقدته وأخذت تعيش فى أحلام ماض مجيد مدعية انها قوة كبرى وهى لا تملك من هذه القوة شيئا منذ زمن طويل ٠

الجزء الثانى

بحث سوفيتى "إستراتيجى"

- ١ -

سفن الفضاء والأقمار الصناعية الروسية

منذ أن بدأت مراكب الفضاء الروسية والصواريخ التى تحملها بالدوران حول الارض أعلنت اشاراتها اللاسلكية لشعوب العالم انه لاوجود اطلاقا للدفاع • وكان صوتها « بيب بيب » المجيب أقوى أجراس الانذار وأكثرها ضجة بعد أبواق يشوع بن نون حفيد موسى وصراخ شعبه الذى حطم أسوار أريحا • وقد زعزع « البيب » الأسس التى استند اليها مخطط الدفاع الغربى •

وعندما أعلن الروس فى آب (أغسطس) عام ١٩٥٧ انهم أطلقوا بنجاح صاروخا « اندفاعيا » عابرا للقارات I.C.B.M. وان بامكانهم أن يصيبوا بصواريخهم أية نقطة فى العالم ، كان ادعاؤهم موضع شك فى كثير من البلدان وبخاصة فى أمريكا • وعندما أطلق القمر الصناعى بنجاح فى أول أكتوبر (تشرين الأول) (١) كان رد الفعل الأول فى هذه المناطق هو عدم التعبير بشىء عن دلالته ومغزاه • وقد صرح قادة البحرية الامريكية بلهجة الازدراء « ان هذا لا يعنى الا كتلة من الفولاذ يستطيع أى بلد أن يطلقها » وحتى عندما أطلق كوكب الفضاء الثانى الذى كان أضخم من الاول انبرى الفيلد مارشال مونتجومرى ليؤكد فى مقابلة صحفية قائلا « لا تخافوا من كوكب الفضاء السبوتنيك (٢) فانى أؤكد لكم أن هذه الكواكب لن تتيح لروسيا أى تفوق استراتيجى أو عسكرى » •

ولقد كان ما قاله حقا ولكنه بشكل غير مباشر ومن الناحية السيكلوجية كان برهانا على ان روسيا تحتل الطليعة فى ميدان الصواريخ، وهذا له أهمية استراتيجية وسياسية عسكرية هامة • فلقد كان هناك ما يشبه التأكيد لدى دول منظمة حلف شمال الأطلسى فى أوربا بأن

---

(١) كان وزن هذا القمر الصناعى ٨٠ كيلو غرام •

(٢) السبوتنيك × كلمة روسية تعنى الكواكب أو الاقمار الصناعية •

× المعرب •

الولايات المتحدة الامريكية تملك تفوقا كبيرا على روسيا فى ميدان القنابل الذرية والهيدروجينية وفى وسائل توزيعها بالرغم من ان هامش التفوق قد يضيق ٠

وادعى البعض بناء على ذلك أن التفوق الذرى الامريكى يوازى التفوق الروسى العددى بل ويزيد عليه بشكل واسع ويكفى لتثبيط أية محاولة لغزو أى بلد تعتبره أمريكا فى حمايتها وهناك ادعاء ثالث هو أن الطيران السوقى الامريكى قادر على تحطيم أى هجوم فى أسوأ الظروف ٠

وقد وجد الشك سبيله حول هذه الادعاءات المشجعة قبل ذلك بوقت قصير فقد برهن القمر الصناعى SPOUTNIK ان هذه الادعاءات ليست الا أوهاما ، فارسال كوكب على مدار أرضى يتطلب دقة كبرى فى اطلاق وتوجيه الصاروخ الحامل كما يتطلب أيضا تطويرا هائلا فى أبعاد الصواريخ ٠ وقد جاء هذا الحدث ليؤكد بشكل واسع التصريحات الروسية السابقة فيما يتعلق بموضوع صاروخهم الجديد العابر للقارات ٠ وقد كان هذا العمل دليلا قاطعا للرأى العام على قدرة الروس فى بلوغ أهدافهم الواسعة كالمدن الغربية مثلا ، مهما نأت وبعدت ٠

وفى بداية عام ١٩٥٩ نجح الروس فى اطلاق صاروخ الى القمر FUSEE LUNAIRE فى اليوم الثانى من (يناير) كانون الثانى ٠ لقد كان هذا العمل انتصارا علميا بلا شك ذو طابع سلمى وفوزا للعلم الروسى أكبر بكثير من القمر الروسى الصناعى الاول الذى أطلق قبل خمسة عشر شهرا ٠ وكان هذا الرقم القياسى من أروع النتائج اذا ما قيس بالفشل الأولى الذى منيت به الأقمار الصناعية والصواريخ الامريكية الموجهة الى القمر ٠

وقد انقضى الآن من الوقت ما يكفى لتقدير الدليل العلمى الذى يرمز اليه الانتصار الروسى ولنستنتج منه النتائج الواسعة المؤثرة على الوضع السوقى (الاستراتيجى) للدول الغربية تجاه الاتحاد السوفييتى ٠ فمن الممكن أن تحدث هذه النتائج فى دفاع الغرب آثارا عسكرية ونفسية وسياسية مرعبة ٠ الا ان الدوائر الحكومية فى الغرب لم توجه اليها الا اهتماما قليلا ٠

ان هذا العمل يشكل ردا فى غير محله لم يتناول اعادة النظر فى استراتيجيتهم السياسية ٠ وهو مدهش حقا لأن حكام الدول الغربية فى الماضى ، والتى كانت تقودهم فرنسا وانجلترا قد جهلوا النتائج

الثورية للحرب الميكانيكية قبل جيل كامل وأهملوا كل الانذارات التى وجهها بعض من كانت عيونهم مفتوحة على المستقبل ٠

ان رد فعل الدول الغربية أمام هذا الانذار الأخير الذى أعطاه الصاروخ الموجه للقمر وسفينة الفضاء (التى تدور حول الارض) مشابه لرد فعل سكان الوادى الذين أيقظهم انهيار سد من السدود وعادوا الى سباتهم بعد ذلك دون أن يفكروا أن الموج سيبتلع مساكنهم ٠

ويوما اثر يوم كان الروس يجتازون بنجاح مراحل جديدة فى التقدم العلمى والفنى حتى انهم حققوا الكثير من برامجهم قبل التوقيت الذى حددوه لها بسنوات ٠

وعندما اتخذ الامريكان قرارهم القاتل فى استخدام القنبلة الذرية الأولى فى هيروشيما ليعجلوا فى استسلام اليابان لم يأخذوا الا قليلا من الاعتبار من خطورة تحول هذه القنبلة الى خنجر مرتد لصدورهم وتحريض الآخرين للحصول على مثل هذا السلاح التدميرى الشامل ٠ وعندما أصبح التوتر مع روسيا حادا أثناء أزمة برلين عام ١٩٤٨ كان الامريكان لايزالون يبرهنون عن ثقة فى أن احتكارهم للقنبلة الذرية سيدوم أعواما بل عشرة أعوام تقريبا ٠

وكانوا أيضا يستهزئون بالتصريحات الروسية فى عام ١٩٤٩ التى تشير الى أن روسيا قد توصلت الى صنع سلاح مماثل ٠ وفى اغسطس (آب) من العام نفسه ، تمكنت أجهزتهم الخاصة من اكتشاف انفجار ذرى فى روسيا أظهر أن احتكارهم انتهى ٠ وأكثر من هذا فان هذا قد حدث قبل أن تكون القنبلة البريطانية جاهزة للاطلاق بثلاثة أعوام٠

ثم جاءت أعنف صدمة فى أغسطس (آب) عام ١٩٥٣ ـ ويبدو أن اغسطس (آب) شهر سيىء الطالع ـ عندما فجر الروس جهازا لتثقيل الذرة من النوع الذرى ، يسمى بالقنبلة الهيدروجينية ٠ وقد حدث هذا بعد التجربة الأولى الامريكية لمثل هذا النوع من القنابل بتسعة أشهر (وقبل أربعة أعوام من المحاولة الانجليزية الاولى) كل هذا يظهر بأية سرعة كان الروس يتقدمون لأنه كان عليهم أن يعوضوا تخلف أربعة أعوام سبقهم خلالها الامريكان فى الميدان الذرى ٠

ثم عاد للظهور الارتياح الرسمى بموضوع التفوق الامريكى فى مجال الأسلحة الذرية على فواصل زمنية ، بالرغم من أن هذا الارتياح اليوم

يستند الى الحدس والافتراض بأن التفوق ان لم يكن موجودا على المستوى الكمى فهو موجود على المستوى الكيفى ·

وقد عبر عن هذا الافتراض المشجع ، بصورة عامة ، أثناء مؤتمرات منظمة حلف الأطلسى O.T.A.N. · وهذا الافتراض يجهل هذه الحقيقة القاسية من ان التفوق الغربى على المستوى الكمى ليست له أية فائدة اذا كان الروس يملكون العدد الكافى من القنابل ويستطيعون توجيهها الى الهدف كى يدمروا دول الغرب بشكل كامل ، هذه الدول ذات الكثافة السكانية الكبيرة بالنسبة لروسيا والمعرضة للأخطار أكثر من المدن الروسية ·

فالتفوق فى هذه الأسلحة المميتة ذو مغزى ضعيف ما دام الروس يملكون وسائل التدمير الكافية ·

ولكن سؤالا جديدا وأكثر أهمية يطرح اليوم · هل تستطيع دول حلف الأطلسى أن تثق وقتا أطول بالحماية التى تقدمها لها حتى الآن · طاقة الهجوم المباشر الشامل الرادع DETERRENT للطيران السوقى الامريكى ؟ لأن نتيجة الصاروخ القمرى قد أثبتت أن الروس قد توصلوا الى جهاز للتوجيه ··· لتوجيه الصواريخ الضخمة الى مسافات كبيرة جدا ، أكثر دقة من الأخيرة التى نجح الأمريكيون حتى الآن فى اختراعها·

ان الروس معلمون فى مجال الصواريخ وقد اكتسبوا تفوقا من الصعب انتزاعه منهم ·

وقد وصل الروس الى دقة فى التصويب للصواريخ الموجهة بلغت حدا مذهلا ··· فالخطأ فى التصويب عندهم لا يتعدى ٢٪ على هدف يقع على بعد ربع مليون ميل ، بالرغم من تعقيدات الزمن الذى يستغرقه وصول هذا الصاروخ الى هدفه وبرغم قوى الجاذبية الأرضية · وهذه الدقة فى التصويب التى وصل اليها الروس هى أعلى بعشر مرات من الدقة التى توصل اليها الامريكيون عندما أرسلوا صاروخهم الموجه قبل عدة أشهر · فاذا بلغ الروس هذه الدقة فى التصويب على مسافة ربع مليون ميل ، فانهم ولا شك لن يجدوا أية صعوبة فى وضع عدة قنابل هيدروجينية فى أهدافها المقررة اذا كانت هذه الأهداف لا تبعد سوى ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف ميل · انهم سيضعون القنابل فى الهدف بتصويب دقيق من شأنه أن يدمر المدن الكبرى والمراكز الصناعية الامريكية مخلفين الفناء المطلق لسكان تلك المدن وللعاملين فى تلك المراكز الصناعية ·

لقد دمر الصاروخ الموجه للقمر الثقة فى تفوق الاسلحة الامريكية · وفى الحماية التى وعدت بها ضد أى عدوان · وكان هذا بمثابة تحطيم السد الذى يحمى وادى حلف الأطلسى · ومن الممكن أن تكون النتيجة مأساة على المستوى السيكولوجى اذا لم يكن له الأثر نفسه على المستوى البشرى لو استيقظ السكان النائمون فجأة ليجدوا الطوفان يجتاح واديهم الآمن ·

ان هذا لا يعنى ان الطاقة الذرية الغربية الممثلة أساسا بالقيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية لم تعد تشكل حماية لنا وتثبيطا لمعنويات الخصم · فستبقى هذه القيادة عامل تثبيط لعزيمة العدو وتشكل بالتالى حماية غير مباشرة ضد أى هجوم ذرى طالما تكفى قدرة الانتقام لديها لاقناع العدوان ضربة مفاجئة ـ أو أية محاولة للهجوم الذرى شبيهة بالهجوم على بيرل هاربور من شأنها أن تثير الانتحار المتبادل ·

ولقد أضحى من المشكوك فيه أن يبقى الهجوم المباشر الشامل الرادع كافيا للرد على أشكال من الهجوم أقل حدة أو لصد أى غزو مهم بالأسلحة التقليدية ·

ان التعادل الذرى يقود الى العدم الذرى نظرا لأن الانتحار المتبادل الذى ينتج عن استخدام مثل هذه الأسلحة يقود الى الجدب السوقى · بل أكثر من هذا فان المساواة فى الميدان لا تتطلب المساواة العددية فى مجموع القنابل المدمرة التى يملكها كل من الفريقين المتحاربين · فان الدمار الشامل يحتاج الى عدد محدد من القنابل الهيدروجينية · وما دام أى فريق من الاثنين يملك عددا من القنابل يكفى لتحقيق هذا الدمار ، فليس من المهم أن يتفوق عليه خصمه بعدد من القنابل · فالعدد هنا لا يفيد ·· المهم فى هذه المعركة أن يملك أى فريق الحد الأدنى من القنابل الذى يكفى لتدمير الطاقة الرئيسية لخصمه كالعاصمة مثلا والمراكز الصناعية الكبرى · وان مجرد احتمال وجود الحد الأدنى من القنابل الهيدروجينية أو الذرية كاف فى حد ذاته ليحدث فى المعسكر الآخر شللا فى ارادته ·

لقد احتفظت أمريكا لنفسها حينما اخترعت القنبلة الذرية بميزة سوقية موقتة الا ان الظروف جاءت فألغت طاقتها ·

ان التقدم الذرى يخلق من جديد النشاط الهجومى غير الذرى وهو ميدان تكون فيه أمريكا وحلفاؤها الغربيون أضعف بكثير من خصومهم · وينتج هذا من الثقة التى منحوها خلال وقت طويل جدا للطاقة الذرية ·

واليوم بعد أن أصبحت نيويورك وشيكاغو على مدى الصواريخ الروسية ذات الرءوس الذرية ، أفلا يتردد الامريكيون فى توجيه طيرانهم السوقى للرد على أى هجوم روسى فى أوربا وآسيا ؟ سيكون مثل هذا التردد طبيعيا جدا الا اذا جرى هذا الهجوم على نطاق واسع واستهدف أهدافا بعيدة ٠

واذا وصلت الأمور الى هذه المرحلة ، أفيقبل أى شعب تدمير نفسه دون أن تكون له أية مصلحة فى حرب الابادة هذه ؟

ان ما كانت تعتبره الشعوب أمرا حيويا يدفعها الى دخول الحرب فى الماضى قد لا يعتبر اليوم كذلك تجاه حرب ذرية تتمخض عن دمار مطلق وموت يشمل الجميع ٠ وقد استطاعت الحكومات فى الماضى أن تقنع شعوبها بأن انسحابها من بعض المواقع التى تستعمرها فيما وراء البحار من شأنه أن يعرض الشعب الى بذل تضحيات جسيمة فى سبيل الحفاظ على تلك المواقع ٠ ثم دار الزمن وفقدت تلك الشعوب مواقعها ولكنها اكتشفت انها لم تفقد الحياة كما أوهمتها حكوماتها ، بل استطاعت أن تستمر فى وجودها برغم فقدانها لتلك المواقع ٠

لقد وصف رجال الدولة البريطانيون الذين كانوا ينتمون الى مختلف الأحزاب السياسية وخلال أجيال وأجيال ، طريق البحر الأبيض المتوسط نحو الشرق مرورا بقناة السويس ، وصفوا هذا الطريق بأنه حيوى لانجلترا ٠ وكأنه « شريان حياتها » ثم اضطروا أثناء الحرب العالمية الثانية على التخلى عن هذا الطريق البحرى مدة ثلاث سنوات ، وقد برهنوا على أنهم قادرون على ذلك ، حينما حولوا القوافل عن طريق رأس الرجاء الصالح ٠ أما بعد الحرب فقد عادوا الى تسمية هذه الطريق بالطريق الحيوية ، وقد صرح المستر بيفان الذى كان آنئذ وزيرا للشئون الخارجية ان فقدان الرقابة على قناة السويس هى بمثابة « قطع عنقنا » ٠

ومع ذلك ، وفى عام ١٩٥٦ انتزعت قناة السويس من يد انجلترا وبعد جهد عظيم فى محاولة استعادة الاشراف عليها امتنعت انجلترا عن المحاولة (١) أمام احتمال خطر أكثر حدة وهو نشوب حرب ذرية ٠ ولقد

---

(١) لقد أوقفت انجلترا محاولتها لان الشعب العربى فى مصر قد صد هذه المحاولة ببسالة لا مثيل لها ٠

(المعرب)

كان لفرنسا رأى مماثل عن الأهمية الحيوية للهند الصينية (١) • لقد كانت كلتا الخسارتين جسيمتين الا انهما لم تكونا مميتتين •

ان تطور مثل هذه الأسلحة التى تجلب النهايات السيئة ، كالقنابل الهيدروجينية تحول أكثر الدول قوة الى دول عاقلة فى تقديراتها عن كل ماهو حيوى بالنسبة اليها ، وبخاصة عندما ينبغى أن توضع هذه التقديرات موضع التنفيذ • فمن السهل أن نرسم خطوطا على الخارطة ، فى مؤتمر من المؤتمرات ، وأن نصرح بأن كل اعتداء على هذه الحدود يثير فورا انتقاما شاملا بوساطة الاسلحة الذرية • ولكن هذا الأمر لن يكون واقعيا بالنسبة للبلدان الصغيرة اذ أنها لا تريد أن ينفذ من يحميها عملا متطرفا كهذا وبصورة فورية ودون تردد فى حين أن من الممكن أن يصاب بلدها من جراء الرد بالقصف ولهذا فستكون كل حكومة مسئولة ميالة للتردد •

ان الحكام الروس ، مع الأسف ، من الدقة بحيث يستطيعون أن يلتقطوا هذا الاحتمال الصادق لمثل هذا التردد • بل هناك ما هو أسوأ أيضا وهو انهم سيتجهون تدريجيا للاعتماد عليه ، ويستطيعون فضلا عن ذلك ووفق هذا الحساب استخدام فنون سياسية ـ وعسكرية تتضمن القيام بعملية افلات مسببين التردد والحيرة للغرب ثم يقومون بتحطيم المواقع الغربية دون أن يعطوا أى انطباع بأنهم يريدون مهاجمتها بصورة كاملة •

وهنا يقبع الضعف الداخلي لنظرية الانتقام الجماعية بوساطة الطريق الجوى مزدوجة مع القوى البرية • ان هذه الطريقة كافية للعمل كأجراس للانذار « وكفرملة » مؤقتة فى حالة هجوم مفاجىء أو اعتداء على الحدود • انها النظرية التى طبقتها الدول الغربية فى عام ١٩٥٤ وأقرتها لانها كانت تظهر كأنها فعالة واقتصادية ولكنها تبدو اليوم وكأن أثرها الطبيعى هو أن نخذل أنفسنا بأيدينا •

ان هناك حاجة ملحة لنموذج آخر من السلاح الهجومى المباشر الشامل الرادع خلافا للنموذج الذى يضعنا على زاويتى هذه المعضلة « انتحار أم استسلام » ينبغى أن يكون سلاحا هجوميا معاكسا رادعا من نموذج أكثر واقعية • وينبغى أن يكون قادرا على التدخل فى عملية ذات

---

(١) وكذلك كان رأى فرنسا في الجزائر وفي بنزرت فانسحبت بعد نضال مرير كبدها فيه الشعب الجزائرى البطل خسائر فادحة ، وكذلك فى تونس •

(المعرب)

طابع هجومى أكثر من عملية دفاعية . وكلما كانت امكانية الدفاع للعمل فى اتجاه لايقود الى الانتحار تأكدت فاعليته كسلاح هجومى مباشر .

وقد كان المانع الرئيسى لصنع مثل هذا السلاح هو المحافظة على مفاهيم عسكرية ليست شيئاً أكثر من عادات قديمة فى التفكير ، فقد أحدثت تقديرا مبالغا للعبء المالى فى حالة دفاع غير ذرى . مع « سلاح هجومى مباشر شامل رادع » فورى مع السلاح الهجومى الذرى المباشر الذى يأتى فيما بعد ، ولانه طالما هناك عسكريون يفكرون بحرب طويلة وبالنصر فانهم يميلون الى أن يعربوا عن مطـــالب – فى الرجال والمال والتجهيزات أكثر بكثير من المطالب التى يعرف رجال الدولة كيف يستطيعون قبولها .

- ٢ -

مسائل أساسية فى الدفاع الغربى

هناك مسألة أساسية تختفى وراء كل خطط الدفاع الغربى . فهل من الممكن الدفاع عن أوربا بل عن أمريكا نفسها ؟ والجواب لن يتعدى ذلك أبدا : انه من غير الممكن اقامة دفاع فعال ضمن الظروف الحالية ـ اذا كنا اشرافا وعلى الكفاية من الشجاعة لمواجهة هذه الوقائع البشعة .

وان الدفاع ، فى المعنى الخاص لهذا التعبير ، كما تعرفه القواميس هو : « الوقاية والحماية والمحافظة على النفس سليمة بمقاومة أى هجوم» فلو استخدمت الاسلحة الذرية من عيار ال ١٠٠ كيلو طن لما وجد بلد يستطيع أن يأمل بالبقاء سليما أو أن يتجنب التدمير الشامل .

وقد عبر رئيس الوزراء فى عام ١٩٥٧ عن هذا الاستنتاج الاساسى بوضوح أثناء حفلة غداء أقامها فى لندن لتكريم الجنرال نورستاد القائد العام فى أوربا . لقد قال ماكميلان آنئذ ما يلى :

« ان علينا أن لا نغتر ونغرق فى الاوهام فالقوى العسكرية اليوم ليست معدة للحرب . اذن فمهمتها تنحصر فى منع وقوع الحرب ولن يكون فى المستقبل أبدا معارك مشابهة للمعارك القديمة التى تحقق النصر بعد قتال طويل نتائجه غير مضمونة ، ان الحرب الشـــاملة اليوم لاتعنى أكثر من الخراب الشامل .

انه لمن الواجب أن يبقى هذا الواقع الاساسى فى الذهن باستمرار عندما نحلل كل جوانب المشكلة .

الشروط المحتملة لحرب ذرية

ان تجربة الحرب الاخيرة فى حد ذاتها لا تســاعد على التنبؤ فيما يمكن أن يحدث فى حرب تشن بالاسلحة الذرية . بل ان الحرب العالمية الاخيرة بحكم الاسلحة المستخدمة فيها تمنع التكهن بأية نتيجة من النتائج

التي يمكن أن تتمخض عنها الحرب الذرية القادمة • فالتجربة التي جرب خلال الحرب العالمية الاخيرة في توجيه العمليـات وفي مجـل الادارة العسكرية تختلف كل الاختلاف عن التجربة التي يمكن أن تسفر عنهـا العصر الذرى . فاضخم قصف حدث في الحرب الاخيرة والآثار التي خلفها لا تقارن بحـال من الاحـوال بالقصف الذرى وبالنتائج التي ستسفر عنه •

فلم يكن ليتجاوز وزن أكثر القنابل ثقـلا في أوربا خلال الحرب الاخيرة خمسة الى ستة أطنـان • وفي الهجمات الواسـعة جدا التي استخدمت فيها القوات الجوية ما يعادل ألف طائرة ألقت فقـط حمولة خمسة آلاف طن من المتفجرات تقريبا • ان للقنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما في أغسطس (آب) عام ١٩٤٥ قدرة تساوى ٢٠٠٠٠ طن من T.N.T. • وهكذا نرى أن لقنبلـة واحدة أثرا تدميريا يفوق الاثـر التدميري لألف قنبلة في السابق بما يعادل أربعة أضعاف ، هـذا عندما كانت الحرب الذرية في مرحلة الطفولة •

لقد استخدمت قنبلتان ذريتان فقط أثناء الحرب ، ولكن الانتـاج استمر في الازدياد من ذلك التاريخ وزادت الطاقة التدميرية أكثر فأكثر أيضا • وقد عرف عن القنبلة الهيدروجينية الاولى التي جربت في مارس (آزار) من عام ١٩٥٤ انها نشرت قوة متفجرة تساوى ٢٠ مليون اى أكبر بألف مرة من القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما •

ولكن من ذلك الوقت لم تعد هذه القوة التدميرية الهائلة احتـكارا للأمريكيين وحدهم لأنه وقبل ذلك بسبعة أشهر ، كانت روسيا السوفيتية قد اخترعت أسلحة من النموذج نفسه بقوة متفجرة تقاس بملايين الاطنان (ميجاتون) بدلا من آلاف الاطنان (كيلوطن)

ان في امكان مثل هذه القنبلة أن تدمر أوسع مدينة • وتكفي عدة قنابل منها تبلغ أهدافها كي تدمر المراكز الصناعية الهـامة وتقضي على المواطنين في كل بلاد أوربا الغربية أو الجنوبية • وقد تكفي واحدة أو اثنتان لشل حياة هذه البلدان اذا ما وضعنا في الاعتبار المساحة الواسعة التي سيتساقط فوقها الغبار الذرى القاتل كأثر معنـوى يخلقه الرعب والتشويه • وهكذا يصبح من غير الممكن أن نتخيل استمرار الحرب اذا ما استخدمت مثل هذه الاسلحة • حتى لو تخيلنا « الصدمة المرتدة » التي تحدث عنها السير ونستون تشرشل في عـام ١٩٥٤ وهو تعبير

ومفهوم مازال باقيا بالرغم من عدم واقعيته فى الحقيقة · لان قيادة الحرب هى مشكلة عمل منظم يصبح مستحيلا فى مثل هذا الارتباك ·

ان قوى درع حلف شمال الاطلسى لا تستطيع أن تأمل فى الحفاظ على الدفاع فى حين أنه من الممكن تدمير مصادر تموينها · وان مهمتها قد تختفى وتزول عندما تدمر أوطانها الخاصة ، أما الذين سيبقون على قيد الحيـــاة فسيكونون منهمكين فى اعداد الغذاء وفى الاشراف على جماهير اللاجئين الذين ينقصهم كل شىء ·

مستقبل الدفاع ضد هجوم ذرى

من الممكن الاجابة على هذا السؤال بصورة مختصرة بالشكل التالى: ان مثل هذه التوقعات غير كافية بصـــورة شـــاملة · وقد قبلت قيادة الدفاع الجوى الامريكية بصورة صريحة ، وهى قيادة حديثة التكوين ، فكرة تقول « ان دفاعا فعالا بنسبة ٩٠٪ قد لا يستطيع ضمان بقاء الامة على قيد الحياة » وقد توصلت هذه القيادة فى تصريحها الى ان خمسين قنبلة هيدروجينية تكفى لشل البلاد وبنيتها الصناعية وادارة القتال فيها ·

وهناك سلطات أخرى تعتبر ان أقل من اثنتى عشرة قنبلة كافية لذلك · ولهذا فان تأمين دفاع ذى فاعلية بنسبة ٩٠٪ هو أمل بعيد · وعندما تحدث رئيس اللجنة المشتركة للطـــاقة الذرية فى المســـتقبل القريب صرح بقوله « لن نستطيع فى أفضل الظروف أن نعترض الا قاذفة سوفييتية من أصل كل أربع قاذفات ــ وفى هذا كثير من التفاؤل» ·

وقد يكون من الاسهل على مثل هذه القاذفات أن تصل الى المراكز الحيوية الاكثر سهولة ، فى دول أوربا ، وتدمرها · ولمجابهة تهديد فى مثل هذا الاتساع لا تشكل مخططات حلف O.T.A.N. فى الدفاع الجوى والدفاع المدنى ، شيئا أكثر من لعبة من اللعب ·

وفى انجلترا ، حيث تتجمع الاهداف الحيوية بشـــكل قـــريب ، يكفى تقريبا وعلى وجه التأكيد من خمس الى عشرة قنـــابل لتـــدمير مراكزها الصناعية الرئيسية مع نصف سكان البلاد . ويكفى أقل من هذا العدد لتدمير المراكز الحيوية فى فرنسا وبلجيكا وهولندا والمانيا الغربية . بل أكثر من هذا ، فان مثل هذا الحساب لا يعالج الا الآثار المادية . ومن السهل أن نتخيل الشلل والانهيار اللذين من الممكـــن ان ينتجا عن الاثر المعنوى حتى فى الامكنة التى لن يحدث فيها تدمير مادى ·

ولكى نتجنب مأساة مماثلة لابد ان يبلغ الدفاع الجوى فى البدء فاعلية قريبة من ١٠٠٪ وهو أمر من الصعب تصميمه وادراكه. وحتى لو أمكن صنع قذيفة مضادة للطائرات ذات فاعليةبنسبة ١٠٠٪ وعلى المستوى المطلوب لتحطيم كل الهجمات بالقاذفات ، فلن يكون هناك أمل قريب لمجابهة الصاروخ الباليستيكى (الاندفاعى).

ان مشكلة الدفاع ضد قاذفة القنابل قد تعقد كثيرا مع ظهور القنبلة الجاهزة للقذف الفورى « Stand-off » التى يمكن قذفها قبل ١٠٠٠ ميل من هدفها . وبهذا تبقى القاذفات بعيدة عن اهداف المدفعية . وأما فيما يتعلق بالدفاع المدنى وهو (التقليل من تعرض الأمة للاخطار) ـ فان الخطوات التى تمت من قبل الحكومات طيلة الخمسة عشر عاما الأخيرة كانت لا تتلاءم البتة مع احتمال مواجهة هجوم يقوم به عدد صغير من القنابل الذرية من نموذج هيروشيما . ان ظهور القنبلة !! قد جعل بالطبع هذه الضرورة ايضا أكثر حدة الا أنه أيضا جعل المشكلة أكثر صعوبة . والمشروعات التى نواجهها اليوم ، فضلا على أنها تتطلب نفقات أكثر بكثير ـ لا يتمكن أى اقتصاد وطنى تحملها ـ فانها أيضا تعتبر تحولا مخيفا جدا لكل أبنية الحضارة الغربية لدرجة تصبح فيه هذه المشروعات غير قابلة للتحقيق من الناحية العملية . وليس هناك أى شخص يستطيع أن يرى شعبنا او أى شعب من الشعوب ، يغير عاداته بشكل عميق او يبدل طراز حياته تبديلا مطلقا كى يواجه حياة جديدة لا علاقة لها بحياته القديمة التى اعتادها . ان اى مشروع من هذا النوع لن يكتب له النجاح ولن يكون بالنسبة للشعوب سوى وهم قاتل .

التهديد الجديد بالقذف بالصاروخ :

لقد ادعيت فى كتابى عن « الثورة فى فن الحرب » عام ١٩٤٦ أن هناك امكانيات كبرى فى المستقبل للقنابل الصاروخية ، وان ابقاء قوة من القاذفات الثقيلة قد أضحت فائضا فى عصر الصاروخ والذرة . وفى هذه الأعوام الاخيرة حدثت مرة أخرى أن من المنطق ان نتوقع ، (وحتى فى حدود نسبة متوسطة من التطور) ، أن يصبح الروس قادرين فى عام ١٩٥٦ ، فى حد أدنى ، على قذف لندن وأية مدينة كبرى فى أوربا الغربية .

وقد لاقت امثال هذه الحجج انطباعا ضعيفا لدى القيادات العامة

الغربية حتى خريف هذا العام اذ حدد الماريشال بولجانين فى برقيته التهديد التى أرسلها الى السير انطونى أيدن ، اثناء أزمة السويس ، ان انجلترا تقع ضمن حدود دائرة القصف بالصواريخ من مواقع اطلاقها فى الاتحاد السوفييتى — وبعد ذلك ، وفى شهر فبراير (شباط) التالى أكد وزير الدفاع البريطانى المستر دنكان سانديز للرأى العام ان هناك « كل الحق للاعتقاد » بأن الروس قد توصلوا الى « صاروخ ذى رأس نووى وانه من المحتمل أن يبلغ مداه انجلترا ». ومع ذلك فقد كانت الحقيقة المؤلمة تتجاوز هذا التقدير . لأنه كان معروفا بواسطة تطليقات (١) أو طيرات معلمة بالرادار أن الصواريخ الروسية قد بلغت أهدافا تبعد ثمانمائة الى الف ميل . وقد جرب الروس بنجاح علاوة على ذلك صاروخا مداه ١٥٠٠ ميل ، وهى مسافة كافية لبلوغ أية قاعدة سوقية (استراتيجية) أمريكية للقذف فى شمال أفريقيا أو فى الشرق الأوسط .

ومن وقت قريب جدا ، أعلن الروس فى ٢٦ من اغسطس (آب) ١٩٥٧ عن : « صاروخ اندفاعى متعدد المراحل ويطلق لمسافات بعيدة جدا ، وعابر للقارات ، أطلق منذ عدة أيام . وقد قطع مسافة كبيرة فى وقت قصير جدا . وهبط الصاروخ فى منطقة الهدف. وقد برهنت النتائج التى حدثت أنه من الممكن ارسال صواريخ الى أى جزء من العالم . » وتلك كانت الكلمات الرئيسية لتصريح هز العالم. وكانت الصدمة قاسية جدا لأنها جاءت فورا عقب التجربة الاولى لاطلاق امريكا للصاروخ عابر القارات اطلس ATLAS ومداه خمسة آلاف ميل والتى انتهت بالفشل .

وكان رد الفعل المباشر فى بعض مقرات القيادة الغربية الكبرى هو فى التلميح خلسة بأن التصريح الروسى ما هو الا مناورة خادعة او ، على الأقل ، مبالغ به . ولكن الجنرال شريفر SCHRIEVER القائد الامريكى للصواريخ أعطى ملاحظة لها معنى وهى : « ان روسيا لا تكذب فى تصريحاتها الموجهة الى العالم الخارجى الا نادرا . فعندما كان الروس يقولون أنهم يملكون القنبلة الذرية ، كانوا يملكونها بالفعل. وعندما كانوا يقولون أن لديهم القنبلة الهيدروجينية ، كانوا يملكونها أيضا » .

ثم تحير المرتابون والمشككون وارتبكوا بنجاح القمر الاصطناعى

---

(١) جمع طبرة — Vol أو تحليق .

(المعرب)

SPOUTNIK (الذى يدور حول الارض) وبنجـــاح القمر الصـــناعى LUNIK . وقد بحثت النتائج بالتفصـــيل فى الفصل الســابق .

وانضم الى ذلك بشكل له معناه وزير الدفاع الجـديد المســتر هارولد واتكينسون فى الخطاب الرســمى الذى ألقـاه أثناء المناقشة فى موضوع الدفاع فى التاسع والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٦٠ – يوم السنة الكبيسة – موضحا صعوبات مشكلة الدفاع ومصرحا بما يلى :

« أما فيمـــا يتعلق بتصريح المســيو خرشـــوف القريب والذى يؤكد فيه أن روســيا قد أطلقت بنجــاح صــواريخ فى المحيط الباسفيكى بدقة تساوى ميل ونصف ، على مسافة تعــادل أكثــر من ٦٥٠٠ ميل بحرى ، فانه قد أكد لى أن مثل هذا الرمى يتوافق جيــدا مع الامكانيات الفنية للروس » .

وهـــكذا أضحى من الطبيعى جدا أن الحماية الوحيـــدة للبلدان الغربية هى فى عدم تشجيع الروس على القيــام بهجــوم مع الاحتفاظ بالقدرة على القيام بالأعمال الانتقامية بالقنـــابل الهيدروجينية . ولكن ينبغى من جديد أن نتبين أنه مهـــما كانت فاعلية مثل هذا الســـلاح كسلاح هجومى شامل ومباشر رادع DETERRENT لهجوم مضاد ، فليس له اية قيمة كسلاح دفاعى . وذلك لانه لو استخدم فلن تكون له ببساطة اية نتيجة الا الانتحار المتبادل . وتلك هى النهاية التى لا يمكن تجنبها للحرب بالقنابل الهيدروجينية .

مستقبل الهجوم المباشر الشامل الرادع :

ان قوة فعالة من القاذفات ، مسلحة بالقنابل الذرية تشكل سلاحا هجوميا مباشرا وشاملا ممتازا ضد كل محاولة للقيـــام بهجوم بالقنابل أو بالصواريخ الذرية او حتى كل محاولة لغزو دول O.T.A.N. – منظمة حلف شمال الأطلنطى بوساطة القوى البرية . وستكون اخطر لعبة لروسيا ، أو لأى بلد آخر أن تضع خطة الحرب لديهـا مستندة على الاعتقاد بأنه من الممكن تدمير القوة الانتقامية لدى الخصم بضربة مفاجئة – ضربة جديدة مماثلة لضربة بيرل هاربور المعروفة .

ان اخراج دولة ما خارج المعركة بصورة مباغتة وشاملة قد تكون مهمة من الصعب تحقيقها ، وهذه الصعوبة هى أكبر من الصعوبة التى

عرفناها لمثل هذه المهمة عام ١٩٤١ ـ ولم تحقق هذه الضربة ، على الأكثر ، الا نجاحا مؤقتا .

انه لمن المستحيل تقريبا أن نضمن وضع كل القـاذفات المعادية فى حالة من المطلة نشل فيها قدرتها على الايذاء ، فى الوقت الذى يكفى أن تبقى بعض القاذفات على قيد الحيـاة ، لتكـون قادرة ، بقنابلهـا الهيدروجينية ، من أن تسبب دمارا مخيفا كرد على الاعتداء.

ان من يراهن على تحطيم قوة الانتقام المعادية مجنون ، وجنونه كجنون من يعرض حياته الخاصة للخطر وهو كمن يفتش عن الابر فى كيس من التبن ، لأنه من الممكن توزيع القاذفات على كثير من المطارات. وتستطيع القاذفات أيضا ، بفضل التقدم فى وسائل الاقلاع الجديدة ، العمودية منها ، أو المدارج القصـيرة ، أن تقلع من قطع صغيرة للأرض موزعة فى كل أنحاء البلد .

ومع تطور الصواريخ الاندفاعية التى من الممكن اطلاقها من أى مكان على الأرض ، أو على البحر أو فى الجو ، أضحى الحلم باخراج أى خصم ، خارج المعركة بصورة كاملة ، عند بدء الحرب ، حلما سخيفا أيضـا .

وان الابرة الموجودة فى كيس التبن تحول بكل أسف الاعتقاد الذى يداعب الخطط العسكرية الحليفة طول الوقت ، الى شىء مضاد للمنطق والعقل فى البنتاجون (مبنى وزارة الحرب الامريكية) ، وفى حلف جنوب شرق آسيا ، وفى قيادة حلف الاطلنطى ـ وهو الاعتقـاد الذى يقول لو أطلقت القاذفات التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية لأمكن تدمير قوة الهجوم الذرى الروسية فى عدة أيام .

وهكذا نعود من جديد الى الاستنتاج بأن الامل الوحيد فى حماية أوربا هو فى حرب وقائية ، وليس أبدا بأن نكون قادرين على ربح الحرب، كما جرى فى الماضى .

وفيما يتعلق باحتمالات النجاح فى حرب وقائية فان أحسن قاعدة لها تتشكل ، بتهكم ، من عدم وجود قاعدة متينة لخطة هجومية واحتمال أن تكون النتيجة مميتة سواء بالنسبة للمهاجم أو بالنسبة لضحيته. هذا هو الشك الاساسى لهذا الاحتمال الذى ينبغى أن يعـزز أكثـر الهجوم المباشر الشامل الرادع ، الموجود ، ضد أى اعتداء وبخاصة ضد أية محاولة روسية لغزو البلدان الحـرة فى أوربا . ولا يبدو هناك الا

شرطين من الممكن لو تحققا أن يصبح هجوم مدروس بروية وعزم أكثر صحة . الأول هو عودة السياسة الامريكية الى سياسة العزلة بجر حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى سحب قواتها من أوربا والعودة الى موقف اللامبالاة وعدم الاهتمام حول كل مايجرى فى أوربا.

لقد فكر الناس وقتا طويلا بأن تطور القذائف العابرة للقارات قد يدعم اتجاه الشعب الامريكى وميله لترك أوربا . ولكن الانتصارات التى حققها الروس فى حصــولهم على التفوق فى مجال القذائف الصاروخية العابرة للقارات كان لها اتجاه بأنها أحــدثت الاثر المعاكس ، وذلك بأن جعلت الامريكيين أكثر قلقا للبقاء فى أوربا كى يكونوا قادرين على اصابة روسيا بقذف مضاد ، بواسطة القذائف القصيرة والمتوسطة المدى التى صنعوها .

والشرط الثانى هو احتمال اكتشاف وضع وسائط فعالة لاحباط والغاء الأعمال الانتقامية الذرية التى يقوم بها حلف الاطلسى ضد روسيا السوفيتية ، تلك الاعمال الموجهة الى الارض الروسية والى قواتها . وقد يصبح الوضع خطرا وغير مستقر فيما لو صنعت روسيا مثل هذه الوسائط ، متقدمة بذلك على التحالف الغربى .

وقد حقق الامريكيون تقدما كبيرا فى تصميم القــذائف المضــادة للطائرات والموجهة للاقاة اسطول من القاذفات ومن الممكن جدا أن تكون روسيا قد حققت مثل هذه الخطوات . ولو تمكنت من انتاج ســلاح مضاد لقاذفة القنابل وشطبت بهذا السلاح على القوة الغربية الانتقامية الجماعية، مع احتفاظها لنفسها فى الوقت نفسه بالقدرة على قذف البلدان الغربية بالصواريخ الذرية فان الدول الغربية تتحول الى حالة انعدام قدرتها . وهناك الضرورات التى تدعو لاعتبار امــكان تحــول هــذه الامكانية المزدوجة الى حقيقة ـ وهى ضرورة كافية لتمارس اثرا على سياستهم واستراتيجيتهم (سوقيتهم) .

ولكن للحصول على التأكيد فى هذه الميزة الحاسمة ، لا بد لروسيا من أن تنتج وسائل تزيد على القاذفات وعلى الصواريخ الاندفاعية أيضا ومن الواجب ان تكون واثقة من أن السلاح المضاد فعال ١٠٠٪ وهو أمر لحسن الحظ ، يعتبر احتمالا بعيد الوقوع ومشكوكا به .

وفى الوقت الحاضر ، ينبغى ان تكفى طاقة الانتقام الذرى للدول الغربية ، لتثبيط عزيمة روسيا فى شن هجوم على مستوى كبير ضــد

اوربا الحرة او فى محاولتها شل القوة الانتقاميــة المتحالفة وابطالهــا بضربة مفاجئة .

ولكن هذه القوة الانتقامية ، بكل اسف ، ليست من القوة بحيث تستطيع أن تثبط عزيمتهم فى محاولة القيام بهجوم على مستوى صغير .

فهى لا تشكل أبدا تأمينا ضد خطر انزلاق عفوى نحــو حــرب انتحارية مشتركة .

ويزداد هــذا الخطر أيضا لو نظر الروس بثقة الى أنفسهم وهى ثقة تزداد بسبب حصولهم على التفوق النهائى فى صــــنع الصـــــواريخ لمسافات طويلة . وقد تداعبهم هذه الثقة فيحاولون اتخاذ موقف أكثر جراة واكثر تحريضا فى السياسة الخارجية .

وبالانتظار ، فان الخطر يزداد فعلا بسبب الطريقة التى اختارها القادة العسكريون لمنظمة .O.T.A.N فى تركيز خططهم واستعداداتهم وحصرها فىاحتمال حرب ذرية ، دون أن يخصصوا قسطا كافيا لاحتمال وقوع اشكال محدودة من العدوان . وهذا الاحتمال هو فى الحقيقــة أكثر الاحتمالات توقعا .

التشويش فى خطط الدفاع :

يبرهن المراقبون الغربيون أيضــا ، فى خطط دفاعهم ، فى العصر الذرى عن انعدام فى الواقعية . فتمارينهم ومناوراتهم الهيكلية أملتها أيضا الطريقة القديمة فى التخطيط لحرب طويلة .

فهم يجتهدون لدراسةتطور العمليات ، فى هيبة وجلال ، منــذ اليوم ى + ٣٠ يوم (١) ، ى + ٦٠ ، ى + ٩٠. ومن البدهى المدهش أن يستمر تأثيرهذه العادات القديمة ، الا ان استخدامها لا يعطى لها أى معــنى .

ان مثل هذا الجدول لا يأخذ بعين الاعتبـــار بشـــــكل كامل كل ما يمكن أن يحدث بدول منظمة حلف الأطلسى أثناء نزاع بالاسلحة الذرية، مهما كان هذا النزاع قصــيرا . ومن الواضــح أن منطــق المخططــين العسكريين وخيالهم المضغوط بعادات للتفكير هى من ترسبات الحرب

---

(١) (ى) هو يوم وقوع الحرب .

(المعرب)

العالمية الثانية ، غير قادرة على استيعاب الفرق بين هذه الحرب الاخيرة وحرب مِن الممكن أن يحدث فيها عدد صغير فقط من الاسلحة الذرية ألف هيروشيما فى بضع ساعات ، وحيث لسلاح قوته مليون طن ألف ضعف لقوة قنبلة هيروشيما .

بعد تطبيق سياسة الانتقام الجماعية والاسلحة الذرية التكتيكية بزمن قليل صرح الفيلد مارشال مونتجومرى بما يلى : «اريد أن اوضح» بشكل قاطع أننا فى قيادة حلف شمال الاطلسى S.H.A.P.E. قد اعددنا تخطيطا للعمليات على أساس استخدام الاسلحة الذرية ، والهيدروجينية فى دفاعنا . وهناك أمر واقع وهو اننا سنستخدمها لو هوجمنا » . وطرح فى فقرات أخرى : « ليس هناك تنظيم صالح للدفاع السلبى على أرض الوطن فى اى بلد من بلدان المنظمة (حلف الأطلسى)» ثم اضاف : واذا وجد مثل هذا الأمن « سيتعرض الشعب الى كارثة فى حرب عالمية لأن الجبهة الداخلية قد تنهار ».

لقد كان من غير المنطقى قطعا أن يعد قادة S.H.A.P.E. (قيادة حلف شمال الاطلسى) خططا للعمليات تستند الى نوع من العمل يقود فى النهاية الى النكبة ، من وجهة نظرهم أيضا .

وقد ساهم فى هذه السياسة منذ ذلك الوقت ، رجال الدولة فى البلدان الغربية .

وقد طرح أيضا الفيلد ماريشال مونتجومرى ، حول هذا الموضوع، فى مقال ذى عنوان صارخ يتحدى : نظرة من النافذة على الحرب العالمية الثالثة . وقد صورها الماريشال على أنها معركة تستمر وتحتوى على ثلاثة مراحل تنتهى كالحربين العالميتين الماضيتين بالنصر واستسلام الخصم .

وفى مقاله ، استخدم فى عدة مناسبات ، التعابير التقليدية « ربح المعركة » و «ربح الحرب» وتحدث أيضا فى «ايصال الحرب الى الظفر» . انها تعابير ومفاهيم لاتلائم العصر ، العصر الذرى ، وهى غير ملائمة بالقدر الذى لاتتلاءم فيه التكتيكات فى الحرب العالمية الاولى ، مع تكتيكات الحرب المقبلة .

لقد اضحت خطة الدفاع الحالية غير واقعية ، وغير واقعية بصورة خطرة وبخاصة منذ تطور الأسلحة الهيدروجينية . ويمكننا فى الواقع

ان نؤيد الجهود التى يبذلها المخططون لتطبيق العقيدة العسكرية التى تعالج الآثار الثورية للطاقة الذرية .

ومع ذلك فان بعض هؤلاء المخططين يرى الأشياء بوضوح أكثر من الوضوح الذى يتقبله امام الرأى العام . ولقد اوضح أحد القادة الجويين بصورة عنيفة للجنرالات وامراء البحر الحاضرين فى مناقشة من هذا النوع عن التخطيط ، جرت منذ عدة اعوام ، أوضح الامر قائلا : «وليس هناك أية فائدة نجنيها من اعداد خطة يتجاوز مفعولها الساعات الست الاولى من الحرب المقبلة » .

ولقد كان القادة العسكريون للتحالف الغربى بطيئين جدا فى تفهم ضرورة اتاحة أى سبب للحكومات وللشعوب فى التأمل من أن الدفاع . لو طبق ووضع موضع التنفيذ ، قد لايقود بصورة آلية الى الانتحار . لاشىء يمكن ان يكون اكثر تثبيطا للمعنويات . ولا شىء يمكن ان يدفعهم الى التردد أكثر من هذه التصريحات العامة التى أعلنها قادة حلف شمال الاطلنطى فى احاديثهم عن خططهم . فقد خلقوا جوا واسع الانتشار وانطباعا ثابتا فى أنهم يرسمون لالقاء القنابل الذرية فورا عند حدوث اى هجوم ، لا ضد القوى المهاجمة فقط ، بل ايضا ضد البلدان التى تقع وراءها .

وقد اثار الاعلان عن مثل هذه الخطط بالطبع ازدياد قلق الشعوب فى أوربا الحرة ، نظرا لتعرض مدنهم الخاصة وبلدانهم المكتظة بالسكان للهجوم الذرى اكثر من البلدان الاخرى ، علاوة على انهم سيتحملون نتائج هجوم اسلحتهم الذرية التى ستنطلق من دفاعهم الخاص .

وهذا يشبه تماما العكس السخيف للحكمة القائلة « من كان بيته من زجاج لا يرمى غيره بالحجارة . » وان نقول للشعوب ان منظمة O.T.A.N. غير قادرة على تخيل دفاع احسن من الدفاع الذى يشتمل على قذف مثل هذه الحجارة فأن ذلك يعنى اضمن وسيلة لجعلهم يترددون فى مقاومة اى هجوم وفى زعزعة تصميمهم وفى تخفيف جهودهم لوضع قواهم الدفاعية على أهبة الاستعداد .

وقد ازداد الالتباس والغموض فى الخطط . وازداد معه قلق الرأى العام بسبب دخول مانسميه بالاسلحة الذرية التعبوية (التكتيكية) . وهو تعبير عام لأسلحة ذات قدرة مخيفة على التدمير .

ننوى استخدامها فى منطقة قتال الجيوش أو ضد خطوط تموينها ومواصلاتها .

مشكلة استخدام السلاح الذرى التعبوى

لقد ظهر تعقيد جديد وخطر ، من جراء القرار الذى اتخذ ، فى عام ١٩٥٤ ويتعلق بتجهيز القوى البرية التابعة لـ O.T.A.N. (منظمة حلف شمال الاطلسى) والقوى الجوية التعبوية الملحقة بها ، بمثل هذه الاسلحة الذرية التعبوية ، وقد زاد هـذا الامر من خطورة تحول أى نزاع ، حتى ولو كان محليا ، الى حرب مدمرة شاملة بصورة سريعة ، خلافا لارادة الطرفين .

وقد كانت الحجة الرئيسية ، فى عام ١٩٥٠ ، لانشاء قوى برية وقوى جوية تعبوية وبذل جهود ونفقات كبيرة فى سبيل ذلك ، كانت هى أن هذه القوى تتيح لنا رديفا ـ فعالا واقل خطورة ـ من القنبلة الذرية كسلاح هجومى مباشر وشـامل رادع ضـد كل اعتداء . وقد ألغيت هذه الحجة بتطبيق استخدام الاسلحة الذرية من قبل هـذه القوى ، ولأن القادة العسكريين فى منظمة O.T.A.N. قد جعلوا هـذا الموضوع واضحا كل الوضوح لدرجة تجعلنا نعتقد أنهم لايؤمنون انه من الممكن التفريق بين الاستخدام التعبوى والاسـتراتيجى (السوقى) للعمل الذرى .

وكانت الحجـة التى دعمت فـكرة تزويد قـوى حلف الأطلسى بالقنابل الذرية هى الحجة التالية : ان القنابل ضرورة لايمكن الاستغناء عنها لموازنة التفوق فى أعداد الجيش السوفييتى .

وقد أبرز هذا الموضوع فى تصريح غريب للجنـرال مونتجومرى قال فيه : ان السبب فى اتخاذ هذا القرار هو اننا لا نستطيع مجـابهة القوى التى يمكن أن توجه ضدنا دون استخدام الاسلحة الذرية .

ومن الطبيعى ان يرغب العسكريون المسئولون عن خطط الدفاع بأكبر ضمانة ممكنة . وليس من مسئوليتهم أن يقدروا فيما اذا كانت الزيادة الظاهرية للضمانة فى سـاحة المعـركة والتى تتيحها الاسلحة الذرية ، لاتوازى بشـكل واسع زيادة خطر الارتبـاك والانهيـار فى أوطانهم .

ويستطيع رجال الدولة أن يفكروا ، بكثير من الامل انه بامكانهم

أن يحددوا استعمال هذه الاسلحة الى أن تضطرهم ظروفهم الى استخدامها مع الانحناء للحجة العسكرية التى تؤكد هذا الضمان . لكن هذا الامل أمل هش . وهناك أكبر الخطر فى تزويد الجيوش بالاسلحة الذرية اكثر من تزويد القوات الجوية بها وذلك لأن الجيوش تكون فى مواقع اكثر تقدما .

وينبغى على القادة أن يجربوا دوما استخدام كل الاسلحة التى يملكونها بدلا من أن يغامروا برؤية قطعاتهم الفرقى — ومن خلال هذه الزاوية لن يستطيعوا أن يمدوا أبصارهم الى النتائج البعيدة .

وعلاوة على ذلك عند وضع عقيدة وتنظيم ، مع أسلحة محددة ، ينتج ضغط لايمكن مقاومته تقريبا . وقد اضحى مثل هذا الضغط وكأنه لايمكن تجنبه ، فى الوقت الحاضر ، نظرا لأن مدفعية الميدان تستطيع أن ترمى بالذخيرة الذرية .

ولكن الربح الممكن من هذه العملية يوازيه من ناحية أخرى سيئات وأخطار الا اذا كنا قادرين على ايجاد وسيلة لرسم خط فاصل بين العمل التعبوى والعمل السوقى . بمثل هذه الاسلحة ، بصورة يمكن استخدامها دون أن تجعل من العواصم فدية ، تحت تأثير القنابل وأن تكون سببا فى تدمير الحضارة .

ان قيمة الجيوش هى أساسا فى انها تؤمن الحماية ضد أى هجوم دون أن تكون سببا فى الانتحار .

ان تسليحها بأسلحة ذرية يقلل من احتمال المحافظة عليها . ومن هذه الزاوية ، فانها تزيد من أخطار توسع النزاع وامتداده الى حرب شاملة دون أن يخفف من المستقبل المميت .

ولو فرضنا — وهذه الفرضية مشكوك بها — أن الطرفين امتنعا عن اطلاق القنابل الذرية على البلاد نفسها ، فان قوات حلف الاطلسى ستخسر أكثر مما سيربح فيما لو أخذت هى المبادرة فى استخدام الأسلحة الذرية فى ساحة المعركة والسبب فى ذلك هو أنها تعتمد بشكل وثيق فى تموينها على مايرد لها من وراء البحار ، فى غذائها . وليس هناك ما هو أكثر تعرضا للقذف الذرى من القواعد البحرية .

والخلاصة فانه قد يكون لتبنى الاسلحة الذرية قيمة أكبر فيما لو ضاعفنا قوة المقاومة للجيوش الحالية لمنظمة حلف الاطلسى ، كى

تكون قادرة « على صد غزو » هام تقوم به الجيوش السوفيتية ، دون ان تثير الدمار العام لاراضى الطرفين بالقنابل الهيدروجينية .

ولكن اضافة اسلحة تعبوية باهظة التكاليف الى مجموعة الاسلحة التقليدية لايعنى شيئا اذا لم تعتبر هذه الاسلحة على أنها حل تبادلى يمكن استخدامه للقصف الاستراتيجى (السوقى) لأن هذه الاسلحة تقود الى الحرب الشاملة كما يبدو ان القادة العسكريين يفترضون ذلك .

مسألة تحقيق « هجوم » « مباشر رادع متدرج »

لقد اضحى من الطبيعى والبديهى جدا انه من الحماقة اقامة دفاع يئول فى النهاية الى الانتحار ، باستثناء المخططين انفسهم الذين لم يقتنعوا ببداهة ذلك لدرجة أن هذه الفكرة قد أوحت فى أذهان الجميع عددا متزايدا من الملاحظات الهامة المتعلقة بامكانية عمل تدريجى أو هجوم مباشر رادع شامل متدرج – كالتسمية التى اطلقت على مثل هذا العمل – وذلك مع عدم قذف اية قنابل هيدروجينية الا اذا كان من المؤكد أن العدو يشن هجوما غير محدود ، ولا يمكن ايقافه باية وسيلة اخرى .

ان نتائج اية حرب غير محدودة تستعمل فيها الاسلحة الذرية يضعف الحماس والاندفاع ويثبطه بشكل يثير فيه هذا الاحتمال ترددا وتأخيرا وضعفا فى ردود الفعل ضد كل هجوم لايبدو انه يشكل تهديدا حيويا . وقد يملك الحلفاء الغربيون عندئذ ميزانا أدق وتوقعا أفضل ، لو كان لديهم سلوك متوسط ، اى أن يكون لديهم سياسة هجومية – للهجوم المباشر الرادع الشامل – وخطة عمل ، متدرجين ومستندين الى مبدأ تطبيق الحد الادنى من القوى الضرورية لصد اى اعتداء خاص ولمنع امتداده . ان مثل هذه السياسة المتدرجة لاتستثنى الانتقام الذرى ، فى خاتمة المطاف ، ولكن عملها يتوجه بادىء بدء ضد القوات المشتبكة فى الهجوم مع استخدام الوسائط التعبوية فقط ، ومع تجنب القصف الاستراتيجى على المدن بهذا الشكل .

والفكرة المنتشرة القائلة بأن كل تحديد للعمل الذرى يتطلب « اتفاقا مع الخصم » ، فكرة خاطئة . علاوة على ذلك فانها لاتتطلب تعهدا صريحا معينا . بل انها تتطلب فقط أن تكون سياستنا واضحة بشكل كاف كى يكون التحديد المتبادل معتبرا وكأنه الوسيلة الوحيدة لتجنب

التدمير المتبادل . ان تطور القنبلة الهيدروجينية والوعى المتزايد للنتائج الشاملة المتبادلة لقذفها هو احسن ضمانة للالزام المتبادل .

فما هى المساوىء المحتملة لمثل هذه السياسة ؟ لقد ادعى البعض انه لو كان لدى أى مهاجم محتمل شعور كامل بأن الدول الغربية لاتريد أن تقوم بأعمال انتقامية بالقنبلة الهيدروجينية ، للرد على اى اعتداء ، فان مثل هذا التأكيد قد يقلل من قيمة السلاح الهجومى الرادع المباشر الشامل ويزيد من احتمال الحرب .

ومع ذلك ، فان القادة الشيوعيين ، منذ فترة بعيدة ، قد أدركوا ضعف المبادرة لدى الحكومات الغربية الى استخدام اسلحة ذرية ضد هجوم من نموذج كوريا ، وفى المخاطرة باثارة حرب عامة .

وسيكون هناك بهذا الشكل خطر ضعيف فى تشجيع مثل هذا الاعتداء فيما لو طبقنا وثبتنا سياسة العمل التدريجى . فقد يؤكد هذا على أننا مستعدون أكثر للبقاء حازمين . وفى الوقت نفسه ، تتعزز ارادة المقاومة بين الشعوب المتحالفة لو ادركت أن هناك سياسة وسطية لهزم كل اعتداء دون أن تئول الى الانتحار . وفى رأيى أن مصارحة الشعوب بهذا الموضوع أكثر الوسائل فعالية كى يعوا ويدركوا ذلك .

ان وضع خطة عمل متدرج هو بالتأكيد مشكلة صعبة . فهو يتطلب درسا مستمرا متواصلا ، ولكنه مع ذلك يستحق عناء هذه المحاولة كحل من الحلول الكثيرة المفتوحة للانتحار العالمى .

وان أحسن فرصة بالطبع هى المحافظة على الاسلحة الذرية فى ساحة المعركة مباشرة ، وتتناقض قيمة هذه الفرص فى كل مرحلة يجرى فيها استخدام هذه الاسلحة عمقا . وفى الوقت نفسه ، وحتى فى المرحلة الثانية – مرحلة استخدامها ضد خطوط مواصلات المهاجم ومطاراته العاملة – فان هذه المرحلة تشكل عائقا ضخما اضافيا عندما ينبغى على القوى البريطانية والامريكية أن تعمل من وراء البحار ، وتصبح قواعدها البحرية أكثر تعرضا للاخطار من المواصلات البرية للعدو .

وهناك ، بالمقابل ايضا ، ميزات للدول الغربية فى تحديد عملها الذرى فى ساحة المعركة ، وهو ايضا اسهل عمل يمكن تمييزه ، وربما كان العمل الوحيد الذى يستطيع أن يتيح للدفاع فرصة لاستخدام الاسلحة غير التقليدية دون أن يسبب حربا شاملة .

ومن الممكن أن نجد ، مع ذلك ، وسائل لمهاجم من طريق برى ، يتصف بالمهارة السوقية ، وذلك بالغاء الدفاع المعتمد على القنابل التعبوية . فلكى تمارس هذه الاسلحة آثارها ، ينبغى أن تجد اهدافا مناسبة ، وهى غير فعالة ضد القوى المنتشرة أو المتشابكة مع الوحدات الصديقة .

فهل هناك طريقة أخرى لزيادة قوتنا الدفاعية ، ولكى يكون لدينا أكبر فرصة فى تجنب حرب شاملة ؟

هناك احتمال أحسن للتحديد وهو فى استخدام أسلحة كيمائية بدلا من الاسلحة الذرية ، لأن الاسلحة الكيمائية هى أكثر الاسلحة فاعلية لاحباط الغزو ولابطاء كل الحركات البرية ، بينما نجد أن فاعليتها اقل بكثير ضد القوى المتمركزة أو ضد المدن .

فمن السخف أن نمتنع عن استخدام الغاز الخردلى وهو أكثر الغازات ازعاجا ولكنه اقل الأسلحة فتكا ، مع الاستمرار فى استخدام الأسلحة الذرية ذات التدمير الشامل ، والتى تنتهك قوانين الحرب أكثر بكثير من سلاح كالغاز الخردلى الذى يعتبر نسبيا سلاحا انسانيا . وقد اضحى هذا المنع أيضا سخيفا جدا منذ أن اخترعت غازات قاتلة تهاجم الأعصاب لتقضى على ارادة القتال .

ولكن أكثر الطرق أمانا من كل هذه الطرق ، للدفاع ، هى فى استخدام قوى تقليدية مزودة بأسلحة تقليدية صافية . وسأحلل هذا فى الفصول التالية .

- ٣ -

المشكلة الجديدة السوقية (الستراتيجية)
((الحرب المحددة))

انه شيء أساسى جدا ان نفهم بأن القنبلة الهيدروجينية اصبحت عاملا موقفا لأى هجوم يحدث على نطاق واسع ، الا انها لم تقلل بالطريقة نفسها من امكانيات حرب محدودة ان لم نقل انها عززت هذه الاحتمالات .

ففى مثل هذا النوع من العمليات يستطيع سوقى (استراتيجى) ذو دهاء أن يصمم عددا من الفنون يختلف بعضها عن البعض الآخر باجراءاتها الا أنها تستهدف كلها احتلال أهداف معينة مع جعل الخصم يتردد فى اتخاذ القرار المميت بالأمر فى القيام بهجوم معاكس بأسلحة ذرية ولكى أستعيد تعريفى السابق أود أن أوسعه بالشكل التالى :

ان فى مكنة مثل هذا الهجوم أن يجرى بايقاع محدود وبتجاوز متدرج ومن الممكن أن يجرى على ايقاع سريع ولكن بعمق محدود بضربات قصيرة توجه بسرعة يتبعها بالسرعة نفسها عرض اتفاق للمفاوضة .

ومن الممكن ان يتخذ الهجوم شكل بدء ثورة داخلية فى البلدان الأخرى وتسللا أو القاء عدد من المظليين المتطوعين .

ومن الممكن أيضا أن تتخذ بكل بساطة الشكل الانقلابى .

وأنه لأمر يدعو للاستهزاء . ذلك الأمر الذى يتضمن أن الدول الغربية كلما سارت فى طريق تطوير الطابع الجماعى لطيرانها السوقى فى تطوير وتنمية القوة المدمرة للسلاح الذرى تحدث من حيث لاتدرى تقدما هائلا فى السياسة السوقية الجديدة «نموذج الناموسة» المستخدمة ضدها فينبغى أن تستند استراتيجيتهم الخاصة على الفهم الواضح لهذا المفهوم وعلى سياستهم العسكرية ان تتلاءم معها ..

الحل المقترح ؟

ماذا ينبغى أن يعمل لمواجهة هذه الأخطار الواسعة المتنوعة التى تبدأ من الحرب الشاملة الى الحرب الباردة . وهل من الممكن أن نعمل ما يجب أن يعمل دون أن نتحمل عبئا ماليا قد يحطمنا دون أن ندخل المعركة ؟

ان الحفاظ على عدم التشجيع الذرى فى الحرب وتطويره وبخاصة فى الحرب الشاملة يبقى المطلب الأول .

ولكن ليس هناك من حاجة الى قوة قصف سوقية على مستوى كبير كما كانت الحاجة ماسة الى ذلك فى الحرب الأخيرة . ان عددا صغيرا منها يكفى مع القنابل الهيدروجينية لالحاق تخريب ساحق اذا ما بلغت أهدافها ، وهكذا نجد أن القيمة ليست لعدد القاذفات ولكن لصفتها الفنية وميزتها . وينطبق هذا الشىء ايضا على القذيفة الصاروخية ذات المدى الطويل التى تحل محل القاذفة .

ولسنا بحاجة الى أعداد كبيرة نظرا لأن الهدف هو منع الحرب وذلك بعدم تشجيع أى مهاجم محتمل لا الأمل بربحها وهو موضوع يبدو اليوم سخيفا وقد عف عليه الزمن .

ومن الممكن تحقيق وفر كبير فى القوات القاذفة الكلاسيكية منذ اللحظة التى تتفهم فيها منظمة حلف شمال الأطلسى بعقل ومنطق مبدأ حشد قواتها للهجوم المباشر الشامل الرادع بدلا من استعداد لا يتلاءم مع العصر ، لحرب كبرى . وان قوى المطاردات فى مجال الدفاع الجوى لا تضيف الا الشىء القليل للهجوم المباشر الرادع الشامل بالمقارنة مع ثمنها وان يكون لها الا فائدة قليلة ومن الممكن الغاؤها منذ الآن عدا جزء معين من المطاردات ، وجوده ضرورى للتعاون مع القوات الأرضية فى حرب (صغيرة) دون انتظار أن تكون القذيفة الصاروخية للدفاع الجوى جاهزة .

ومن الممكن تحقيق وفر واسع ايضا فى كل المصالح بايقاف كل التحضيرات والاستعدادات وبالغاء الكميات المكدسة من العتاد لحرب طويلة ومن نموذج قديم .

وفى مكنتنا حاليا أن نرجع الى ما هو ضرورى من هذا العتاد لمواجهة أى عدوان من نموذج محلى ومحدود الذى يشكل أكثر الاخطار

احتمالا وهو احتلال جزء من الحدود بصورة سريعة او متدرجة وثورات داخلية محركة من الداخل • فمواجهتها تحتاج الى قوى مهمة من الدرك مدعومة بقوات متحركة ذات فاعلية كبيرة وفى حالة استعداد دائم مثل استعداد مغارز اطفاء الحريق • ان الجيش الذى يعتمد على القرعات التى تخدم فترة قصيرة لايتلاءم مع مثل هذه المهمات • اذ أن جيشا محترفا صغيرا افضل منه بكثير • ومع ذلك فمن الممكن تكملته مع كثير من الفائدة بقوة متفوقة من نوع « المليشيا » تزرع محليا •

ولقد ادركنا بتحليلنا لهذه الحالات من الحرب المحدودة ان النار اذا لم تطفأ بسرعة فمن الممكن ان تتسع وتتطور بغير ارادة احد الطرفين الى حرب شاملة •

وهكذا نجد انه ينبغى دوما ان يكون فى مكنة التكتيكات والتنقلات والتشكيلات ان تتلاءم مع احتمال استخدام مفاجىء للأسلحة الذرية •

ومن الممكن ان تكون القطعات العاملة ذات نموذجين فى هذا الجيش ذى النموذج الجديد الذى اتصوره • ويتشكل رأس الحربة فيه من عدد من الفرق المدرعة المناورة مزودة بصورة كاملة بالآليات التى تسير عبر كل الاراضى وقادرة على التنقل خارج الطرقات • وينبغى ان تدرب على المناورة بالانتشار المراقب كخلايا النحل كى لاتشكل اهدافا قيمة للقنبلة الذرية او للقذيفة الصاروخية فى حالة استخدامها •

والنموذج الآخر هو لدفاع بوليس (شرطة) ودفاع متحرك • ويتشكل من فرق « من المشاة الخفيفة » • وينبغى ان يكون فى مكنتها ايضا ان تنتقل بكاملها خارج الطرقات دون الاعتماد على الآليات ، وان تتأتى قدرتها على عبور كل الاراضى من خفة تجهيزاتها كما وينبغى أن تسلح بصورة رئيسية بأسلحة خفيفة يستطيع اى رجل ان يحملها وبأسلحة الدعم فقط التى يمكن حملها على ظهور البغال ـ أو بواسطة نقل جبلية ميكانيكية خفيفة ولا يتطلب حمولة ثقيلة من الذخائر •

ومن الممكن ان يلحق لواء من المدافع المقطورة ذاتيا عندما تدعو الضرورة الى ذلك وفى المكان الذى يتطلب الموقف دعمه كما انه من الممكن ان يلحق هذا اللواء بلواء من الدبابات الخفيفة او بالمدرعات القادرة على السير فى كل الاراضى •

ولو انشأت البلدان القارية قوى من المليشيا منظمة لتقاتل فى قراها الخاصة وتمون محليا من مراكزموزعة فى عدد من الملاجىءالصغيرة

المبنية تحت الارض علاوة على هذه القوى المتحركة سنجد ان ذلك سيشكل ضمانة حسنة ـ وبخاصة ضد الخطر الجديد لغزو من النوع التقليدى • فقد تشكل مثل هذه القوات التى تعتبر شكلا ارفع من شـكل الحرس الوطنى (١) شبكة دفاع عميقة مع انها لاتحتاج الا لوسـائط نقل اقل بكثير من النموذج الحـالى .O.T.A.N ولا تمثـل بهـذا الشـكل اهدافا ذات اهمية وتصبح ملاقاتها واكتشافها اكثر صعوبة من اكتشاف القوى الحالية وتصبح فعالة بواسطة تدريب ضعيف جـدا مخففة بذلك الحمل الثقيل للتجنيد الحالى ـ وباختلاطها مع قوات من الدرك (البوليس) يزرع محليا بصورة مماثلة أيضا أفضل لحرب العصابات هجوميا ودفاعيا•

ومن الممكن نقل جزء منها من المؤخرة الى الامام اذا سمحت الشروط بذلك فى أية لحظة ومن الممكن أن يجرى هذا اذا كان هناك تخطيط ملائم دون ان تتطلب هذه القوات وسائط النقل والتجهيزات العضـوية على مستوى كبير الامر الذى يجعل الفرق من « نموذج حلف الاطلسى » شديدة التعرض للاخطار كما ان هذه الفرق تكون باهظة التكاليف •

يتيح مثل هذا التنظيم لبلدان شمال الأطلسى فرصة للدفاع الفعال يخرج عن نطاق الخطر الاقصى للأسلحة الذرية ويعزز ايضا الهجوم المباشر الشامل الرادع لان الحالة العاجلة رقم واحد اليوم هى تعزيز الهجـوم المباشر الشامل الرادع للقنبلة الهيدروجينية الذى تحول الى تهديد ذى حدين وذلك بانشاء مغارز اطفاء غير ذرية وآلة اطفـاء على الارض جاهزة للاستخدام دون تردد ولا تأخير •

التطور الجديد للاستراتيجية (للسوقية) :

لم تصبح المفاهيم القديمة والتعابير السابقة للاستراتيجية منسقة وعتيقة فقط ولكنها اضحت سخيفة ايضا بحكم تطور الاسلحة الذرية •

ويؤكد هذا السخف فى التعابير والمفاهيم ايضا التطـور الجديد للصواريخ ذات المسافات البعيدة والمعدة للحلول محل طيران القـاذفات الذى يقوده الطيارون البشريون •

وليس التفتيش عن الربح فى الحرب أو الانتصار كهدف الا علامة من علامات الجنون لأن الحرب الشاملة بالأسلحة الذرية ستكون قتالة لكلا الطرفين •• حتى انه ليس هناك من معنى للاستعداد لمثل هـذه الحرب

---

(١) الحرس الوطنى

العالمية الثـــالثة كمـــا يسمونها فى الغالب · ففى الوضع الحالى للتقدم العلمى نرى ان الخراب والارتباك سيكونان كبيرين فى خلال عدة ساعات الى حد يصبح معه من المستحيل استمرار الحرب بشكل منظم ·

ولكن من المدهش أن نلاحظ الى أية درجة تثابر المفاهيم القديمة على التأثير فى الخطط العسكرية وقد ظهر هذا الوضع وتبدى فى عدة مناسبات وذلك باستخدام تعابير لا تلائم الزمن والعصر وباسلوب المنـــاورات · ويتبدى هذا ايضا فى استعمال كلمة (سيف) للدلالة على الهجوم المباشر الشامل الرادع الذى يتشكل اساسا من الطيران الســـوفى الامريكى — وكلمة « درع » للدلالة على القوى البرية لحلف شمال الاطلسى ولا يمكن استعمال السيف اليوم دون ان يقود الى الانتحار المتبادل · وهذا الحال يشبه ما يجرى فى الاحتفال التقليدى اليابانى حينما يقدم الســـــيف لارتكاب الانتحار بطريقة الهاراكيرى · ولا توحى الكلمة القديمة « درع » بشكل الحماية المطلوبة لمجابهة كل اعتداء يتجاوز على الارض ويجتاحهـا وهى انواع من الهجمات من الممكن ان تنشب مع احتمال اكبر بكثير من احتمال وقوع ضربات السيف · ولا يشكل الدرع ايضا حماية ملائمـة ضد مجموعات من النحل ولا ضد الحرائق التى قد تحدث ·

فينبغى أن تكون السوقية التى تستهدف النصر العسكرى تابعـة وملحقة « للاستراتيجية الكبرى : وهى مملـــكة رجل الدولة الذى يهتم بالسلم على اعلى الدرجات ·· هذا ما لم يتنبه اليه غالبا فى الماضى · اما اليوم فينبغى ان تكون الاســـتراتيجية الكبرى اكثر من اى يوم آخر من اختصاص الرجل الذى يقود » ·

ولزام على رجـل الدولة فى العصر الذرى ألا يراقب الاهداف فقط وانما عليه ايضا ان يراقب العمليات وينبغى عليه ان يوجه خطط الدفاع العسكرية ويضع صيغة العقيدة العسكرية ·

ولزام على رجال الدولة ومستشاريهم السياسيين منذ اليـوم ان يتحلوا بمعرفة واسعة فى الفن العسكرى لم يكونوا بحاجة اليها فى الماضى وكذلك من المهم جدا ان يخضع العسكريون الى الادارة السياسية · واذا لم يكن فى نيتنا ان نذهب بعيدا الى حد دمج منصـــبى وزيرى الدفاع والخارجية فعلى مستشارى الوزارتين ان يتعاونوا معا بشكل اوثق من ذى قبل ·

ان هذا الموضوع تطبيق جديد لحكمة أفلاطون القائلة « بأن العالم لن يتقدم مادام الفلاسفة بعيدين عن سدة الحكم أو مادام الحـــكام لم يصبحوا فلاسفة » ·

- ٤ -

اخطار التيقظ مع وجود القنبلة الهيدروجينية جاهزة لتنطلق من عقالها

انه لمن المدهش ان نرى كم كانت الشعوب بطيئة قبل ان تستيقظ بشكل مرعب على الاخطار الجديدة والمتزايدة التى تهدد الوضع الذى نحن فيه . بل انه لمن المدهش اكثر واكثر ان نرى كيف انطلقت هذه اليقظة بشكل غير مباشر ومن خلال نظرات جانبية .

وتقع لندن والمدن الكبرى فى اوربا الغربية على مرمى الصواريخ الروسية منذ وقت طويل أى منذ عام ١٩٥٥ على الاقل . ولكن الذى جعل الشعوب الغربية تعى الخطر الذى يعرضها اليه القذف بالصواريخ هو اطلاق سفينة الفضاء اذ بدأت تلك الشعوب تعى هذا الخطر منذ ذلك الوقت .

ولم يكن القادة العسكريون انفسهم يعتقدون حقا ان الروس قد اجتازوهم بمراحل فى ميدان الصواريخ بالرغم من أنهم على اطلاع تام بتحليق الصواريخ الروسية الذى اكتشفته ادارتهم ، لذلك استمروا فى الاعتقاد بأن الغرب يملك تفوقا كبيرا فى قوة القصف الى أن طردتهم سفينة الفضاء من مواقعهم وهدمت ادعاءهم المريح .

ثم كان التحقق ايضا من الخطر المتزايد بسرعة لاحتمال حدوث مأساة بصورة عرضية بطيئا جدا اذ قد تقع هذه المأساة نتيجة للجهود الواسعة التى تبذل للوصول الى درجة مناسبة من الاستعداد للانتقام الذرى .

وقد بدأ قلق الرأى العام والمجلس النيابى فى بريطانيا من هذا الموضوع بسبب لمحة خاطفة مختصرة كشف عنها بالصدفة فى نوفمبر (تشرين ثانى) من عام ١٩٥٧ . فقد اكد قائد القوة الجوية السوقية الامريكية الجنرال (باور) اثناء زيارة قام بها لمدينة باريس ان قوته الجوية التى تبلغ أكثر من الفى قاذفة نفاثة ـ قد وصلت الى درجة من

الاستعداد منذ مطلع اكتوبر (تشرين الاول) اضحى معه ثلثيها قادرا على الاقلاع بعد خمس عشرة دقيقة من الانذار ٠ ثم صرح بعد ذلك ان طائراته موضوعة على رءوس المدارج محملة بالقنابل ٠ والملاحون والطيارون على مقربة منها وقال ايضا ان نسبة معينة تبقى على الدوام فى الجو نهـــارا وليلا ٠

وقد لفت الانظار الى هذا التصريح فى مجلس العمـــوم والى الخطر الذى يشتمل عليه السيد فرانك آلاون فطلب عندئذ السيد انورين بيفان الى وكيل وزارة الشئون الخارجية فيما اذا كان « الطيران الامريكى » الذى يقوم بالدوريات من القواعد الامريكية فى بريطـــانيا يحمل قنـــابل هيدروجينية ام لا فأجاب السيد سلوين لويد بتعقل وحـــكمة : « من الممكن ان يكون ذلك » ولكنه عندما داهمته اســـئلة كثيرة صرح أن فى مكنته ان يؤكد او هذا الطيران يحمل حاليا اسلحة هيدروجينية ٠

وقال سلوين لويد ايضا انه لو وقع اى حادث لطائرة فلن يحدث اى خطر لانفجار ذرى ٠ ولكن علماء الذرة أشاروا بدقة الى انه لو تحطمت أية طائرة تحمل قنبلة فستحدث خطرا جديا فى تسمم ذرى يصيب العتاد والمواد المنتشرة على الارض ثم اعترف بعدئذ السيد هارولد ماكميـــلان رئيس الوزراء بوجود هذا الخطر بالرغم من انه صـــوره على انه (خطر ضعيف) ٠ ولقد كان من الممكن أن يكون هذا التأكيد مقنعا جدا لولا انه يمثل عادة من عادات الحكومات فى كل البلدان للتقليل من اهمية الحوادث البشعة ٠ ولكن خطر الاشعاع القاتل الذى ينمو لدى تحطم اية طائرة حتى لو كان هذا الخطر كبيرا هو شيء ضعيف الاهمية اذا ما قورن بخطر آخر مصدره طيران الدوريات المحملة بالقنابل الهيدروجينية لآن ترجمة سيئة للاشارات اللاودية من قبل الطائرة تؤدى بسهولة الى شن الحرب الذرية وبالتالى تسبب خرابا فوريا للمدينة تقريبا ٠

ولقد تزايد بصورة واسعة احتمال هذا الحادث المميت بسبب الجهود المبذولة لتحسين حالة استعداد قوى القاذفات لأعمال انتقامية بغية تقصير مدة الاقلاع وزمن الطيران مع تحميلها بالقنابل ، فمن الممكن وقوع مثل هذا الحادث بسرعة كبيرة جدا فى فترات التوتر الحاد أو ابان الأزمات الدولية .

ان كشف الجنرال باور الذى أعلن فيه أو فى مكنة نســبة كبيرة من القاذفات أن تقلع خلال خمس عشرة دقيقة مع حمولتهــا المدمرة وأن جزءا منها هو فى الجو دوما كان دليلا واضحا وعلى أعلى المســتويات على

مدى التحسن فى أسلوب الاستعداد • علاوة على ذلك فان احتمال وقوع حادث معين سيتضاعف بالطبع نتيجة توتر الأعصاب وعندما يكون القادة المتوسطون وسدنة القاذفات فى مثل هذه الحالة « حالة الضغط الذى يسبق الانفجار » وفى مكنة سدنة طائرة واحدة لو فجروا قنبلتهم الهيدروجينية وهى تقوم بدورية فوق هدف من المنطقة الروسية ان يفجروا سلسلة من ردود الفعل قادرة على تخريب العالم فى بضع ساعات •

ومن الصعب جدا ان نتخيل احتياطات ضد ترجمة سيئة او ضد استخدام سيىء لشفرة الأوامر (١) التى تبقى مطابقة لعمل سريع وكلما كان العمل المطلوب سريعا جدا ••• أضحت الاحتياطات المناسبة له صعبة أيضا •

وفى الماضى لم تكن السرعة طابع عملنا ، حدثت أمثلة مثيرة تدل على ترجمة سيئة أو استخدام سيىء لكلمات الشفرة • وقد تأثرت جديا بهذا الاحتمال اثناء حادث بسيط وقع فى الحرب العالمية الاولى شهدته بنفسى : أرسل أحد القادة بعد أن تناول كأسا من الخمر الكلمة الكود (شفرة) الموافقة لهجوم فحدثت فورا ميكانيكية ركوب عاجلة بالسيارات ونقل الى مرتفع معين • وعندما اكتشف الاستخدام السيىء الكلمة الكودية بعد عدة ساعات كانت القطعة قد ذهبت الى مسافة بعيدة وكان من الصعب اعادتها • وهناك حادث معروف بشكل واسع أثناء الحرب العالمية الثانية وهو الحادث التالى :

عندما أرسلت القيادة العامة « للقوى المحلية الانجليزية » الكلمة الكودية كروموبل المستخدمة لانذار خاص فى ليل السابع من سبتمبر (ايلول) ١٩٤٠ فسرت على انها تعنى فى كثير من الاماكن على ان الغزو قد بدأ •

فدقت اجراس الكنائس ونسفت الجسور وسدت الطرقات ووزعت فيها الالغام بصورة خاطفة أدت الى وقوع عدد من الاصابات •

والحادث الأخطر هو قصف روتردام فى ١٤ من مايو (أيار) ١٩٤٠ • صادفت القطعات الالمانية مقاومة عنيفة جدا عندما حاولت احتلال المدينة فتقرر قصفها من الجو لمساعدة القوات الزاحفة عليها • وعلم الجنرال

---

(١) شفرة الأوامر : يقصد منها ترميز الأوامر وذلك باصطلاحات أو بأرقام حتى لا يكتشفها العدو عند الاستماع الى الشبكات اللاسلكية •

(المعرب)

الالمانى قائد القوات البرية عند الظهر انه من المحتمل ان يستسلم الهولنديون • فأعطى اوامره باللاسلكى فورا وبوساطة الانوار الحمراء كاحتياط مزدوج طالبا تأجيل القصف فعاد رتل من الرتلين الجويين ولكن الرتل الآخر اما انه لم يفهم الاشارات او أنه تجاهلها واطاع الاوامر الاولى فسببت قنابله حريقا امتد بسرعة هائلة ودمر مركز المدينة مخربا عشرين الف عمارة • ان أى خطأ او اهمال فى اعطاء الاشارات الى القاذفات وهى فى الجو فى عصر القنابل الهيدوجينية الذى نعيشه اليوم سيكون له نتائج اسوأ بكثير من النتائج السابقة • ان الحياة فى ظل دولة اجنبية ديكتاتورية تهددنا بهجوم بالقنابل الذرية فيها الكفاية من الاخطار ولكن من الخطورة اكثر واكثر ان نعيش فى ظل حفنة من الطيارين المجهزين بالقنابل الهيدروجينية والموضوعين فى أعلى درجات الاستنفار اذ قد يكون من بينهم من يحس بشراسته وحبه للحرب ويكون سعيدا لو ضغط على الزناد •

وهناك خطر الترجمة السيئة الارادية علاوة على الترجمة السيئة اللاارادية للاشارات الكونية • فقد يكون هناك قادة لم يتحملوا الصبر كثيرا من الاحيان من الاوامر التى تحد من بديهتهم وقد حدث هذا فى كثير من الاحيان كما حدثنا التاريخ عن ذلك •

وقد بين السيد ماكميلان فى حديث وجهه من الاذاعة مايلى :

« اذا كانت بعض الجولات الجوية العريضة مع القنابل الهيدروجينية ضرورية للتأكد من أن دفاعاتنا جديرة بالثقة التى نمنحها لها كان لزاما علينا أن نقبل هذه الضرورة » •

ان الهجوم الفعال يستند الى درجة الاستعداد •

ونتوصل من هذا الى ان نقول لانفسنا لنكون واثقين :

« يتطلب جعل القنابل فعالة تنفيذ تمرين فنى يقوم به سدنة الطائرة ولا ينبغى ان تستخدم ولا يمكن ان تستخدم اية قنبلة الا بناء على امر عسكرى ناضج يعطى استنادا الى تعليمات الحكومتين البريطانية والامريكية العاملتين معا وبالاتفاق فيما بينهما » •

« ان لنا نحن حقا مطلقا بالفيتو ضد القاء هذه القنابل من طائرة تتمركز فى بلدنا » •

ومن المؤسف أن حق الفيتو على مثل هذا المستوى الكبير لايشكل بل ليس فى مكنته أن يشكل ضمانة مقنعة اذا كان سدنة الطائرة أنفسهم

يستطيعون ان يجعلوا القنابل فعالة ، واذا لم يكن هناك وسائط فنية لاتخطىء ابدا لمنع تفجيرها او القائها . ولم يقترح السيد ماكميلان ايجاد مثل هذا الجهاز الفنى الوقائى . وهذا الاهمال فى موضوع هام كهذا الموضوع هو فى حد ذاته مجلب للقلق بصورة كافية .

ولا يمكن تحقيق حالة من الاستعداد الواسع للعمل الا اذا وزعت القنابل بشكل واسع وكان الاشراف على العمليات لا مركزيا قدر الامكان ولكن كلما حسنا فى هذا الأسلوب العسكرى الذى لا غنى عنه .. أضحى خطر الاستخدام القاتل بحادث من الحوادث كبيرا جدا .. ومن الممكن حدوث مأساة عالمية يكون سببها بعض القادة المتوسطين فى فترة من فترات الازمات عندما تتحرك المشاعر وتهتاج الاهواء أو يحركها سدنة قاذفة من القاذفات اعتبروا أن رؤساء الحكومات أو الحكومات المتحالفة هى فى طريقها الى « بيع الخارطة » بسبب رغبة جبانة فى تهدئة الوضع .

وقد يحدث العمل القاتل ايضا بسبب اعتقاد خاطىء بان طائرة معادية تحمل القنابل الهيدروجينية تقوم بهجوم مفاجىء على قاعدة او عدة قواعد امريكية . ويزداد هذا الخطر كثيرا مع ولادة القذائف الصاروخية الذى يقلل مدة الطيران والانذار الى زمن لا يتجاوز الدقائق . وبحسب تقارير واشنطن نرى ان خطر هجوم مفاجىء جديد مماثل للهجوم المفاجىء على بيرل هاربور قد قاد حكومة الولايات المتحدة كى تعطى صلاحيات للقادة المحليين بالقاء قنابلهم الذرية الخاصة فيما لو قدروا ان قواعدهم تتعرض لخطر تخريب فورى قريب الوقوع . ان مثل هذه « الصلاحيات المشروطة » تلغى امكانية الاشراف الفعال من قبل الحكومة . وان تصريح رجال الدولة حول موضوع وجود حق الاعتراض المطلق ، الفيتو ، يثبت أنه غير واقعى وان من المستحيل تقريبا أن نتخيل وجود جهاز فنى للحماية وأن نثق به وان يكون جهازا قد خضع للاختبار ضد اية حركة جنونية أو رقابة حكومية فعالة فى الوقت الذى لاتستطيع فيه أجهزة الكشف أن تتيح مهلة للانذار تتجاوز الخمس عشرة دقيقة ضد هجوم بالقذائف الصاروخية تشن على الولايات المتحدة وانذارا مدته على الأكثر أربع دقائق فى وضع بلد كبريطانيا ودول اوربا الغربية .

- ٥ -

هل تشكل الاسلحة الذرية الصغيرة الرد ؟

لقد تأثرت مشكلة الدفاع بكاملها بالتطور الحديث للأسلحة الذرية ذات المردود الضعيف • فهى تعدل المشكلة وتعقدها بالتأكيد من ناحية طاقة الدفاع ويؤكد البعض انها ستحدث على وجه التقريب ثورة جديدة فى فن الحرب ذات أثر يختلف عن الاثر الذى أحدثه ظهور القنبلة الذرية فى عام ١٩٤٥ • فهى فى الواقع تجعل من الاسلحة الذرية أسلحة قابلة للاستعمال دون اثارة حرب شاملة كما انها تعزز وتقوى الهجوم المباشر الشامل الرادع بالتعاون مع دفاع فعال •

لقد كانت أقوى قنبلة حتى عام ١٩٤٥ أقل من عشرة أطنان ، وكان للقنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما قوة متفجرة أكثر منها بألفى مرة فأحدث هذا الموضوع هوة واسعة بين الاسلحة الذرية والاسلحة المسماة بالتقليدية ، ثم حدثت بعد ذلك قفزة هائلة فى القابلية على التدمير مع ظهور القنبلة الهيدروجينية فى عام ١٩٥٤ فضاعفت ألف مرة أخرى قوة القنبلة الذرية الأولية •

ولكن حدثت اليوم تطورات حديثة فى الاتجاه المعاكس نحو صنع أسلحة ذرية ذات أبعاد صغيرة جدا وذات قوة متفجرة محدودة جدا • فلقد وجد بين الاسلحة الذرية التى جربت فى صحراء نيفادا فى عام ١٩٥٨ سبع قنابل قوتها المتفجرة أقل من ١٠٠ طن وقنبلة أخرى قوتها المتفجرة ٦ أطنان فقط وهى أقل من القنبلة التقليدية التى كانت تقذف من الطائرة فى نهاية الحرب العالمية الثانية وهناك أسلحة تختبر أيضا لا تزيد قوتها المتفجرة عن طن واحد .

لماذا تصنع مثل هذه الاسلحة الذرية ذات المردود الضعيف ؟ وما هى الميزات الخاصة التى تنتظر منها ؟ أولا لأنها تحول الاستخدام العسكرى للقوة الذرية من وسائط عمياء تقوم « بدمار جماعى » الى سلاح يتصف بالدقة والتمييز • فمن الممكن استخدامها تعبويا من قبل القطعات فى ساحة المعركة دون تدمير المدن الكبيرة والصغيرة فى المنطقة التى

تستخدم فيها وهي تشكل بالتأكيد ربحا هائلا على المستوى الانسانى وفائدة كبرى للمدنية ٠

وفيها أيضا صيانة وحماية لمعنويات شعب البلاد التى تستخدم فى الدفاع عنه ٠ ومن المحتمل أن تتحلى شعوب كثيرة بالحزم عند مقاومتها التحديات أو الهجوم المعاديين عندما تحس بأن فرصة جيدة تتاح أمامها لصد الهجوم ورد التحديات دون أن تتعرض أرضها للخراب أثناء الدفاع٠

وهناك أيضا ميزة كبرى من وجهة النظر العسكرية اذ باستخدام مثل هذه الاسلحة سيكون فى مكنتنا أن نحدث آثارا قاتلة ومدمرة ضد المراكز المحصنة بمدفع بسيط واحد وتكون هذه الاثار والنتائج معادلة للآثار التى كنا نحصل عليها فى الماضى بمئات من المدافع ٠ وعلاوة على ذلك فان للانفجار الذرى مهما كان صغيرا آثارا هى أكبر بكثير من آثار الضربة البسيطة وله نتائج كثيرة معنويا وماديا أبعد مدى من قصف أو سد نارى تقليدى يتطلبان تموينا غزيرا ومتواصلا بالذخائر ٠

وبهذه الطريقة يمكننا أن نحقق اقتصادا واسعا بتخفيض عدد المدافع وكمية الذخائر وآليات نقل الذخائر والمحروقات كما يمكننا تحقيق الشيء نفسه فى عدد المراكب فى حالة ما اذا كان من الواجب ارسال القوات العسكرية عبر البحار أو الاحتفاظ بها فيما وراء البحار ٠ ان مثل هذا التخفيض فى عدد الاسلحة وفى تخفيف تموينها يبسط ويحد بشكل هائل من المشكلات الادارية (اللوجيستيك) التى تعترض الجيوش والتى سببت كثيرا من الصراع الذى كان يشتد فى كثير من الاحيان للمخططين العسكريين ٠ فمن الممكن أن يصبح « الذيل الادارى » للجيش قصيرا جدا اذا ما قورن بحجمه الحالى كما انه ستختفى وتتلاشى أيضا ضرورة وجود مستودعات ضخمة للمؤن والذخائر التى تشكل فى الوقت الحاضر أهدافا واسعة ٠٠

ويتبدى للوهلة الاولى أيضا ان «الاسنان»(١) ستصبح أقل تعرضا للاخطار من الوضع الحالى شأنها شأن الذيل ، لان قبضة من المدافع التى ترمى قذائف ذرية موزعة توزيعا جيدا ستشكل هدفا صغيرا جدا اذا ما قورنت بكتلة من بطاريات المدفعية التى ترمى قنابل عادية ٠ ومن ناحية أخرى فان تخفيض عدد الاسلحة التى يتعلق بها مصير الجيش من شأنه أن يجعل جهاز الاسلحة الجديدة معرضا للخطر من زاوية أخرى ٠٠

---

(١) يقصد بذلك القوات الضاربة « DENTS »

(المعرب)

فالعدد عامل هام فى حساب التعرض للخطر ··· فمن الممكن أن تكون نتيجة هجوم ناجح على عدد من الاهداف مهمة جدا عندما لا يكون هناك أهداف كثيرة يتحتم على الخصم مهاجمتها ·

وعلاوة على ذلك فان المدافع الذرية كثيرة التعرض للاخطار لانها منذ اللحظة التى ترمى بها يصبح من السهل على العدو أن يحدد مكانها وأن يدمرها · وينطبق هذا أيضا على الاسلحة أو القذائف الموجهة ذاتيا ذات الوقود السائل لانها تحتاج الى وقت كبير لاعدادها للرمى ·

وتعود الميزات المنتظرة للاسلحة الذرية ذات المردود الضعيف من الناحية التكتيكية الى انها تتيح تمييزا كبيرا وتجعل من الممكن زيادة سرعة العمل فى الهجوم على الاهداف ومن الممكن بعدئذ استخدامها بنجاح ضد أهداف أصغر بكثير من الممكن استعمالها أيضا وهذا هو أهم مافى الموضوع أكثر قربا من مواضع القطعات الصديقة ، الأمر الذى لم يكن ممكنا مع الاسلحـــة الذرية التعبـوية التى تتراوح من عشرة الى عشرين كيلوطن الشائعة حتى الآن ·

واننا لنجنى فائدة كبرى ونحصل على ميزة تعبــوية هائلة عندما نستطيع أن نرمى على القطعات المعادية ونستمر فى الرمى الى أن تصبح تلك القطعات على بعد بضعة مئات من اليـــاردات من قطعاتنا الخـاصة بالمقارنة مع مساوى ايقـــاف النار عندما يصبح العدو على بعد ميل على الاكثر لأن وجود قسيمة واسعة من «الارض الميتة» أى وجود أرض لايمكن استعمال الاسلحة الذرية فوقها ــ يتيح للمهاجم أن يصل اليها بصورة متوارية ومنتشرة وبذلك تتاح له فرصة تجميع قوى كافية على هذا الحزام المسمى «بحزام الامن الذرى» كى يقتحم الدفاع · وعندما يقتحم الدفاع يصبح من الصعوبة بمكان استخدام الاسلحة الذرية ذات المردود التعبوى العالى لايقاف اختراق العدو المتواصل فى المنطقة التى احتلها ·

فضلا عن ذلك فمن الممكن أن تصبح الوســائط والطرق الحالية المستخدمة فى تحـــديد مواقع الاهداف المحتملة للاسلحـة الذرية ذات المردود العالى للهجوم عليها بطيئة جدا ولا تسمح بتوجيه الضربات اليها قبل أن تختفى · وفى الليل تكون الصعوبة أسـوأ أيضـــا ولكن هذه الوسائط والطرق التى تحمل اسم « اقتنـــاء الهدف » أكثر فاعلية مع أسلحة ذات مردود ضعيف مستعملة الى مدة قصيرة · وأما فيمـا يتعلق بالأسلحة الذرية التعبوية الحالية من عشرة الى ٢٠ كيلوطن فانه من الممكن استخدامها ضد أهداف اصغر كاللواء أو مجمـوعة اللواء · ولكن مع

الاسلحة ذات المردود الضعيف التى تدرس حاليا فانه من الممكن أن تصبح وحدات صغيرة كالفصيلة هدفا ذريا لهـا ولقد صمم الامريكان رءوسا قطرها خمس بوصات وهاونات للمشاة فى مكنتهـا اطلاق قنابل ذرية ومن الممكن استخدامها من قبل عدة رجال ٠

وما هى الآن مساوى تطور هذه الاسلحة الذرية ذات المردود الضعيف ؟ انها تعنى أولا استخداما غير اقتصادى للطاقة الذرية لان مردود انفجار ضعيف بهذا الشكل ليس مستطاعا الا باستخدام المادة المنقسمة(١) بأقل طريقة فعـالة ممكنة ٠ ومن الممكن التعويض عن هـذه المساوى الفنية بميزات تعبوية وادارية (لوجيستيك) كما تتأثر هذه الميزات أيضا باعتبارات أخرى ٠ وقد أكد الفنيون ان هذه الميزات توفر اقتصادا فى القوة يوازن التبذير الفنى ٠

ولكن هذه الحجة قابلة للمناقشة اذا ما قوبلت بالحدود الموجودة لميزانية دفاع بلد من البلدان وبجهده الانتاجى واذا ما عولجت فى الوقت نفسه بالنسبة لواقع أساسى هو انه من السـهل جدا فى بعض الحالات انتاج رءوس ذات مردود عال ومن الخطأ أن نعتبر انه من الممكن صنع عدد كبير من الرءوس الذرية ذات المردود الضعيف بكمية معينـة من المواد القابلة للانقسام ومن المال والجهد ٠ ان هذه الشروط تولد الشك فى التأكيدات المتفـائلة للمدافعين عن ذلك وهو ان أهدافا صـغيرة تبلغ الفصيلة هى أهداف اقتصادية ٠

فضلا عن ذلك فان الميزات الموعودة لا يمكن الحصول عليها الا اذا قررت الجيوش والحكومات قبول المخـاطرة وذلك بالتخلص من الجزء الاكبر من تجهيزاتها الحالية بالاسلحة التقليدية وأن تضع ثقتهـا بعدد صغير نسبيا من الاسلحة الذرية ذات المردود الضعيف لتحل محلها ٠

ان الجرأة فى مثل هذا الموقف تمنع اتخاذ القرار ٠ وعندما يتخذ ، فمن الممكن ألا يتـلاءم مع الظروف ، وعندئذ يصبح غير قابل للتبديل وبالرغم من ان المدافع والهاونات وقاذفات الصواريخ أيضـا قد يكون لديها قابلية مزدوجة لرمى القذائف الذرية أو التقليدية ، فان عدد القطع التى تكفى لاحداث قصف مدمر بالقـذائف الذرية يختلف كل الاختلاف عن عدد القطع الضرورى للقصف بقنابل تقليدية ٠ وكأننا بذلك ننتقل من استخدام خرطوم الميـاه ضد الحريق الى اسـتخدام اناء الرى فى

---

(١) او المادة القابلة للانفصام matière fissible

الحديقة • ولكن اذا لم يكن العدد ملائما لحاجات القتـال التقليدى فان الاقتصاد يضيع • وهناك سيئة أخرى وهى الريبة التى نجد أنفسنا فى اطارها فيما يتعلق بأثر وحداتنا الخاصة عندما ننتقل من القتال التقليدى الى القتال الذرى • فقد يشكل هذا خنجرا مرتدا يقذف ليحطم أعصابنا نتيجة الهلع والرعب من عملية الارتداد وقد ينتهى بانهيار معنوى •

وهذا يقودنا الى مسألة أخرى مهمة لهـا صلة بالاسلحـة الذرية التعبوية بصورة عامة • ان الحجة الرئيسـية التى قدمت لتجهيز قوات O.T.A.N. بمثل هذه الاسلحة هى القول بأنها ضرورية لموازنة التفوق العددى الهائل للجيش السوفييتى • وتستند هذه الحجة الى الاعتقاد بان الأسلحة الذرية التعبوية تعمل لصالح الدفاع ، ونظرا لأن على المهاجم أن يحشد قواته اذا أراد النجاح فى اجتياز خطوط الدفاع ، ويقدم بالتالى أهدافا مركزة للاسلحة الذرية للمهاجم فهل هذا صحيح ؟

ان استخدام الاسلحة الذرية يخفض بالتأكيد كمية القطعات التى يستطيع المهاجم نشرها بأمان فى منطقة معينة ، ولكن هذا التحديد ينطبق أيضـا على المدافع اذ يضطر الى تخفيض عدد القطعات التى يستطيع أن يمركزها بأمان فى موقعه الدفاعى • ان هذا يؤثر على الاعتقاد السائد لدى O.T.A.N. لان الدفاع كلما كان منتشرا فى منطقة معينـــة كان المهاجم بحاجة أقل الى حشد قواته ليخرق الدفاع •

وفى الواقع فانه من الممكن أن تصبح توقعاته من هذه الزاوية أفضل من التوقعات المتنبأ بها قبل ولادة الاسلحة الذرية لانه حينما تنزل نسبة القوات فى منطقة معينة الى ما دون الحد الأدنى المطلوب لشـبكة نارية متقاطعة بشكل وثيق فان المهاجم الحاذق يكون له دوما حظ أفضل فى النجـاح ، ولا يحتاج الا الى تفـوق ضعيف فى نسبة القوات كى يحطم الدفاع • ان الانتشار يزيد بحد ذاته من المساحة التى تتاح لمناورة من الجناح داخلية أو خارجية(١) •

وينطبق هذا الشرط الأساسى على العمليـات التى تستخدم فيهـا الاسلحـة الذرية التعبوية أو من الممكن استخدامهـا بزيادة الانتشار المتبـادل • فعندما تطورت الاسلحة الذرية التعبوية وبعد أن درست المشكلة توصلت الى الاستنتاج أن هناك شكا فى انها تعمل لصالح الدفاع لتؤكد تفوقه كما حاول البعض تأكيد ذلك •

---

(١) Manoeuvre de flanc, interne ou externe

وفي الواقع تخيلت طريقة (خرق) الدفاع بالاستناد الى استعمال الاسلحة الذرية التعبوية من النموذج والعيار المعروفين آنئذ (أى الـ ٢٠ كيلو طن) وقد ظهر لى أن هذه الطريقة تتيح لمهاجم ماهر كثيرا من الاحتمالات الحسنة مثيلة « للهجوم الميكانيكى الجارف » كما كان يصمم قبل الحرب الاخيرة ٠

فالى أى مدى سيتعدل هذا الاستنتاج بسبب تطور الاسلحة الذرية ذات المردود الضعيف ؟ هذا هو السؤال الذى سيبقى دائما فمن الممكن استخدام هذه الاسلحة بشكل أكثر تمييزا بسبب صغر قطرها التدميرى مع خطر أقل على قطعاتنا الخاصة التى تقوم بالدفاع وهى تخفف فى الواقع المساحة الميتة التى يستطيع المهاجم أن يتجمع فيها خلال اللحظة الاخيرة بعد أن انتشر فى التقرب ٠ وينبغى أن يكون هذا العمل لصالح الدفاع ولمنفعته ٠ ومن ناحية أخرى فان ازدياد الانتشار لدى المدافع يخفف من التركيز الضرورى لدى المهاجم ويسمح لقوة الهجوم المنتشرة بالتسرب بسهولة أكثر ٠ ومنذ اللحظة التى تتسرب فيها الى موقع المدافع تمارس أثرا معنويا متميزا بتهديد مؤخرة العدو الذى يحاول التعويض بصورة واسعة وفعالة الضغط المادى ٠ ولكى نبرهن ان الاسلحة الذرية التعبوية تتيح ميزة للدفاع بصورة عامة ولدفاع منظمة O.T.A.N. بصورة خاصة فان ما يمكن أن نقدمه بصورة منطقية هو ان وجودها من شأنه أن يشكل اعاقة لحشد كمية هامة من القوى وتركيزها من قبل المهاجم وحتى لو كان لديه تفوق عام بنسبة ثلاثة الى واحد يستطيع حقا أن يغامر بتكتيل قطعات بشكل كاف فى منطقة محددة ليؤمن لنفسه تفوقا محليا من عشرة الى واحد وربما أيضا من خمسة الى واحد فى نقطة الخرق المنتقاة ٠

ومن جهة أخرى منذ ان سبب وجود الاسلحة الذرية بزيادة الانتشار لدى الطرفين فللمهاجم فرصة أفضل من السابق فى أن يضمن لنفسه ميزة نوعية بمهارته المتفوقة فى المناورة ٠ وتستطيع هذه المناورة المتفوقة أيضا أن تجعله قادرا على خرق الجبهة دون أن يملك التفوق العددى ٠

وهكذا وبالاختصار فان من المشكوك فيه أن يتيح تجهيز قوى حلف الاطلسى بالاسلحة الذرية التعبوية مكاسب من الممكن مقارنتها مع الاخطار الاضافية التى تتعرض لها وحتى الميزات فى طاقة نموذج ذى مردود ضعيف والتى قد تبدو جدية جدا لأول وهلة من شأنها أن تتلاشى على ضوء تحليل دقيق ٠

ويسمح الاختبار الواضح بالتأكيد على أن الاشراف والرقابة على

الاسلحـة الذرية ذات المردود الضعيف ينبغى أن يكون أكثر لا مركزية وبصورة خاصة عندما تجهز كتائب المشاة بهاونات تستطيع رميها ... هكذا سيصبح من الصعوبة أكثر ان نبطىء استخدامهـا غير المصمم فى حالة عاجلة محلية .

ان هذه الاسلحـة ذات المردود الضعيف تتيح فرصة أفضـل من الناحية النظرية كى يقتصر العمـل الذرى على منطقة المعركة وأن يتحدد مقياس وسعة التخريبات بهذا الشكل وذلك فى سبيل خدمة الانسانية والحضارة . ولكن منذ ان وجدت كل نماذج الاسلحة الذرية أضحى من الممكن تجاوز كل الدرجات فى العمل الذرى والانتقال من مستوى معين فى العمل الذرى الى مستوى آخر ، واضحى من الممكن بهذا الشـكل أن تندلع الحرب الشاملة . والدروس المستقاة من تجارب الانفعالات العاطفية للكائنات البشرية فى الحرب ، هذه الانفعالات التى قد تؤدى بنا الى كارثة محتمة أقل تشجيعـا من النظرية التى قادت الى تطور الاسلحة الذرية (وهى النظرية التعبوية) .

٦

هل تشكل الغازات حلا آخر وأفضل ؟

لقد استند الدفاع الغربى بصورة متزايدة الى استعمال الاسلحة الذرية التعبوية ثم اعتمد الدفاع الغربى عليها بصورة اساسية . وهذا الارتباط ارتباط تأتى من القرار المتخذ فى عـام ١٩٥٤ بتجهيز القوى البرية والجوية باسلحة من هذا النوع .

ولكن منذ ذلك الزمن طور الروس من ناحيتهم الاسلحة الذرية التعبوية فهل من الممكن أن نعتمد وقتا أطول على تجهيز O.T.A.N. بمثل هذا النوع من الاسـلحة لموازنة التفوق العددى الروسى . فمن المشكوك به جدا أن تساهم الاسلحة الذرية يعملها لصالح الدفاع أكثر من صالح الهجوم .

من المعروف جيـدا فى الوقت نفسـه أن القطعات الروسية مدربة تدريبا عاليا على المناورة فى ظروف ذرية ، وبصورة خاصة باستخدام الانتشار والظلام بمهارة .

والواقع أن فى مكنتها ان تكون افضل تدريبا على هذا النوع من « اللعب » من القسم الاكبر من قطعات حلف الاطلسى ، فضلا على ذلك ، فان القادة العسكريين للحلف O.T.A.N. لم يعتقدوا أبدا بأنه من الممكن ان يكون العمل الذرى محدودا فى سـاحة المعركة بل على العكس فقـد عبروا فى غالب الاحيـان عن انطباعهم بانه متذ ان تسـتخدم مثل هذه الاسلحة يتحول استعمالها حالا الى حرب ذرية شاملة ، الامر الذى يعنى انتحارا متبادلا وتدميرا للعالم ..

وقد عبر الجنرال كرونتر عن الرأى نفسه فى عام ١٩٥٤ عندما كان قائدا عاما وعندما اتخذ القرار باستخدام الاسلحة الذرية التعبوية . وقد فعل الفيلد ماريشال مونتجومرى الشىء نفسه. وقد اتخذ الاستنتاج الكئيب مرة أخرى فى عام ١٩٥٧ من قبل ، خلف الجنرال كرونتر الجنرال نورسـتاد الذى صرح انه وفى رأيه من المسـتحيل ان نرسم خطا بين

الاســـــتخدام التعبوى لمثل هذه الاســلحة ضد القوى المهاجمة وبين استخدامها السوقى ضد الأراضى الوطنية .

ثم اضحى هذا الاستنتاج اكثر دقة وقوة فى عام ١٩٥٨ . من قبل الأميرال شارل براون القائــد العام الحالى للقوى المتحالفــة فى أوربا الجنوبية فقد اكد هذا القائد فى واشنطن قبل أن يستلم قيادته قائلا :

«اننى لا أثق بما يسمونه الاستخدام المراقب للاسلحة الذرية . فليس هناك أى تمييز واضح بين الاوضاع التعبوية والسوقية . اننى لا أريد أن أوصى باستخدام ســلاح ذرى ، مهما كان هذا السلاح صغيرا عندما يكون فى استطاعة الطرفين تدمير العالم » .

لقد كان استنتاجه معبرا جدا وله معناه نظرا لمعرفته بهذه المشكلة فى مركزه السابق عندما كان قائدا للاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط وهو أقوى قوة ضاربة فى أوربا وفى الشرق الادنى .

فهل هناك حل آخر يولد الأمل كوسيلة فعالة للدفاع ولكنهـــا لا تؤدى الى الانتحار ؟

ان الفازات تتيح مثل هذا الاحتمال وبخاصة تحت اشكال جديدة تسمح بوضع الخصم خارج المعركة دون ان تجر الى الموت .

لقد كان الغاز الخردلى أكثر الاسلحة الكيمياوية فاعلية أثناء الحرب الاولى اذ أخرج من المعركة جنودا بأعداد لم يستطع أى سلاح آخر اخراجهم ولكنه قتل منهم عددا أقل من العدد الذى يمكن أن تقتله الاسلحة الاخرى. وفضلا على ذلك فقد عمل لمصلحة الدفاع ودعمه بآثاره المعوقة والمبطئة .

أما اليوم فقدصممت غازات تشكلسلاحا مضادا للهجوم نتيجةأثر الابطال والشل الذى تحدثه وهذه الغازات قادرة على « جعل القطة خائفة امام الفأر » وليس ذلك بالمعنى المجازى فقط بل بالمعنى الحقيقى.

ويثبت هذا التطور تنبؤا حدث منذ أربعين عاما ، اذ بعد الحرب العالمية الاولى بوقت قصير أكدت فى كتاب صغير عن الحرب المقبلة أن من مصلحة الشعوب المتنازعة ومن مصلحتها الخاصــة أيضا كمـــا تتطلب الانسانية ذلك ان تتوصل الى نهاية الحرب ومنتهاها بأقل خسائر ممكنة فى الارواح البشرية والصناعة . ان نشر الموت والدمار بصـــورة واسعة معناه الاساءة الى ما تملكه الانسانية فى المستقبل وبذر بذور الانتقـــام وتعريض امنها للخطر فى المستقبل » .

وتوصلت الى الاقتراح بأن العلم الكيماوى قد زود الانسانية بسلاح يخفف من ضرورة القتل ويحصل على نتائج حاسمة مع ايقاع خسائر أقل تأثيرا من الاسلحة المحشوة بالمتفجرات ٠

وانه لمن السخرية ان يوقف هذا الاحتمال الملىء بالامل بمنع استخدام الغازات اثناء الحرب الذى اوصى به وقبل فى مؤتمر واشنطن فى عام ١٩٢١ ثم اتخذ به قرار مرة اخرى فى جنيف . وقد اضافت الدول الموقعة فى واشنطن على المنع فقرة تنص على استنكار استخدام الغازات والمواد الكيماوية السامة والابلاغ عمن يستخدمها وفضحه كما استخدمت بشكل أفزع كل المدينة أثناء حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ ٠

لقد كان هذا القرار انفعالا عاطفيا وبخاصة ضد الاسلحة الحديثة اكثر من كونه استنتاجا منطقيا ناتجا عن تجربة الحرب ٠ ثم اضحى هذا المنع غير منطقى مع البداهة عندما تحلل ارقام الخسائر التى جمعت تفاصيلها الكاملة وصنفت من قبل الجيوش الامريكية والبريطانية ٠

وكانت نسبة الخسائر البريطانية بالرصاص او القنابل المتفجرة تبلغ تقريبا ميتا واحدا من كل ثلاثة يصابون فى حين كانت الخسائر من الغازات ميتا واحدا من أصل ثلاثين أصيبوا بها .

ولقد كانت الارقام الامريكية ايضا اكثر تعبيرا ، فقد عرف الامريكان حرب الغازات وهى فى قمتها لان جيشهم اشترك فى الحرب متأخرا وكانت ثلث خسائرهم العامة بسبب الغازات . ولكن لم يمت الا رجل واحد من أصل خمسين أصيبوا بها ، فى حين أن هذه النسبة ارتفعت الى رجل واحد من أصل أربعة أصيبوا بالرصاص أو القنابل المتفجرة ٠ هكذا نجد الجندى الذى يخرج من المعركة مصابا بالغاز لديه من الفرص مايعادل اثنى عشرة مرة أكثر من الجندى الذى يتعرض للرصاص لكى يعود الى المعركة ٠

ويفسر الفرق بين النسب البريطانية والامريكية بان البريطانيين تحملوا الهجمات بالكلور فى عام ١٩١٥ والهجمات بـ (الفوسجن) فى عام ١٩١٦ وهو غاز مميت أكثر ولكنه أقل ايلاما ٠ وعندما وصل الامريكيون الى ساحة المعركة كان قد حل محل هذه النماذج الغاز الخردلى وهوغاز أكثر فاعلية ولكنه أقل اماتة بالرغم من أنه كثير الألم ٠

وقد فوجئت القطاعات الفرنسية والبريطانية فى YPRES بالهجوم الاول للغازات فى أبريل (نيسان) ١٩١٥ وهى بدون وقاية. وقد أحدث

منظر الرجال الذين يختنقون حتى الموت من ضباب الفازات الخانقة الذى ينتشر فوق خنادقهم شعورا بالفزع والرعب تضاعف بشكل واسع من جراء التقارير المثيرة للعواطف ومن جراء الدعاية . وكانت نسبة الموتى تقريبا فى هذه الهجمات الأولى واحدا من أصل أربعة مصابين . وقد ظهر هذا السلاح الجديد الذى سبب نسبة فى القتلى كبيرة كنسبة القتلى بالرصاص أو المتفجرات التقليدية وكأنه سلاح أكثر وحشية . وقد خيم هذا الانطباع الاول بعد ان استغل من قبل الدعاية على اذهان الجماهير ، وغطى على نسبة القتلى التى تناقصت بشكل واسع بالنسبة لفاعليتها فى اخراج عدد هائل من الجنود من المعركة أصيبوا بالفازات التى استعملت فيما بعد اثناء الحرب .

واليوم يظهر الاستنتاج الواضح لنسب القتلى فى الخسائر أن الغازات المستخدمة اثناء الحرب العالمية الاولى كانت اكثر انسانية كسلاح من القنابل والقذائف ومن الرصاص ايضا .. وينطبق هذا الامر أيضا على انواع الفازات التى سببت اكثر الآلام لان غالبية الجنود يفضلون فترة من التعذيب والالم على فرصة أكبر بعشر مرات فى الموت ، بالرصاص والقنابل المتفجرة . فضلا على ذلك فان الروح الانسانية النسبية للسلاح الكيماوى كانت أكبر بكثير نظرا لانه من الممكن الحصول على النتائج العسكرية المطلوبة دون تدمير المدن وتخريب البلاد وهو امر لا يمكن ان تتجنبه الاسلحة المتفجرة .

وهكذا نجد أن الاثر الرئيسى لمنع واشنطن وجنيف هو بكل سخرية وأسى الحفاظ فى ساحة معركة المستقبل على آثار المتفجرات التى هى اكثر قتلا وفتكا ، وعلى آثارها المخربة لبنية المجتمع المتمدين ، لان الأسلحة المتفجرة تلغى الشروط الاقتصادية لعودة من الحرب الى السلم . ولقد تعاظم الخطر منذ أن عجز قادة الحرب عن اختيار الاسلحة ومنذ أن تطورت الطاقة الجوية وتضاعفت عند ظهور الطاقة الذرية .

وبالرغم من ان الابحاث والتجارب عن الفازات استمرت ، الا ان الاتفاق الموقع لمنع استعمالها فى الحرب قد ابطأ الدراسات العسكرية حول الاستخدام التعبوى للفازات كما أبطأ استعمالها فى التمارين . فليس هناك من جيش راغب فى الظهور بمظهر الذى يستعد لاستخدامها اثناء الحرب .

وقد تعزز هذا التقييد وتدعم بسبب نفور الجنود واشمئزازهم

من الاســلحة غير التقليدية التى كانت تتفوق دائمـا . وقد تمثلت فى القديم بالقائد الاسبارطى ارشـيد أميس الذى صرح وهو يرى نبـلة (سهما) ينطلق من منجنيق جديد قائلا :

« آه ـ هرقل ان قيمة الرجل تلمس نهايتها . »

وبالتفكير نفسه كان الفارس بايار (١) الذى كان رمزا للفروسية فى القرون الوسطى ، لا يحس بأية شفقة ورحمة تجاه الفرسان فى حين كان يعامل الرجال المسلحين بالسيف والرمح الذين يقعون فى الأسر معاملة ودية ..

وهناك ايضا حذر من الجنود حول قيمة الغازات غير القاتلة . وقد تمثل هذا فى الجواب الذى قدمه قائد من القواد فيما يتعلق بمثل هذه الاسلحة الى رجل كيمياوى بريطانى كان يشير باستخدام الديكلوروايثيل الســلفونية (الغاز الخردلى) (٢) قبل ان يطبقه الألمان بسنتين وكان السؤال الاول للجنرال كما يلى :

« هل يقتل ؟ » فأجاب الكيمياوى :

« كلا ولكنه يضع خارج المعركة مؤقتا عدد هائل من الاعداء » .

فرد عليه الجنرال « ان هذا الغــاز ليس مناســبا لنا لاننا نريد سلاحا يقتل .. »

ومن العوامل المؤثرة التى منعت اســتخدام الغــازات فى الحرب العالمية الثانية هو خوف الجنود وحذرهم من الاسلحة الكيمياوية بشكل عام ، يضاف الى ذلك عدم تعودهم عليها وعدم استخدامها فى فترة مابين الحربين العالميتين لتـدريبهم عليها . ومن المحتمـل أيضــا أن عـدم استخدامها يعود الى اقتناع الطرفين اللذين يملكانها حقا انه فى مكنة كل طرف أن يستخدمها فى اعمال انتقامية فيما لو استخدمها الطرف الآخر وبصورة مشابهة لم تستخدم الدبابات .C.D.L (المجهزة بالانوار الكاشفة التى تضىء وتطفىء لاعماء العدو وللرمى ليلا) ـ وهى اختراع بريطانى صرفت عليه ملايين الجنيهات ـ لم تستخدم هذه الدبابات ابدا اثنـاء

---

(١) بايار ـ كابتن فرنسى ، ولد بقرب جزينوبل عام ١٤٧٣ ـ اشتهر فى الحروب التى وقعت بين شارل الثامن ولويس الثانى عشر وفرانسوا الاول .

(٢) DICHLOROETHYL SULFONE المعرب

الحرب بل احتفظ بها سرية جدا لدرجة أن قادة الوحدات على الارض كانوا يعتبرونها بكثير من الحذر ويترددون فى استخدام أسلحة لم يعتادوا عليها .

فلو استخدم الحلفاء الفربيون الفاز الخردلى فى عام ١٩٤٠ لاستطاعوا بالتأكيد وعلى وجه التقريب منع الالمان من خرق جبهة الموز وغزو فرنسا ، فحتى لو مرت الدبابات فان كتل المشاه السائرة على اقدامها لم تكن لتستطيع النجاح فى المسير فى اعقابها ، ولكان فى الامكان عزلها . وبهذا الشكل كان من الممكن انقاذ فرنسا . وفى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ أيضا كان بامكان الالمان ان يجابهوا برا تقدم الحلفاء بالوسائط نفسها حتى ولو كان عليهم أن يسقطوا تحت وطأة هجمات الابادة الجوية للحلفاء .

ان هذا التفكير يثير الشك حول الزعم الذى يترد غالبا ومحتواه ان الشعوب قد تستخدم كل الوسائط لتنجو من الهزيمة فى حالة الخطر، ولكى تربح الحرب دون أن تقيم أى اعتبار للقواعد التى وقعت عليها أو ساهمت فى انشائها أثناء السلم . ان لعدم الاعتياد على سلاح ما والشك فى النتائج التى يحققها قدرة ايقافأكبر بكثير من أى اتفاق توصلت اليه كل الاطراف .

ولكن ، فى مجال تحديد الحرب ، كان تقييد استخدام الغازات لاحقا لمنعها المطلق ولم يتوجه رفضها العملى بعد الحرب العالمية الأولى لصالح الانسانية والحضارة . وقد قاد تطور الانفجارات التى تتابعت بخطوات واسعة الى الحرب الذرية وبلغ أقصى ذروته مع القنبلة الهيدروجينية التى تهدد اليوم العالم بالخراب ، فضلا عن ذلك فان البلاد التى يحتمل أن تهاجم فى الوقت الحاضر من قبل مهاجم مزود بقوات تتفوق عدديا ، مستعملا الأسلحة التقليدية تواجه باختيار بشع ، بين حقيقة الهزيمة التى تعنى العبودية ، وبين شبه الحقيقة بالانتحار لو استخدمت الاسلحة الذرية فى دفاعها .

ان العودة الى الاسلحة الكيماوية قد يتيح حلا اختياريا أفضل واملا متسعا فى دفاع فعال ، دون انتحار ، اذا فشل الهجوم المباشر الشامل الرادع . ان الاسلحة الكيماوية أكثر فاعلية فى ابطاء الغزو وتأخير التقدم برا وهى أقل فاعلية ضد القوات المعسكرة وضد المدن .

وقد اخترعت غازات جديدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية قادرة

على الوصول الى داخـل الدبابات لتؤثر بسرعة فى المعـركة فى جـزء من الدقيقة على حين لا يملك الغاز الخردلى مثل هذه الفاعلية لخنق أى هجوم٠

ان لمن السخف بشكل خاص أن نمتنع عن الاستخدام الدفاعى للغاز الخردلى وهو أكثر الغازات فاعلية فى الايقاف وأقل الاسلحة فتكا بتطبيق الاسلحة الذرية ، وهى أسلحة الفتـك الجماعية وتنتهـك مجموعة قوانين الحرب أكثر من أى سلاح آخر كالغاز الخردلى الذى يعتبر سلاحا انسانيا نسبيا ٠

فضـــلا عن ذلك، فان هناك نماذج ظهرت مؤخرا من الغازات التى تتعرض للأعصاب وهى أكثر فاعلية أيضا وهى تحدث اخراجا للمهاجم الى خارج المعركة ، لمدة معينـــة ، دون أن تقتله ٠ وهى تشَـــل ارادة القتال وتقتلع بأس أكثر المهاجمين شراسة ٠٠٠

ومفعول هذه الغازات مؤثر وسلبى ، وقد ظهر هذا المفعول بادخال فأر وقط فى علبة فى الوقت نفسه ، فينقض القط بسرعة على الفأر وبعد أن يتنفس الفأر تنقلب غرائز ٠ ففى كل مرة يقترب فيها الفـــأر يقفز القط الى الوراء من الهلع ولا ينقصه الا ان ينقلب واقعا وهو يجهد نفسه فى تجنب الفأر ٠ ان مثل هذه الظاهرة ، ووجود مثل هذه الغازات معجزة من المعجزات وهى كسلاح أكثر تشجيعا للســلم والانسانية من مضاعفة السلاح الهجومى المباشر الشامل الذرى ٠

- ٧ -

هل تكفى القوات التقليدية ؟

لقد أعادت الصواريخ الروسية منظمة .O.T.A.N الى الدائرة التى انطلقت منهـا فى عام ١٩٤٩ أى بمعنى أنها اعادتها محتاجـة الى دفاع « تقليدى » وهجوم مباشر شامل رادع . ولكن مع هذا الفـرق التالى الذى يعنى أن ضربة مفاجئة محلية هى أكثـر احتمالا من غزو جماعى فى ظل التهديد بحرب ذرية ، هذا التهديد الماثل بشكل دائم.

ولكى نجابه مثل هذه الضربة فى أوربا بصـورة فعالة ، لا نجـد الصعوبة فى أهمية هذه المشكلة بل نجدها أكثر حدة فى القدرة على حلها من قبل أولئك الذين يريدون مواجهتها أيضا فى التعابير القديمة للدفاع.
واستنادا الى القاعدة القديمة لامكانية مواجهة غـزو على نطاق واسع ضد الجيوش السوفيتية فقد توصل المخططون الفربيـون الى استنتاج فى عام ١٩٥٠ ، هذا الاستنتاج يقول : ان قوة تفطية مؤلفة من اربع وثلاثين فرقة منها ثمانى عشرة فرقة مستعدة لعمل فورى ينبفى أن تكفى لايقاف هجوم مفاجىء على الجبهة بين النمسا والبلطيق .

وبينما كانت خطة .O.T.A.N تتطور لصالح الجبهة المركزية فى أوربا ، فى عام ١٩٥٢ لتبلغ هدفا يضاعف مرتين هذا الرقم ، الا أن هذه الزيادة كانت تشتمل اساسا على فرق احتياطية قابلة للتجنيد لمواجهة التجنيد المقابل للفرق الاحتياطية الروسية . وبعبارات أخرى فقـد كانت خطة التوسع هذه نتيجة جدول تقليدى لقتال بطىء على الاسلوب القديم .
وقد قدر المخططون استنادا الى التجربة أن قوة تفطية مؤلفة من اربع وثلاثين فرقة عاملة لها فرصة جيدة لايقاف هجوم لسـتين الى سبعين فرقة سوفييتية ، وهو الحد الأقصى الذى يبـدو ممكنا بعـد حساب التنقلات والتموين ، اللازمين لها ، فى المرحلة الأولى للحرب . وقدر المخططون أيضا انه مهما كان عدد الفرق اللازمة للتعزيزات التى

يتمكن الطرف السوفييتى من تجنيدها ، فمن الصعب استخدام أكثر من ضعف هذا الرقم أثناء تقدم عميق نحو الغرب . وهكذا يبدو أن قوة التغطية التابعة لحلف الاطلسى مع تعزيز نسبته لتعادل النسبة المرسومة فى عام ١٩٥٠ – ١٩٥١ يعتبر ضمانا جيدا للوضع .

ان الحجم الحالى لقوات .O.T.A.N قد تدنى كثيرا بالنسبة للمستوى الذى كان مقررا بلوغه فى عام ١٩٥٤ .

ولكنه ايضا ليس من المستحيل بلوغه ، عسكريا أو اقتصاديا كما يدعى البعض اليوم .

وبحسب تقديرات .O.T.A.N احتفظت روسيا لمدة طويلة بجيش تعداده تقريبا ١٧٥ فرقة فى حين يبلغ التعداد العام للسكان حوالى ٢٠٠ مليون نسمة تقريبا . اما سكان البلدان التابعة للحلف فيبلغ تعدادهم (٢٣٠) مليونا فى أوربا و٤٠٠ مليون فى التعداد العام ، ولكنهم انشئوا فقط ثلاثين فرقة عاملة معظمها ليس جاهزا للعمل – لتغطية اوربا الغربية والمركزية . وفى الواقع كان عبء الدفاع عن هذا المسرح يقع بصورة أساسية على فرق من المجندين الامريكيين ، والبريطانيين يبلغ مجموعها الكامل ثمانى فرق . وان الفروق القصوى بين القوى البرية ليس مبعثها الفروق الكائنة فى الطاقة البشرية الجاهزة. وهكذا نجد ان مبعثها أساسا ضعف الارادة أو ضعف التنظيم وليس من المستحيل تصحيح الاولى ولا الثانية .

فعندما نعتبر عدد الفرق التى استطاعت روسيا الاحتفاظ بها فان المشكلة تطرح لمعرفة ما اذا كان نموذج .O.T.A.N وبنيته الأساسية معقدة جدا وكثيرة التكاليف . فمن الممكن ايجاد الجواب اذا وجدت الارادة والفكرة الجديدة .

فمن غير المعقول أن تثابر بلدان .O.T.A.N على الحياة فى خوف دائم من شعب كثافة سكانه اقل بكثير منها وموارده المادية أقل ويبقى راكبا سن الرمح : انتحار أم هزيمة .

ومن الممكن التخفيف من الصعوبات الاقتصادية التى تحول دون بلوغ الحد الأدنى من القوة المطلوبة بتطوير التنظيم وباحداث تكتيك جديد .

ان فرق .O.T.A.N ذات النموذج الحالى – وهى حصيلة المقاييس القديمة للحرب كثيرة التكاليف فى تجهيزها ، الأمر الذى جعل

عددها محددا ، وجعلها أيضا ذات مطالب كثيرة فى تموينها ، الأمر الذى يتركها مشلولة بسهولة فى حرب ذرية ، وتحدث ازدحاما عند نقلها على الطريق مما يجعلها غير مقبولة فى شروط الحرب الذرية ولا فى شروط العصابات .

ان النموذج الحالى لفرقة .O.T.A.N ذى « ذيل » يتشكل من غير المقاتلين ـ من عناصر المصالح التابعة للفرقة ـ أكثر أهمية « بمرتين من الفرقة المدرعة أو الميكانيكية السوفيتية مع أنها أقل منها فى قوة النيران . والذيل الادارى الغربى المخصص لتغذية فرق العمليات وخدمتها أهم أيضا بكثير فى نسبته عن نسبة الفرق الروسية . ولكن المدافع الذى يناور على أرضه الخاصة اساسا لا ينبغى أن يحتاج الى حجم فى التموين والنقل مماثل للحجم الذى يحتاجه المهاجم القادم من بعيد جدا . وينبغى عليه أن يكون قادرا على استخدام مختلف القوات المحلية التى تتطلب وسائط نقل قليلة نسبيا بصورة فعالة . وللقادة الغربيين وجهة نظر يتمسكون بها وهى أنه من غير الممكن صد أى غزو واسع النطاق دون الاعتماد على الاسلحة الذرية ، وهم يطابقون خططهم مع هذا المبدأ وهو يعنى العودة الى قبول يائس بالانتحار عند احتمال هجوم هام ، ولا شىء يعبر تعبيرا افضل عن اليأس ولا أكثر تثبيطا للعزيمة فى اذهان الشعوب من هذه الفكرة . فستكون الحكومات غير جديرة بثقة شعوبها اذا لم تعالج مشكلة وضع شكل للدفاع لا ينتهى بالانتحار ، وانشاء الحد الادنى من القوات العسكرية الضرورية لهذا الهدف . فمن الممكن حل هذه المشكلة بأفكار جديدة مع بذل الجهود المناسبة لها . وينبغى ألا يكون ثمنها أغلى من الثمن الذى يدفع حاليا على أوهام فى الدفاع .

وكان من الممكن أن يمر هذا الوضع بصورة أفضل لو ان خطة حلف الأطلسى الأساسية لم تهمل ابدا ، لأنها كانت تتيح امكانية دفاع فعال بصد الفزو دون النفاذ الى الحرب الذرية ..

ولقد كان السبب الأول لترك هذه الخطة فيما عدا نكهة الجيل الجديدة ، النفقات الكثيرة التى يتطلبها جمع وتجهيز فرق عدة ، الا أن النفقات المطلوبة كان مبالغا فيها ومضخمة بسبب استمرار عادات التفكير الآتية من الحرب الأخيرة فيما لا يتعلق بالتجهيز والتنظيم . فلو اعيد تنظيم الفرق بطريقة اقتصادية أكثر ، ولو اعيد النظر أيضا فى التكتيك (النظام التعبوى) لأمكن ايجاد درع من القوات المناسبة ولأمكن

تكييفها بنفقات أقل بكثير . ولقد كانت الضرورة الأولى تحتم مزيدا من التفكير الجديد ..

ان المشكلة قدتحولت الآن ، وقد قل حجم القوات اللازمة لأن الروس يستطيعون بالكاد أن يفترضوا أن فى مكنتهم القيام بغزو شامل على مدى كبير دون اثارة حرب ذرية مصيرها الانتحار .

وافضل ما يأملون القيام به هو هجوم محدود فى قوته الذاتية فى الوقت والأرض وهذا هو احتمال وخطر ينبغى أن تستعد له منظمة الحلف .

فما هى القوة التى يستطيع الروس استعمالها فى مثل هذا الهجوم ؟ هناك عشرون فرقة روسية فى المانيا الشرقية وكلها فى الوقت الحاضر من النموذج المدرع ، ثمانية منها فرق للدبابات واثنتا عشرة فرقة هى من الفرق الميكانيكية ، فمن الممكن دون شك أن تكون قوة الصدمة للضربة المفاجئة تعادل اربعين فرقة ، تعزز الفرق الموجودة حاليا بصورة سرية دون أن ينذر الغرب بذلك بالرغم من أن هجوما على هذا المقياس هو ضعيف الاحتمال نظرا للخطر المتزايد بصورة هائلة والذى ينذر بأنه من الممكن أن تتعرض لخطر التحول الى حرب ذرية شاملة . ومع ذلك يبدو منطقيا أن نفكر فى « أسوأ الحالات بالنسبة الينا ».

فما هى القوات التى يحتاج اليها حلف الاطلنطى لمجابهة مثل هذا الهجوم وليؤمن نفسه ضده ؟ ان نسبة الجبهة المطلوب الدفاع عنها الى حجم القوات تشكل عقدة المشكلة الا اذا كان المدافع ضعيفا ذهنيا ومفتقرا الى الحركة بالمقارنة مع خصمه . وتنقلب النتيجة اذا كان لدى المهاجم مجال المناورة الضرورى للقيام بمناورة على الجناح أو لكى يخترق شبكة النيران المعادية دون جهد . ولكن من البديهى أنه من الممكن اقامة دفاع متحرك يقاد بشكل جيد دون تحديد وحتى على جبهة عريضة تشابه عرض الجبهة الروسية الا اذا كان للمهاجم تفوق عام يتجاوز نسبة الثلاثة الى واحد (وسيحلل هذا الموضوع بعمق فى الفصل الثانى).

ومن العقل ان نقبل بكثير من التساهل حجما معقولا من القوات ونظرا للنوعية غير المتساوية لقوات حلف الأطلسى الحالية المشكلة من خليط من القوميات تختلف فيها أساليب التدريب ونظرا للفاعلية المتزايدة للجانب الروسى . وهى تستطيع بهذا الشكل أن تكون قادرة على الصمود بنسبة ١ الى ٢ بينما تؤمن نسبة ١ الى ٥ر١ هامش أمان.

انه لمن الممكن أن تشكل قوة متحركة مؤلفة من عشرين الى ثلاثين فرقة عاملة ، استنادا الى هذه القاعدة ، ضمانة جيدة ، ليس فقط ضد ضربة مفاجئة تقوم بها القطعات السوفييتية الموجودة حاليا ، بل أيضا ضد هجوم ــ ممكن ولكنه أقل احتمالا ــ يصمم مع تعزيزات سرية (انظر الفصل ١٦)..

ومن الناحية العددية بلغنا فى الوقت الحاضر أضعف الارقام بتشكيل الجزء الأول من الفرق الالمانية ، وسنبلغ الرقم الاعلى عندما تشكل بقية الاثنتى عشرة فرقة الالمانية الموعود بها . وهكذا نجد ، وبعبارات حسابية ، أن المطلوب هو جهد بسيط اضافى تقوم به البلدان الاخرى الاعضاء فى المنظمة . كما ان عودة الفرق الفرنسية الاربع التى أرسلت الى الجزائر سيسد الثغرة حتما .. (١)

ولكن لا يمكن أن يعتبر هذا التأمين ضمانة كافية وحسنة اذا لم يطرأ تحسن كبير على حالة الاستعداد للعمل . ان نسبة الفرق الجاهزة للهجوم (ى) ضعيفة جدا ..

وان تعود هذه الفرق على أنماط من العمل من الممكن استخدامها، لا يقل عن ذلك أهمية ، اى بمعنى أن تكون جاهزة لردم أية ثغرة محلية قبل أن تتسع بوقت قصير او فى صد ضربة مفاجئة بقوى ميكانيكية او محمولة جوا . ان هذين النوعين من العمل يتطلبان نماذج من القوات مختلفة : فرق مشاة خفيفة (مع حد ادنى من التجهيزات الثقيلة ووسائط نقل للسير على الطرقات) وهذه الفرق أساسية فى الحالة الأولى ، كما أن الفرق المدرعة أساسية فى الحالة الثانية . ويزيد هذه الضمانة قوة استخدام اضافى لميليشيا محلية ، فى كل حالة من هذه الحالات ، وهذه القوات لا تتطلب الا نفقات ضعيفة نسبيا ..

ان النموذج التقليدى (الكلاسيكى) لفرقة المشاه ، المسلحة تسليحا جبارا أو مجموعة الألوية التى ما زالت تشكل العنصر الراجح المتفوق فى قوات درع حلف الأطلسى هى أقل ملاءمة بكثير للنوع الأول أو الثانى من أنماط العمل . وتكلف فرقة المشاة نفقات أقل وتتطلب «ذيلا» أصغر (من الاشخاص غير المقاتلين) بشكل يمكن فيه تجهيز عدد

---

(١) كتب هذا المقال فى عام ١٩٦٠ وكانت فرنسا ، فى حربها الاستعمارية ضد الجزائر ، قد سحبت كل قواتها من حلف الأطلسى لمجابهة ثورة شعب بطل .

(المعرب)

اكبر بكثير من الفرق بنفس الكمية من المال والرجال . وتستطيع هذه الفــرقة أن تشكل عونا مثيلا « لمفارز الحــريق » صالحا للبــلدان الصغيرة كالدانمرك الواقعــة على جنـــاح الجبهة الرئيسية فى أوربا الوسطى – والمعرضة بشكل خطير لهجوم روسى . أما فى الجبهة الرئيسية فمن الممكن أن تكون الفرق أساسا من النمــوذج المــدرع نظرا لان الفــرق الروسية المتمركزة فى هذه المنطقة هى كلهــا الآن من هــذا النمــوذج الجــديد .

وتتألف قوات الخط الأول البلدان القارية ، فى الوقت الحاضر ، من فرق عاملة – اسميا – تتشكل فى الجزء الاعظم منها من مجندين خدمتهم الاحتياطية قصيرة ولكنهم لا يصلحون لأعمال سريعةولعمليات متحركة . ومن المفضل أن يتشكل جزء هام من هذه الجيوش القارية على أساس الميليشيا المحلية مهيأة لتقاتل فى مناطقها الخاصة ، وتغذى من مستودعات محلية موزعــة فى عدد كبير من الملاجىء تحت الأرض وتشكل قوات مماثلة قوة كبرى من الحرس القومى – شبكة عميقــة للدفاع وهى لا تحتــاج الا الى وســـائط أقل من نموذج O.T.A.N. الحالى ، كما انها لا تشـــكل الا هدفا ضــعيف التعرض للخطر . ومن السهولة بمكان اعتراضها.ان هذه القوى تصبح فعالة بعد تدريب قصير جدا مخففة بذلك العبء الحالى للتجنيد اذا ما خلطت بقوات متينــة من الدرك (الشرطة المحلية) ، محلية بصورة مشابهة . فانها تصبحأيضا مفضلة – على كل المستويات الهجومية أو الدفاعية – لحرب العصابات.

وينبغى أن تدعم ، فى الجبهة المركزية فى المانيا بقــوات متحــركة مؤلفة من قطعات محترفة راكبة كلها على آلياتمدرعة تعبر كل الاراضى، مدربة على مناورة « الانتشــار المراقب»(١) كخلية من النحل . ونظرا لنوعيتها وحركيتها فمن الضرورى أن يكون لدينا منها عددا أقل من فرق الحلف الحالية ، فهى أحسن تلاؤما مع حرب العصابات ومع الحرب الذرية أيضا التى لا يمكن قيادة عمل متحرك فيها الا بقوات صــغيرة نســبيا . وان الفكرة القائلة بأن القــوات الحـــالية لحلف O.T.A.N. قادرة على اجراء قتال متحرك وهم شائع آخر ويقع على عاتق أعضاء ما وراء البحار لمنظمة الحلف ، أى بخاصــة على بريطانيــا والولايات المتحدة ، أن تزود بفالبية القوات المدرعة المتحركة .

---

(١) dispersion contrôlé

وفى حالة احتمال استخدام اسلحة ذرية ، فان النماذج الثلاثة المقترحة ستكون قادرة على البقاء أكثر من النموذج الحالى للمشاة « الثقيلة » .

وتعود بنا هذه التأملات كاستنتاج لمشكلة الأسلحة الذرية (التعبوية) ولقد كان من الافضل لو لم تصمم مثل هذه الأسلحة فهى لم تزد فقط خطر النزاعات المحلية التى قد تتحول الى حرب شاملة ، ولكنها أيضا انقلبت الى غير صالحنا الآن بعد أن استحوذ الروس أنفسهم على مثلها، لأنه خلافا لتعرض قواعدنا البحرية للخطر ، فمن الممكن أن تتعرض مواقع الدفاع الثابتة للخطر أكثر من القوات المدرعة المهاجمة بنظام منتشر . وهناك سبب يدعونا التفكير بأن الروس قد تجاوزوا الجيوش الغربية فى فن الانتشار والتقدم دون أن يعلموا (اى تكتشف مواقعهم). ولكن منذ أن حصل الروس على الأسلحة الذرية التعبوية لم تعد القوات الغربية قادرة على التخلى عنها . فهى مخصصة للاحتفاظ بها « كورقة فى اليد » ولهذا قد نكون حاذقين أكثر لو احتفظنا بها فى اليد ، بدلا من أن نلعب بها منذ البدء .

وينبغى ان تعتبر وكأنها الملجأ الأخير ، ولكن مثل الملاذ الأخير ، كما انه من المفيد أن نستخدمها بصورة محدودة قبل أن نشن عملا سوقيا ذريا ضد مؤخرة البلاد ..

لقد طرحنا جانبا مسألة معرفة كيفية الاحتفاظ بالسلاح الذرى التعبوى دون أن تكون قوات O.T.A.N. معلقة به كثيرا وتنظيمها متضافرا معه بصورة تصبح معها غير قادرة على القيام بعمل فعال فى جو غير ذرى .

ان تمثيل مكان هذا السلاح فى الفرق وفى الألوية أيضا سياسة قصيرة النظر ، مهما كانت الجاذبية التى يستطيع أن يمارسها . ان افضل حل هو أن نمتنع عن ادخاله فى التنظيم ، باستثناء المستويات العالية جدا . (١) وبعبارات أخرى ينبغى أن لا نمنح هذا السلاح الا

---

(١) ان مايقترحه المؤلف هو الواقع اذ أن هناك ضابطا ذريا امريكيا على مستوى كل فيلق فى حلف الاطلسى ويضع الجيش تحت تصرفه عددا من القنابل الذرية التعبوية ، ولا يجوز استخدامها الا بموافقة قيادة الجيش .

(المعرب)

لمفارز خاصة بالأسلحة الذرية التى يمكن الاحتفاظ بها بغية استخدامها فى حالات طارئة .

وبما أن استخدام مثل هذه الأسلحة قد يقود الى الحرب الشاملة فاننا نحتاج الى اقامة جهاز من الرقابة القاسية الذى يجمع بين سرعة استخدام هذه الأسلحة وضرورة تقييد استخدامها واستطاعة حصره والحكم السياسى مع الحكم العسكرى فى كل قرار فى استخدامها. ومن المغامرة ترك مثل هذا القرار للقادة العسكريين لأنهم ميالون دوما لاستخدام كل سلاح صالح لو ظهر لهم أن قطعاتهم على وشك الانهزام، يعنى أنهم ميالون لعدم النظر فى التطورات اللاحقة ، وباقتصارهم على أن ينظروا نظرة ضيقة ، فقد اخطئوا فى غالب الأحيان بلوغ الأهداف السياسية العليا . وفى مكنتهم اليوم أن يدمروا العالم ..

ان الاستراتيجية العسكرية فى العصر الذرى لا تستطيع أن تترك للقادة حرية التصرف فينبغى على رجل الدولة لا أن يوجه ويراقب الهدف العسكرى فقط بل عليه أيضا أن يوجه ويراقب العمل نفسه فى كل مرحلة من المراحل ، ولبلوغ هذا الهدف لابد من انشاء أجهزة جديدة للأركان توحد بصورة فعلية فيما بين الوظيفتين (١).

---

(١) يعتقد كثير من الساسة الغربيين أن القوة النووية الامريكية أكبر نسبيا من القوة السوفيتية الا أن الروس قادرون على تعبئة قوات تقليدية تفوق طاقة الحلفاء لذلك فهم يقترحون الامور التالية :

١ ـ تدعيم السلاح التقليدى وزيادة عدد الفرق فى القارة الاوربية .

٢ ـ لن تتمكن القوى الحربية التابعة للحلف من الاضطلاع بمهمتها بدون الوحدة والتشاور السياسى والاستراتيجى للدفاع عن أوربا .

٣ ـ ينبغى على الحلفاء الاوربيين أن يشتركوا مع الامريكان فى القرارات المتعلقة باستعمال القوة النووية الذرية . متى وكيف ؟

وكل هذه الامور تنسجم مع وجهة نظر المؤلف الذى كتب في هذه الموضوعات وتكهن بها قبل أربع سنوات .

(المعرب)

- ٨ -

نسبة كمية القوات الى عرض الجبهة

لقد دفعنى منذ ثلاثين عاماT.E. LAWRENCEالمعروف بلورنس العرب أن أقوم بدراسة عن النسبة فيما بين حجم القوات المسلحة وعرض الجبهة فى الحرب . وكانت استنتاجاته الخاصة أن هذا الموضوع يشكل معضلة ذات اهمية أولى تغلف مفتاح كثير من ألغاز التاريخ العسكرى . وقد تأثرت فى كثير من المناسبات أثناء تحرياتى واستقصاءاتى وأبحاثى بأهميتها ، وبخاصة فيما يتعلق بنتائجها على مستقبل الهجوم والدفاع . وقد وجدت نفسى مساقا بسرعة الى ملاحظة هذه البديهية أثناء القرن ونصف القرن الأخير ، وبخاصة خلال الحربين العالميتين . ان هذا الموضوع موضوع جدير بأن يبحث عنه بعمق أكثر . .

وهناك نقطة لها دلالتها ومعناها تخرج فى التحليل ألا وهى الأهمية الكبرى لعامل الزمن بالارتباط مع نسبة القوات الى عرض الجبهة. والنقطة الثانية : هى أهمية النسبة بين القوى الاحتياطية المتحركة والقوى التى تمسك الجبهة ، لأن كمية القطعات الضرورية للدفاع بأمان عن جبهة ذات عرض معين قد تناقصت بانتظام خلال أقل من قرن ونصف وبعبارات أخرى أخذ الدفاع نفوذا أو سيادة مادية متزايدة على الهجوم ولم تستطع الحرب الآلية نفسها أن تجلب تغييرا جذريا لهذا الميل الأساسى .

ومن الممكن استخلاص الاستنتاجات العامة الاولى من الحروب النابوليونية معتبرين تجربة الجيوش الكبرى منذ عام ١٨٠٠ . ففى هذا العصر كانت نسبة ٢٠٫٠٠٠ مقاتل تقريبا لجبهة تعادل ميلا واحدا بما فيها القوات الاحتياطية نسبة عادية لموقع دفاعى . وكانت هذه النسبة هى جبهة ولينجتون(١) التى يبلغ عرضها خمسة أميال فى واترلو .

---

(١) جنرال انجليزى كان يسمى الدوق الفولاذى وهو القائد الذى ربح معركة واترلو وقاد القوات المتحالفة .

وقد حاول بلوخر (١) قبل ذلك بيومين أن يحافظ على جبهة عرضها سبعة أميال فى لينى باثنى عشر ألف رجل (١٢،٠٠٠) فى الميل الواحد ولكنه انهزم أمام قوة أضعف من قوته بقليل ..

ثم تناقصت الأرقام كثيرا بعد خمسين عاما اثناء الحرب الأهلية الأمريكية من ١٨٦١ - ١٨٦٥ .

وكانت نسبة ١٢،٠٠٠ مقاتل فى الميل الواحد بما فيها المقاتلون الاحتياطيون نسبة عادية لموقع دفاعى طيلة الاعوام الثلاثة الأولى من الحرب . وعندما تحسنت وسائل الدفاع فيما بعد وجد أن ٥،٠٠٠ رجل أو أقل فى الميل الواحد يستطيعون أن يقاوموا مهاجما مزودا بضعف هذه القوة وقد حافظ جيش الجنرال لى (٢) على جبهته الطويلة التى تغطى ريشموند وبترسبورج الى أن تدانت النسبة الى أقل من ١٥٠٠ رجل فى الميل الواحد .

وقد تقررت نتيجة الحرب الفرنسية البروسية بعد مناورة سوقية وتعبوية ، قبل أن يحدث اى تبدل معين فى النسبة وكان رقم ١٢،٠٠٠ رجل فى الميل عاديا بناء على ذلك لمسك موقع دفاعى . وقد ظهر مع ذلك بوضوح فى المعارك الأولى كمعركة كرافلوت القوة المتزايدة للدفاع نتيجة وجود أسلحة أفضل .

وفى حرب جنوب أفريقيا (من ١٨٩٩ - ١٩٠٢) نجح البوير مستعينين بمخازن الأسلحة وبقوة نارية فى عدة مناسبات من رد الهجمات التى قامت بها قوات بريطانية أكبر منها بكثير بنسبة تعادل من ٦٠٠ الى ٨٠٠ رجل فى الميل الواحد .

وكان لدى البوير (٥٠٠٠) رجل فقط فى ماكار سفرنين على جبهة عرشها ستة أميال وفى لولنسو (٤٥٠٠) رجل فقط على جبهة عرضها سبعة اميال ونصف ..

وقد بلغت النسبة (٨٠٠٠) رجل فى الميل الواحد أثناء الحرب الروسية اليابانية وفى المعارك الأخيرة والهامة منها . وقد تطورت هذه

---

(١) جنرال بروسي هزمه نابليون في لينى ولكنه هرع لمساعدة ويلنجتون في واترلو ضد نابليون وكان لمساعدته الأثر الحاسم فى المعركة .

(٢) جنرال أمريكى كان قائدا عاما لجيوش الجنوب اثناء حرب الانفصال .

(المعرب)

المعارك فى الزمن والمساحة بنفس الوقت ، وأثناء المعركة الكبرى النهائية فى « موكدن » حيث كان لكل فريق قوة تفوق ٣٠٠٫٠٠٠ رجل بقليل ، وكان عرض الجبهة ٤٠ ميلا ، ودامت المعركة أسبوعين قبل أن يرغم اليابانيون ــ بتوسيع جبهتهم ــ الروس على القتال التراجعى ٠

الحرب العالمية الأولى :

تقدم الحرب العالمية الأولى عددا من الاوضاع المعلمة والمفيدة فقد توسعت الجبهة الغربية من الحدود السويسرية الى المانش بعد ان استقر الوضع فى الخنادق فى خريف عام ١٩١٤ ، وبلغت حوالى ٤٥٠ ميلا على طول خط من الخنادق ذى شكل متعرج ٠ وفى عام ١٩١٥ عندما لجأ الألمان الى الدفاع فى الغرب احتلوا هذه الجبهة بقوات مجموعها تسعين فرقة أى بحوالى ٣٥٠٠ جندى فى الميل الواحد . وكان الطرفان ينظران الى المائة ميل الأخيرة الواقعة فى الطرف الشرقى على طول جبال الفوج وخط القلاع والتحصينات القديمة بأنها غير صالحة لأى هجوم ولم تمسك الا بقوة ضعيفة فى الجزء الأساسى منها ٠ وبناء على ذلك كانت النسبة حوالى فرقة فى كل ثلاثة أميال من الجبهة (٦٠٠٠ جندى فى الميل الواحد).

وكانت جبهات الفرق الموجودة فى الخط الدفاعى تتراوح بين ٤ و٦ أميال عرضا (أى من ٤٥٠٠ الى ٣٠٠٠ جندى فى الميل الواحد). وبهذه النسبة صد الألمان بنجاح كل الهجمات التى قام بها الحلفاء ، وحتى فى هجوم الخريف الكبير من عام ١٩١٥ نجح الحلفاء بقوات مجموعها العام مائة واربعون فرقة (أى بتفوق عام مقداره من ٣ الى ٢) من الانتقال بتفوق بلغ خمسة الى واحد فى القطاعات التى هاجموها.

واستطالت الحرب ، فجمع الطرفان كثيرا من الفرق وزادوا أيضا حجم دعم المدفعية وفى عام ١٩١٦ بلغ مجموع القوات المتحالفة على الجبهة الغربية تقريبا ١٦٠ فرقة ضد ١٢٠ فرقة المانيــة ٠ وفى عام ١٩١٧ بلغ عددها ١٨٠ فرقة مقابل ١٤٠ ٠

ولكن بالرغم من أن الحلفاء اخترقوا بعمق أكثر فى الجبهة وحققوا فيها بعض الاختراق الا أنهم فشلوا فى كل محاولاتهم لخرقها وتعرضوا بصورة عامة لخسائر أكبر بكثير من خسائر المدافعين ٠

ثم وضع الالمان فى عام ١٩١٧ تكتيكات جديدة للدفاعِ مستخدمين أعداد الفرق المتزايدة ليمنحوا دفعاعهم عمقا أكبر ، وبذلوا كل الجهود ليكون لكل فرقة متمركزة فى الخط الدفاعى فرقة احتياطية وراءها٠ووضع ثلث كل فرقة موجودة فى الخط الدفاعى فى موضع خلفى ، وكانت الطرق الحليفة التى تتضمن قصفا تمهيديا طويلا لا تتيح أية مفاجآت ، وتمنح للالمان امكانية احكام تدابيرهم لمجابهة التهديد .

وكانت نسـبة المدافع (المدافعين) فى غالب الاحيان فى القطاعات المهددة هى فرقة واحدة فى الميل الواحد ، وهذا يحقق تقريبا نسبة معركة واترلو أى ٢٠٠٠٠ جندى فى الميل بالرغم من أن النسبة فى خط الجبهة نفسه لم تكن الا من ٢ الى ٣٠٠٠ جندى فى الميل الواحد ٠

وأضحى فى مكنة الألمان بعـد انهزام روسـيا فى عام ١٩١٨ تعزيز الجبهة الغربية بصورة هائلة وانقلبوا للهجوم بمائة وتسعين فرقة ضد مائة وسبعين فرقة حليفة بتفوق أكثر من ١٠ ٪ بقليل ٠ وبفضل تحسين فن الهجوم نجح الألمان فى فتح عدة أنحاء عميقة فى جبهة الحلفاء٠ولكنهم لم ينجحوا أبدا فى سرعة استغلالهم للفوز بصورة كافية ليحققوا ثغرة باختراق كامل ويحدثوا انهيارا عاما فى الجبهة ٠

وكان أعمق وأخطر اختراق حققوه هو الاختراق الذى تحقق أثنـاء هجومهم الأول ضـد الجناح الايمن البريطانى والذى قاموا به فى مارس (آذار) وتقدموا أربعين ميلا فى ظرف أسبوع قبل أن يوقفوا أمام أميان تماما ٠ ولكن لم يكن فى ذلك العهد وجود لوسائط ملائمة للحفاظ على السرعة المكتسبة لاستثمار الاختراق، لأن المشاة كانتبطيئة جدا والخيالة الراكبة على الحصان كثيرة التعرض للخطر ٠

ويعزى النصر الاولى للاختراق الالمانى بصورة عامة الى رقة الدفاع الاستثنائية فى هذا القطاع الذى كان يدافع عنه الجيش الخامس البريطانى٠ ولكن التحليل يثبت أن هذا التفسير لا يقف على قدميـــه ٠ لأن الجبهات الفرقية (التابعة للفرقة) حيث وقع الاختراق فى (٢١ من مارس وحدث) لم تكن واسعة أكثر من جبهات الجيش الثالث فى آراس حيث وقع هجوم ألمانى بنفس القوة تقريبا الا أنه رد على أعقابه بعد أسبوع أى فى الثامن والعشرين من مارس (آذار) ٠ (وفى القطاعين كانت جبهـات الفـرق الدفاعيـة فى الخط ثلاثة أميال تقريبـا وهو رقم أقل بكثير من المتوسط للألمان والفرنسيين) ٠٠٠ وكان الضباب الذى يحجب الانقضاض الأول هو الفرق الواضـح فى شروط الانقضاض وانعـدام الضباب عندما شن الهجوم على آراس ٠

ولـكن عندما تحقق الاختراق ، ثقل الجيش الخامس فى محـاولاته الايقافية لأن نسبة الاحتياط لديه كانت أقل من نسبة الاحتيـــاط لدى الجيش الثالث فى آراس والجيشين البريطانيين الآخرين الواقعين أبعد الى الشمال ، ولم يكن هناك سوى ثلاثة فرق احتيـاطية (دون أن نحسب ثلاثة فرق خيالة) خلف قطاع الجيش الخامس الذى يمتـد الى ٤٠ ميلا ، فى حين كان هناك خمس عشرة فرقة احتياطية خلف الثمانين ميلا التى تؤلف الجبهة البريطانية ٠ وكان هذا هو العيب الرئيسى فى تدابير هايج ٠

ثم انقلبت شروط المعركة بصورة نهائية لصالح الحلفاء عندما صدت الهجمات الالمانيــة فى الربيع وفى مطلع الصيف بفضل المـد المتزايد بلا انقطاع من النجدات الامريكية٠ وقد استنتجت مصلحة التاريخ البريطانى الرسمية المعارك على الجبهة الغربية ملخصة فشل الهجمات الالمانية ونجاح الحلفاء فى الخريف بالشكل التالى :

« وحتى ضد الجناح الأيمن للجيش الخاص حيث كان التفوق العددى للالمان أكبر ما يمـكن ، لم يكن الخرق كافيــا ٠٠٠ فلا تستطيع جيوش تتمتع بنفس القدرة العــالية على القتال أن تعوض عن عدم كفـاية عددها بنوعية قطعاتها أو بالتجديد فى تكتيكاتها الرائعة ٠ ففى حرب بين أعداء يتمتعون بنفس المســتوى من الدهاء والتصميم والبأس ، لا بد للحصول على القرار من نسب تقارب ٣ الى ١ كمــا بدأوا فى الحصول على ذلك فى خريف عام ١٩١٨ ٠ فلم تحدث الجهود الالمانية التى بذلت مع تفوق عددى غير كاف الا نتوءات بارزة خطرة SAILLANT ٠

وقد استخدمت بعض القوات المتحاربة تفوقا محليا واسعا أثناء هذه الحرب بلغت أحيانا ستة الى ١ (من قبل الانجليز NEUVE-CHAPELLE) ولكن لم يكن هناك وسائط للمحافظة على السرعة المـكتسبة وقتا كافيا للحصــول على خرق كامل ٠٠٠ وفى خريف عام ١٩١٨ جعلت النســبة العامة للحلفــاء التى وصلت الى ٣ ضــد ١ قواتهم قادرة على تطوير عدة هجمات وعلى رد الالمان خلف خطوطهم الدفاعية المتعاقبة ، كما أنها مكنتهم من أسر أعداد كبيرة فى كل انقضاض ٠ وعندما اضطرت المانيا الى طلب الهدنة وناقش قادة الحلفاء شروطها اعترف هايج بصراحة بما يلى :

« لم تغلب ألمانيــا عسكريا فقد تراجعت جيوشها طيـلة الاسابيع الاخيرة وهى تقاتل ببسالة رائعة وبنظام ممتاز ٠٠٠ فمن الضرورى بناء على ذلك أن نمنحها شروطا تستطيع قبولها » ٠٠٠

الحرب العالمية الثانية :

لقد ارتفع عدد القوات الفرنسية ـ البريطانية ـ فى العاشر (١٠) من مايو عام ١٩٤٠ القادرة على الدفاع عن قسيمة من الارض عرضها ٤٠٠ ميل من الجبهة الغربية الى ما يعادل (١١١) فرقة أى نسبة تعادل فرقة واحدة لكل ثلاثة أميال ونصف الميل من الجبهة · ولقد كانت هذه النسبة أكثر ملائمة من النسبة التىحصل عليها الدفاع ضد هجوم جرىء فى مطلع الحرب العالمية الأولى · وقد أضاف الهجوم الألمانى على بلجيكا أكثر من (٢٢) فرقة الى مجموع قوات الحلفاء فارتفع المجموع العام لقوات الحلفاء الى ١٣٣ فرقة فى هجومهم الثانوى المتشعب ضد هولندا بشكل نقص فيه مجموع فرقهم المهاجمة على الجبهة الرئيسية الى ١٢٨ وهو عدد أقل بشىء زهيد من عدد الفرق الحليفة ···

ولكن القيادة العليا للحلفاء بقيادة الجنرال جاملان قاومت ضد الهجوم الكبير الالمانى بشكل أفقد توازن تدابيرها الخاصة · فقد دفع جاملان بالجناح اليسارى للحلفاء الى بلجيكا واضعا موضع التطبيق الخطة (د) (١) وهى الخطة التى صممت وقبلت فى شروط مشكوك فيها من قبل الانجليز ، وطبقا للخطة (د) تتكون القوة التى ستأخذ على عاتقها منذ الانطلاق هذه المناورة من جيشين هما (الجيش الاول الفرنسى والـ (B.E.F.) ، ولكن جاملان أضاف اليهما حديثا جيشا آخر هو (الجيش السابع) مستخدما ثلث القوات الاحتياطية العامة لدعم هذا التقدم وكان مجموع الفرق فىهذه الجيوش الثلاثة حوالى ثلاثين فرقة منها خمس الى ست فرق ميكانيكية وخمس عشرة فرقة من أصل ١٧ فرقة آلية كان يملكها الحلفاء ·· وقد تركت مفصلة هذا التقدم ضعيفة بصورة خطيرة وكان مجموع فرق الجيشين اللذين يمسكان المركز ١٢ فقط لتحتل ١٠٠ ميل من الجبهة بمواجهة الآردين (٢) ولقد كان الأسوأ أيضا أن تكون معظم هذه الفرق من نوعية ضعيفة وسيئة التجهيز بالمدافع المضادة للدبابات وبالمدفعية فى حين كانت الجبهة نفسها محصنة تحصينا فقيرا أيضا ···

واحتفظ بأربعة جيوش فى الجناح الأيمن خلف خط ماجينو المحصن

---

(١) الخطة د PLAND

(٢) هضبة مشجرة يقع الجزء الأكبر منها فى فرنسا وتمتد الى بلجيكا ARDENNES. (المعرب)

بصورة قوية . وبلغ تعداد قواتها بالمجموع حوالى أكثر من خمسين فرقة، مع قـوات خط ماجينو والجزء من القوات الاحتيـاطية ،عامة الواقعة فى قطاعاتهـا . ولم يبق الا عشر فرق فقط من الاحتياط العـام التى كانت جاهزة ولكنها لم تكن تشكل احتياطا متحركا .

وكان سبب هـذا الخطأ القـاتل فى الحساب والذى ترك من جرائه المركز الفرنسى الضعيف معرضـا لهجوم من مركز المانى قوى جدا بست وأربعين فرقة تشـكل ثلاثة جيوش ، يعود سبب هـذا الخطأ القاتل الى ما يلى :

١ ـ الى وهم يعود لزمن طويل تعلقت بأهدابه القيادة العامة الحليفة وهو أن الآردين لا يمكن اجتيازها من قبل قوات آلية وميكانيكية .

٢ ـ الى الاعتقاد الواثق بأن الألمان لو حاولوا استخدام هذا الطريق غير المحتمل لتحتم عليهم أن يتوقفوا على خط الموز ليجلبوا المدفعية الثقيلة وكتلة مشاتهم . وبهذا الشكل لن يتمكنوا من شن الانقضاض قبل اليوم التاسع أو العاشر مما يسمح للقيادة العامة الحليفة بأن يكون لديها متسع من الوقت لتحرك قواتها الاحتياطية البعيدة جدا وتصد الانقضاض الألمانى عند حدوثه .

ولكن هذه الحسـابات انقلبت بصورة ادت الى نكبة :

ـ لأن الألمان قد قرروا بصـورة حديثة اسـتخدام ثلاثة فيالق ميكانيكية (تشتمل على سبع فرق مدرعة من اصل عشر بحوزتهم) وفى هذا القطاع الصعب والذى من الممكن أن يكون نقطة انطلاق لأمل كبير..

ـ ولأن هذه الفيالق هاجمت الموز فور أن بلغته ، وفى اليوم الرابع (١٣ مايو) نجح فيلقان من اصل الثلاثة فى اقتحام المرفورا (رغما عن ان القيادة العليا الالمانية نفسها كانت تتفق فى رأيها وتشارك القيادة العليا الحليفة بأنه من غير الممكن القيام بانقضاض فعال قبل اليوم التاسع أو العاشر) ..

كان فيلق جودريان المؤلف من ثلاث فرق مدرعة هو الورقة الرابحة الرئيسية والحاسمة فى سيدان الذى دعم بهجوم قاذف ضخم قامت به القوات الجوية الالمانية المتفوقة كثيرا منقضة على اهدافها .

وعندما فتحت ثغرة فى خط الموز وتمكنت الفيالق من النفوذ الى الأرض العراء الحرة أتاحت لهم حركتهم الآلية وسيلة المحـافظة على

السرعة المكتسبة فى استثمار الفوز الى أن بلغوا بحر المانش وقطعـــوا خطوط تموين الحلفاء ، الأمر الذى سبب انهيار الجيوش المؤلفة للجناح الايسر الحليف وقاد الى انهيار فرنسا ..

وكانت الأوامر المعطاة لاتخاذ التدابير المعاكسة من جانب الحلفاء وفى كل مرحلة من مراحل استثمار النصر تعطى متأخرة جدا .. وتنفذ ببطء شديد مما لم يتح لها اية فرصة لانقاذ الوضع . وكان سبب كل ذلك هو عجز الحلفاء عن تحقيق ايقاع العمليات الميكانيكية أكثر من عدم كفاية الوسائط التى كانت تشكل العامل الحاسم . ولو تفهم أى انسان حقا الايقاع الجديد للعمليات لاستطاع وضع العراقيل والحواجز امام فتح الثغرة الالمانية ، لأن الحلفـــاء كانوا يملكون عند البدء ست فرق ميكانيكية (منها اثنتان كانتا أكثر فاعلية) وسبع عشرة فرقة آليـــة (راكبة) ضد عشر فرق ميكانيكية وسبع فرق آلية المانية . وكان هناك متسع من الوقت قبل ذلك لسد طرق التقرب الالمانية بواسطة الالغـــام أو حتى بترتيب بسيط من وضع الاشجار بصورة عرضية على طول الطرقات فى الغابات التى تخترق الآردين متجهة نحو نهر الموز وهو اقتراح قدم للقيادة العليـا الفرنسـية الا أنها رفضته بحجة ضرورة الاحتفاظ بالطرق حرة لتقدم خيالتها (مدرعاتها) الخاصة ..

لم يحدث التفوق العددى الحاشد للالمان فى هذا القطاع هـــذه النتيجة . وهذا الواقع واضح كل الوضوح لان الخرق كفتح الثغرة وقد تحققا بجزء صغير من الفرق الميكانيكية قبـل أن تدخل الى ساحة العمل كتلة فرق المشاة الالمانية السائرة على الاقدام مع وسائط نقل حيوانية فضلا عن ذلك ، وبالرغم من أن تألية الجيش وتحويله الى جيش راكب أتاحت ميزة القدرة على نقل القوات بسرعة للحصول على تفـوق محلى فى القوات ، الا ان هذا النوع من الحركية السوقية (الاستراتيجية) لم يلعب اى دور فى خرق عام ١٩٤٠ .

فلم يحدث أى نقل للقوات من هذه الطبيعة . فبعد ان فتحت الثغرة فى خط الموز نقلت فرقتان ميكانيكيتان فقط من الجناح الايمن الالمانى لدعم الفرق السبع التى قامت بفتح الثغرة ثم وجهت باتجاه المانش فى حركة استثمارية للنصر ..

تطورات لاحقه فى الحرب العالمية الثانية :

وعندما بدأ المعسكر الآخر فى فهم ايقاع الحرب الآلية وظروفها ، أضحى من الطبيعى انه لم يحدث أى تحول جذرى فى التطور الاساسى للحرب خلال هذا القرن والذى كان يترجم عن نفسه بالتفوق المادى المتزايد للدفاع على الهجوم وبتدنى النسبة المطلوبة للدفاع عن جبهة باامان ..

وقد ظهرت البديهية الاولى فى افريقيا الشمالية عندما فشل روومل فى هجماته على طبرق فى ابريل ـ مايو ـ نيسان مايس فى عام ١٩٤١ فهنا نجحت الفرقة الاسترالية التاسعة مع لواء من المشاة من نوع استثنائى ولواءين صغيرين من الدبابات أى بالمجموع ٢٤٫٠٠٠ مقاتل (أى ٨٠٠ جندى للميل الواحد) فى مسك محيط مؤلف من ثلاثين ميلا محصنة تحصينا فقيرا .. وقد نجحت هذه القوات أيضا فى ضد هجوم قامت به فرقتان المانيتان (ميكانيكيتان) وثلاث فرق ايطالية (احداها ميكانيكية) .

وفى الهجمات التى قامت بها القوات الالمانية أو قوات المحور كل بدورها طيلة الاثنى عشر شهرا التالية لمعارك شمال افريقيا كان هناك دوما جناح مفتوح على الصحراء لمناورة على الجناح ولم يكن النصر ليتأكد الا عند استخدام هذا الطريق ، بالرغم من انه كثيرا ماتعرض للهجمات المعاكسة ..

ولكن أتيح لنا مثال واضح جدا للدفاع ضد هجوم بدون جناح مفتوح بشكل واسع بمعركة علم حلفا فى نهاية اغسطس (آب) من عام ١٩٤٢ والمعركة الثانية للعلمين فى أكتوبر (تشرين أول) .

ففى الحالة الأولى تعرض هجوم روومل لفشل خطير فى دفاع مونتجومرى بقوة متساوية.وفى الحالة الثانية كان روومل يدافع عن جبهة عرضها يقرب من أربعين ميلا وبقوات مقاتلة يبلغ تعدادها ٢٧٫٠٠٠ المانى و ٥٠٫٠٠٠ ايطالى أى نسبة ٢٠٠٠ رجل لكل ميل من الجبهة (رغما عن ان الخمسين الفا من الطليان والمجهزين تجهيزا فقيرا كانت معنوياتهم ضعيفة يعدون فى الواقع اقل بكثير من الـ ١٧٫٠٠٠ المانى . فلو استخدمنا تعابير الفرق ذات الحجم العادى فقد كانت النسبة فرقة واحدة لثمانية اميال من الجبهة (والفرق الموجودة فى الخط ـ فرقة واحدة لكل ستة عشر ميلا) فهاجم موتجومرى الذى كان آنئذ معززا

بصورة قوية هذا الخط الرقيق (ولكنه ملغوم جيدا) بتفوق يعادل ثمانية الى واحد فى المقاتلين ضد الالمان وثلاثة الى واحد ضد الالمان والطليان مجتمعين ومن ستة الى واحد فى الدبابات الفعالة . ولكن الهجوم لم ينجح برغم هذا التفوق الهائل الا بعد ثلاثة عشر يوما من القتال دفع ثمنا لذلك فناء قسم هائل من قواته . وقد فقد موتجومرى من الدبابات ثلاثة أضعاف ما فقد خصمه أثناء أسلوب القضاء على القوة المدرعة لخصمه التى ذهبت الى حد الخرق ..

ويظهر التحليل لمعارك النورماندى ان هجمات الحلفاء لم تنجح الا فى حالات نادرة ، وكانوا ينجحون عندما يكون للقطعات المهاجمة تفوق يفوق خمسة الى واحد فى القوات المقاتلة ، وحتى عندما كانت تدعم بشكل جدى بسيادة تامة فى الأجواء (هذه السيادة الجوية التى تضاعف على الاقل قيمة القوات البرية وتقدر فى بعض حسابات اركان دول أخرى بثلاثة أضعاف) . وفى بعض الحالات فشلت الهجمات برغم تفوق يقرب من عشرة الى واحد لصالحهم كما جرى فى عملية (المعطف الازرق) (١) تلك المحاولة للخرق المهيئة جيدا من قبل الجيش الثانى البريطانى فى الـ ٣٠ من تموز (يولية) فى كومونت (٢) وتتطابق مع الخرق الامريكى فى افرانش (٣) . وكان يدافع عن القطاع المهاجم الذى لا يتجاوز عرضه عشرة اميال فرقة المانية منهكة .ولكن هذه الضربة الضخمة لم تنجح فى خرق الدفاع الضعيف الا فى الجزء الغربى من القطاع ، وحتى فى هذه المنطقة أوقفت تلك الضربة فى اليوم الثالث عندما بدات نجدة هزيلة من الدبابات فى الوصول اخيرا الى الجانب الألمانى .

وكانت نسبة قوات المدافع لمسك قسيمة من الارض عرضها ثمانون ميلا من جبهة النورماندى نسبة فرقة واحدة عادية لثمانية عشر ميلا فى المتوسط طيلة الجزء الأكبر من الوقت ، وعندما انتهى الخرق بعد قتال دام ثمانية أسابيع وكانت القوات الاحتياطية الالمانية هزيلة جدا وكانت الارض حرة خالية للمناورات الجانبية ومن السعة بحيث استطاعت جيوش الحلفاء ان تتقدم دون قلق ، وبخاصة على الجانب الايمن . ومن الامور التى جعلت تقدم الحلفاء سهلا ميسورا ان كتلة الفرق الالمانية لم تكن آلية أيضا ... كالفرق الحليفة ، وعندما وصلت هذه القوات الى مقربة من الراين اضطرت للتوقف واخذت ترتجف امام

---

(١) BLUECOAT

(٢) CAUMONT

(٣) AVRANCHES

القوات الآلية التى جمعتها القيادة الالمانية . ونجحت هذه القوات المرتجلة فى مسك جبهات أكثر اتساعا مما كان معتقدا فى السابق انه فى الامكان الدفاع عنها . وهكذا استطالت الحرب بصورة غير منتظرة اثناء ثمانية اشهر ..

اما الجيوش الروسية الموجودة على الجبهة الشرقية فقد خرقت بضربات سريعة وعميقة قامت بها القوات المدرعة الالمانية فى صيف عام ١٠٤١ ولكنها تعلمت ايقاف هذه الضربات قبل نهاية هذا العام ، وبدأت فى عام ١٩٤٢ بوضع خطة وقائية ملائمة منها ٠

وعندما قلبت القوى الاحتياطية الروسـية المتزايدة والمتجددة ميزان القوى أضحى بامكان الروس أن ينتقلوا الى الهجوم وكانت تجابه خصوما يعرفون هذا الفن ٠ وبالرغم من أن الروس آنئذ استفادوا من المساحات الواسعة من الجبهة الشرقية الا أن الدفاع رد الهجمات التى جرت بتفوق يعادل سبعة الى واحد واحيانا أكثر ، فضلا عن ذلك ، فان الفرق الالمانية المدرعة بفضل حركتها الآلية نجحت غالب الاحيان فى تغطية جبهات تصل أحيانا الى عشرين ميلا وفى الدفاع عنها ضد عدو مستفيد من تفوق هائل .. وان تحليل المعطيات الاساسية لمعارك الحرب العالمية الثانية يتيح صياغة استنتاجات مختلفة جدا عن الاستنتاجات المنبعثة من مظاهر الاحداث .

ولهذه الاستنتاجات علاقات هامة مع المشكلة الحالية لدفاع O.T.A.N. قبالة التفوق العددى الكبير للروس .

والواقع انه من الطبيعى أن الحساب العددى للقوات بالفرق أو الرجال يتبع عددا من العوامل الاخرى وبخاصة التدريب والطرق التعبوية والقيادة والقوى المعنوية ، وان هذه العوامل كثيرة التغير والتبدل وحسابها بناء على ذلك من الصعوبة بمكان كبير أكثر من عدد القوات أو طول الجبهة .

وقد اعتبرت دوما هذه الصعوبة الطبيعية المطروحة لهذه العوامل المتبدلة من قبل هيئات الاركان العامة كاعتراض لا يمكن التغلب عليه فى كل مرة يوصى بها باستخدام فكرة البحث العملى المستند الى طريقة التحليل النوعية فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية . وقد بدات قيمتها بالتقدير وبشكل واسع منذ ان قبلت وطبقت بصورة متأخرة . اولا من قبل أركان القوات الجوية ثم من قبل أركان القوات

البحرية واخيرا من قبل الاركان العامة . وقد اضحت الفائدة العملية من تحليل نوعى ذى عوامل قابلة للقياس واضحا جدا ولم تضعف هذه الفائدة بسبب (المتحولات) الى الدرجة التى كانوا يتخيلونها .

ومن المفيد ان نعود الى هذه التجربة ، عندما نواجه امكانيات تحليل نسبة القوات الى الجبهة . فينبغى على كل انسان يريد انشاء خطط حربية أو تمارين معينة أن يلجأ لحسابات القوات (الجبهــــة) . ولكنه حساب خشن وبالابهام حيث يكون فيه المقياس من انتاج العادة ومن المفضل أن تستبدل هذه الطريقة غير الدقيقة بمقياس نابع من معطيات محللة تحليلا علميا ـ وهى قاعدة يمكن أن نأخذ بعين الاعتبـــار فيها مع كثير من الفائدة العوامل المتحولة .

فلو وضعت مثل هذه القاعدة قبل الحرب الاخير لتجنبنا خطأ الحساب المميت والخطأ الذى ارتكب فى توزيع قوات الحلفاء على الجبهـــة الغربية فى عام ١٩٤٠ ولأمكن تعديل الجزء من القوات الذى كان يغطى مركز قوات الحلفاء على الموز . وفى أواسط الحر ب، بدأت الحاجة الى انشاء مقاييس كقاعدة للحساب يعترف بها ، وطبع دليل عام عن نسب القوات فى النظام الرسمى البريطانى ولكن هذا الدليل يحتاج الى اعادة فحص وتوضيح وتكملة واسعة ..

مرونة وقوات برمائية

لقد اشتهرت معارك المحيط الباسيفيكى فى الحرب العالمية الثانية ، ولمدة طويلة بأنها تظاهرة جميلة للقيمة السوقية للمرونة البرمائية . ومن الواضح جدا أن القدرة على تحويل مركز الهجوم مع ابقاء الخصم متوترا طيلة الوقت ـ لم تكن متاحة لولا القدرة على التشتيت التى اتاحتها هذه المعارك ـ ولكان اسلوب اختراق خطوط دفاعية بعيدة متعاقبة لليابان أكثر بطئا وأكبر ثمنا .

ولو عكسنا الموضوع ، لوجدنا ان الحرب فى أوربا اعتبرت كقتال برى ، فى الاساس ، محدد بعمل مباشر للجيوش والقوات الجوية ، لم تلعب فيه القوات البحرية الا دورا بسيطا ثانويا ، كوسيلة لنقل القطعات والتموين لتغذية القتال . فضلا عن ذلك ، فقد بدا هذا القسط المخصص للقوة البحرية ذا أهمية ضعيفة نسبيا ، فى الوصف الاعتيادى للحرب ، فيما يتعلق بتأثيره على الجبهة الشرقية ـ وهى الجبهة الوحيدة المقاتلة فى أوربا حتى عام ١٩٤٣ ، والجبهة التى اشتبك فيها الجزء الاكبر من الجيش الالمانى ، وبقى مشتبكا فيها الى نهاية الحرب .

ولكن تحليل « توزيع القوات الالمانية فى مختلف مراحل الحرب ، يقودنا الى استنتاجات مختلفة جدا والى تعديلات فى الجدول . ونستنتج بوضوح ، من مثل هذا التحليل ، ان المرونة البرمائية المتاحة من القوة البحرية المملوكة للحلفاء الغربيين مارست تأثـــيرا اكبر بكثير لم تدعه الاحداث يظهر بصورة مصطنعة .

لقد جمع الالمان ، فى مايو (مايس) فى عام ١٩٤٠ ٦٥٪ من قواتهم فى الجيوش المنتشرة لغزو فرنسا والبلاد الواطئة ، تاركين ٥ ٪ منها لحراسة مؤخراتهم ضد الجيوش الروسية التى تقدمت واحتلت النصف الشرقى من بولونيا . ولم يكن عدم التناسب هذا فى التوزيع ناتجا عن ثقة مطلقة بدون حدود فى النوايا السلمية لروسيا ، ولكن بسبب التأمين المؤقت الذى اتاحته لهم قواتهم الاحتياطية السوقية الخاصة (احتيــاط

O.K.H.) (١) الذى يبلغ ٣٠٪ من مجمـــوع قـوة فرقهم • فبــالرغم من ان هذه القوات وضعت فى متناول يدهم لدعم الهجـــوم فى الغرب الا أنه كان فى الامكان ارسال جزء منها بسرعة فى اتجاه الشرق ، نحـو بولونيا لو قام الروس بأية حركات تهديدية فى هذه الجبهة • ولم تكن المسافة بين الجبهتين كبيرة • علاوة على ذلك ، عندما أضحى واضحا جدا ان الروس لن يقوموا بأية حركة فى بولونيا ، تشجع الألمان وتجرءوا الى حد استخدام هذه القوى الاحتياطية لدعم تقدمهم نحو الغرب ، بشــكل اشتبكت فيه ، فى الغرب ٩٥٪ من قواتهم مؤقتا •

وقد لوحظ فرق له معنى فى الانتشار الالمانى ، وفى الحشد الذى اشتمل عليه اثناء غزو روسيا فى عام ١٩٤١ • هنا فقط ، وجه ٦٠٪ من قواتهم (١٢٠ فرقة) للهجوم وبقى فقط ١٣٪ (٣٦ فرقة) كاحتياط سوقى ، لدعم الجيوش المهاجمة ، لأن ٢٧٪ من القوات الالمانية (٥٣ فرقة) بقيت فى حالة احتراس فى المناطق التى تحاذى البحر ويهددها البحر ، فى الغرب ، وفى الشمال الغربى ، وفى الجنوب الشرقى من اوربا ، على طول ساحل يمتد (٨٠٠٠) ميل •

وقد احدث طرح هذه النسبة وعدم حشدها ضـد روسيا اضرارا بالغة باحتمالات النجاح الالمانيـــة • وكانت عونا كبيرا لفرص الفوز الروسية بمقاومة الهجوم • وقد بدا ذا أهمية حيوية عندما نجحت روسيا فى الصمود والبقاء امام الهجوم الاول •

ولست أقصد بهذا الاستنتاج أن أشتكى من النتائج الحاليــة التى برزت مؤخرا نتيجة للجهود التى بذلتها بريطانيا العظمى ، وهى الدولة الوحيدة الباقية من التحالف الغربى الاصلى ، لجذب القوات الالمانية خارج الجبهة الروسية •

لقد كانت جهودها ضعيفة ونتائج هذه الجهود أقل أهمية مما أعلنــه تشرشل وآلان بروك والقادة العسكريون البريطانيـــون الآخرون أو الناطقون باسمهم • ان هذه الاحتجاجات قد وضعت ستارا مظلمـــا على الحدث الاساسى والدرس الاساسى أو انها ، فى حد ادنى قد جعلته امرا ملتبسا وغامضا ، لأن عملية الطرح الحيوية هذه (٢) كان مبعثها فى الواقع

---

(١) O.K.H. يقصد به قيادة القوات البرية ـ وهو تعبير ألمانى •

(٢) يقصد عملية طرح ٢٧ ٪ من القوة الالمانية التى لم توجه ضد روسيا •

(المعرب)

التهديد المنتشر الواسع والخوف الذى ينتج عنه ، وهما ملازمان للقوة البحرية ولصفتها الاساسية وهى المرونة البرمائية لقوة تملكها ضد أية أرض ساحلية • ان هذا التحدى ذا الطاقة الهائلة هو المسئول عن الآثار الحالية •

وتظهر هناك نقاط اخرى لها معناها ودروس اخرى عند اجراء تحليل أدق للوضع فى عام ١٩٤١ ، فى اللحظة التى قام بها الالمان بغزو روسيا • ففى المقام الاول ، نرى أن الدراسة التفصيلية للقوة المطروحة ذات فائدة لاتقدر بثمن • فقد تمركز فى فرنسا وفى البلاد الواطئة ٣٨ فرقة ، وهى تشكل ١٩٪ من مجموع الجيش الالمانى • وكان هناك ثمانى فرق فى النرويج والدانمرك ـ وهى نسبة أكثر بقليل من ٤٪ من المجموع •

ولم يكن سبب عملية الطرح فى هذين المسرحين احتمال غزو قريب الوقوع يبدو أن البريطانيين كانوا قادرين على القيام به ، أو كانوا قادرين على القيام به فى هذه الفترة ، بقوات تجمع تدريجيا من مأساة ١٩٤٠ فى فرنسا ، حيث فقدوا الجزء الاكبر من تجهيزاتهم ، ولو أنهم نجحوا فى انقاذ معظم وحداتهم •• وكذلك ، لا يمكن أن نعزو بكل بساطة عملية الطرح الهامة التى قاموا بها لحراسة هذه المسارح الى أن هذه المسارح تعتبر مناطق فتحت حديثا ومحتلة من قبل الالمان ، وينبغى عليهم أن يسيطروا عليها عن قرب ، لأن حركات المقاومة ، فى ذلك العهد ، وفى هذه المناطق لم تكن تسبب لهم اية اضطرابات جدية ، ولم تكن حركات المقاومة نفسها بقوة الحركة السرية فى بولونيا ، حيث تجرأ الالمان ، مع ذلك على، تخفيض قواتهم اكثر بكثير ، عندما ضربوا فى الغرب فى عام ١٩٤٠ ، رغما عن أنه كان عليهم فى آن واحد أن يجمدوا البولونيين وأن يحترسوا ضد الروس •

فمن الصعب اذن ايجاد عامل يعزى اليه الاثر الاساسى على عملية الطرح ، الا اذا اعتبرنا ذلك ناجما عن تأثر سكان القارة لاحتمال وجود تهديد تقوم به القوة البحرية مقترنة مع المرونة البرمائية ، الامر الذى يولد لديهم توترا غريزيا مستمرا •

وقد تعزز هذا الاستنتاج بسبب وجود ثمانى فرق متمركزة فى اسكاندينافيا من أصلها فرقة واحدة موجودة فى الدانمارك ، وسبع فى النرويج ، لانها تمثل خطا من السواحل أطول وأكثر تعرضا لهجوم معاكس عن طريق البحر • ان فاعلية هذا التهديد والاضطراب الذى

ينتج عنه هو الذى يفسر لنا تفسيرا أفضل نسبة السبعة الى واحد بين قوة الحماية المعطاة للنرويج من قبل الالمان وبين القوة المعينة للدانمارك ، حيث يشكل أى انزال بريطانى تهديدا فوريا لالمانيا نفسها ، ولكن تحقيقه اكثر صعوبة كما فهم الالمان ذلك ٠

وقد ترك الالمان تسع فرق ، فى مسرح عمليات البحر المتوسط عندما هاجموا روسيا ، فكانت سبع من فرقهم فى البلقان التى اضطر هتلر لاجتياحها قبل ان يشتبك مع روسيا ، كانت فرقهم هذه واقعة تحت التهديد بهجوم عن طريق البحر على جناح تقدمهم الى داخل روسيا ونحو الحقول البترولية فى رومانيا ، التى تعتمد جيوش هتلر عليها فى التموين بالمحروقات ٠

وفضلا عن أن هتلر طرد البريطانيين من اليونان الا أنه كان يرتاب فى تجدد هذا الهجوم ٠ وكان من الممكن أن تكون مفارزه فى البلقان أكثر أهمية أيضا لولا أن حلفاءه الايطاليين قد زودوه بجزء كبير من القوات فى هذا القطاع ٠

وتشكل الفرقتان الالمانيتان ، فى المسرح المتوسط ، الجمهرة المدرعة التى أرسلت حديثا الى ماوراء البحار ، بقيادة رومل ، لدعم الجيش الايطالى فى افريقيا الشمالية ، بعد أن هزمه البريطانيون هزيمة ساحقة ٠ وقد وجدت هذه المفرزة الصغيرة نفسها وكأنها استثمار استراتيجى ذو قيمة ، اذا ماقورنت بغيرها من المفارز التى تعمل فى امكنة اخرى ، لانها لم تنقذ الايطاليين فقط من الانهيار الكامل بل حافظت على مواقع المحور فى أفريقيا الشمالية خلال اكثر من عامين ، وهددت وجود البريطانيين فى مصر وقناة السويس ، ونقلت الى هذه المنطقة اكثر من عشرين فرقة من القوات الاحتياطية البريطانية ، أى ما يقارب نصف القوات المخصصة للعمليات ٠

ولقد كان هذا العمل عن بعد أفضل مناورة تشتيتية حققها الالمان أثناء الحرب ومن الامثلة الرائعة فى التاريخ عما يمكن ان تقوم به فى هذا المجال قوات الغزو فيما وراء البحار ٠ ومع ذلك ، فقد كانت بعيدة عن أن تساوى قوة التشتيت المحدثة ، فى غير مصلحة الالمان ، بسبب التهديد البسيط لمرونة البرمائية ، التى كانت أقوى ورقة رابحة لبريطانيا العظمى طيلة الحرب كلها ، كما انها دعمت بشكل واسع أيضا من قبل القوات الامريكية ٠

فقد أتاحت القوة البحرية امكانية انزال الحلفاء الانجلو ـ أمريكيين

على سواحل افريقيا الشمالية ، فى نوفمبر (تشرين ثانى) من عام ١٩٤٢ فوقعت القوات الالمانية والايطالية الموجودة فى تونس فى الفخ ، وتأمن بذلك وضع كل هذه القوات فى مايو (مايس) ١٩٤٣ فى المصـــيدة • وقد مهدت هذه النتيجة الطريق لعودة الحلفاء الى أوربا ، بعد القضاء على كتلة من القوات ، لو استخدمت بشكل آخر ، لجابهت الحلفاء فى صقلية ولمنعتهم من الاستيلاء على هذه الدرجة من درجات السـلم • وقد أحدث الانزال المظفر فى صقلية بعد شهرين ، سقوط موسولينى واستسـلام ايطاليا بسرعة بعد ذلك •

وقد جذب انتقال الحلفاء الى الارض الايطالية وتحطيم تحالفهـا مع المانيا ثمانى عشرة فرقة المانية الى ايطاليا بسرعة ، فى محـاولة لايقاف غزو الحلفاء ، هذا الغزو الذى تقوم به خمس عشرة فرقة ، فى حين ضوعف أيضا عدد الفرق الالمانية فى البلقان ـ اذ أضحى هذا العدد خمس عشرة فرقة ـ كتدبير احتياطى •

لقد كانت عملية تشتيت رائعة لصالح الحلفاء •

ولكن الميزان انقلب الى الجهة المعاكسة فى ايطاليا نفسها ، وعندما تعرضت الجيوش الحليفة لانكسارات متتالية ومتواصلة فى محاولتهـا للصعود عبر شبه الجزيرة الضيقة • ثم جمع الحلفاء ثلاثين فرقة فى ايطاليا فى عام ١٩٤٤ ، كى يعاودوا تقدمهم ، ضد اثنتين وعشرين فرقة المانية ، تعادل قوتها فى المتوسط ثلثى قوة الفرق الحليفة • وبالرغم من أن هذا التعزيز قد سمح للحلفاء اخيرا بطرد الالمان من روما وباعادتهم الى ماوراء الخط القوطى (١) فى المنطقة الجبلية الواقعة شـمال فلورنسا ـ حيث صمدوا ايضا العام التالى ـ الا أن غزو ايطاليا لم يعد يدفع أية فائدة سوقية ، بالمقارنة مع الموارد التى استثمرت فيه •

ومع ذلك ، استمرت القوة البرمائية للحلفاء ، من زاوية اخرى ، فى زيادة أثرها السوقى على الوضع بمجمله ، على حساب الالمان وضـد مصلحتهم ولصالح روسيا ولفائدتها ، لأنه فى أول يونيه (حزيران) ١٩٤٤• وقبل الانزال ، بقى على الجبهة الشرقية ٥٥٪ فقط (١٦٥ فرقة) فى الجيش الالمانى لمواجهة الضغط المتزايد للمد الروسى ، بينما أرسل ٤٥٪ (١٣٣ فرقة) (٢) الى الغرب أو الجنوب للقيـام بالحراسة ضد تهديد

---

(١) Ligne gothique

(٢) لقد تغير العدد العام للفرق ، من ٢٠٠ عام ١٩٤١ الى ٣٠٠ تقريبا عام ١٩٤٤ ولكن حجم الفرقة قد تضاءل فقط •

(المعرب)

بالغزو عن طريق البحر يقوم به الانجلو أمريكيون ٠

وهذه الارقام أيضا كثيرة الدلالة والمعنى ، اذ أن ١٠٪ فقط من المجموع (أى ٣٢ فرقة) تمركزت شمال فرنسا (فى شمال اللوار) لتجابه التهديد المتخفى عبر المانش ٠ فضلا عن ذلك ، استخدمت ثمانى عشرة فرقة فقط ، أى ٦٪ من المجموع العام فى الجيشين اللذين كلفا بالدفاع عن جبهة ايطاليا الوسطى ٠

وعلى العكس ، تمركزت ثمانى عشرة فرقة فى النورماندى وفى الدانمارك ٠ وتسع فرق فى البلاد الواطئة ، وثمانى فرق فى الجنوب الغربى من فرنسا لتغطية ساحل البسكاى ، وعشر فى جنوب شرق فرنسا لتغطية سواحل الابيض المتوسط والادرياتيك فى شمال ايطاليا ، وعددا أكثر بشىء بسيط من ثمان وعشرين فرقة فى جنوب شرق اوربا ، وهو مسرح جديد يتميز بخط طويل من السواحل معرضة لغزو محتمل عن طريق البحر ٠ وقد طرح هذا المجموع الذى يعادل ٨٣ فرقة من القوة الالمانية ، اساسا ، بسبب استمرار التهديد بهجوم بحرى يقوم به الحلفاء الغربيون ، لان نشاط الانصار لم يكن مهما الا فى يوغوسلافيا٠

ان عملية التشتيت والالهاء الهائلة ، التى استطاعت ان تطرح ٣٠٪ تقريبا من التعداد العام للقوات الالمانية هى برهان مخيف على أثر المرونة البرمائية ٠

ومن الثمين أن نذكر ، مع ذلك ، أن الحلفاء عندما قاموا بانزالهم ، لم يتزايد اثر التشتيت بالتناسب مع الجهد المبذول وانه ابتدأ يتضاءل ، فى بعض الحالات فور وقوع الانزال ٠ ولكن هذا التدنى لم يكن محسوسا فى معركة ايطاليا ، حيث استخدم الحلفاء ، بعد المرحلة الاولية ، قوات اكثر ضخامة من القوات التى وقفت فى وجه تقدمهم ٠

وكان مبعث هذا التغير غير الملائم ، فى جزء منه ، يعود الى ضيق شبه الجزيرة الايطالية ٠ ان الدرس الاساسى هو ان قوة الالهاء او التشتيت الهجومية اكثر فاعلية عندما تشكل وتطور تهديدا سوقيا واسعا وحيث يكون هناك متسع كاف من الارض يسمح بتحولها بسرعة وسهوله ، عن طريق الهجوم ، الى تهديد تعبوى واسع ٠

ولكن أثر التشتيت ، الضعيف نسبيا ، للمعركة الايطالية بعد الانزال ، كان مبعثه أيضا تدنى القوة البرمائية فى المسرح المتوسط ٠ ولقد كان من الممكن أن تشكل ايطاليا موضعا اكثر فائدة للهجوم ، لو كان

هناك قوة انقضاض برمائية ضخمة ، خلال زمن طويل بصورة كافية • فقد تعهد المخططون انفسهم بعودة معظم مراكب الانقضاض القــــابلة للاستخدام ، الى الموانيء البريطانية من اجل الهجوم عبر المانش ، عندما أتى قرار الانزال • وتشكل الاهمية الاساسية لاستخدام وسائط برمائية مناسبة درسا أساسيا آخر من دروس الحرب الحديثة •

ولا تعنى « كلمة وسائط برمائية مناســـبة » نماذج البواخر فقط فلسدنة هذه البواخر الحاذقين أهميـــــة لاتقل عن أهميـــة البـــواخر نفسها • فهؤلاء الملاحون يحتاجون بالاضافة الى ذلك الى أن يكون عددهم كافيا ، اذا أردنا تنفيذ عملية الانزال بمرونة واستثمرت بسرعة • والمهارة المطلوبة ثمرة من ثمرات تدريب طويل فى الفنون البرمائية ، وتطبيق عملى طويل الامد فى تعاون مختلف عناصر هذه القوة •

ولو درسنا عمليات الانزال التى وقعت فى أفريقيا ، وصــقلية ، وسالرنو ، وآنزيو لوجدنا من البديهى ان كثيرا من الموانع والتـــأخير الذى تعرضت له كان مصدره عدم المعرفة بالمسائل البرمائية وانعــدام التجربة فيها واختلاف وجهات النظر بين قواد الجيش والبحرية وهيئات اركان الطرفين ـ وقد تعرض الحلفاء لفشل كثير التكاليف ، فى سالرنو ، عندما ظهرت لهم ولأول مرة مقاومة ضارية ، وحدثت أزمة خطيرة وعنيفة وصفها الجنرال كلارك CLARK فى تحليل عن الماضى كتبه بأعصاب باردة لأن المأساة كادت تمسه • ولم يبق الا هامش بسيط كى لاتستطيع قوى الانزال احتواء الهجوم المعاكس الالمانى ويلقى بها فى البحر •

ولم يقع الهجوم المعاكس الا بعد خمسة أيام من الانزال وقامت به قوة أضعف من قوة الحلفاء التى نزلت على اليابسة • وضيعت فرصـــة جميلة جدا ، بعد أربعة أشهر ، فى تدمير الجبهة الالمانية بهذا الانزال على مؤخرتها ، فى المناطق المجاورة لروما وتطورت أزمة اخرى عندئذ • ولقد كان الالمان أيضا متعبين جدا وضعفاء جدا فى هذا القطاع بصورة عامة حتى أنه مضى من الزمن ثلاثة عشر يوما قبل أن يحدث الهجوم المعاكس • وان مهلة طويلة كهذه قدمت للحلفاء كل الامكانيات المرغوبة ليضـــعوا ترتيبهم وليشغلوه ، واذا لم يتوصلوا الى الاســـتفادة من هذه الراحة الموقتة ، فان هذا يضع النقاط ببساطة على عدم فاعلية عمليات الانزال هذه ، التى يتناقض تنفيذها كثيرا مع التصميم •

ولو حاولنا التفتيش عن تفسير لذلك وقارنا التنفيذ فى هذه المنطقة مع تنفيذ عمليات الانزال فى المحيط الباسيفيكى التى كانت نتائجهـــا

مثمرة اكثر ، امكن ايجاد سلك موصل فى عامل له دلالته ، لم يؤخذ بعين الاعتبار فى البحر الابيض المتوسط وفى المسرح الاوربى بشكل عام ٠

ففى هذا المسرح (أى مسرح العمليات الاوربى) **لم يكن هناك قوة برمائية متخصصة مماثلة لفرق « الرماة البحارة » الامريكية التى عملت فى المحيط الباسيفيكى** ٠ وكان بامكان مفرزة فى هذه الفرق أن تعدل بصورة حازمة سرعة عمليات الانزال وفاعليتها فى المسرح الاوربى ٠

ويتعزز هذا الاستنتاج لدينا لو درسنا عمليات الانزال البريطانية، لافى الحرب العالمية الثانية فقط ، بل فى كل العمليات التى جرت خلال القرون الثلاثة الاخيرة ٠ فلقد كانت انكلترا ، طيلة هذه القرون ، وبقوة الظروف ، وبسبب وضعها الجغرافى خاصة اكثر الدول تخصصا بالقوة البرمائية ٠ فأسطولها كان أقوى أسطول بحرى (حتى زمن قريب جدا) من كل أساطيل العام ، وبفضله تمكنت من الحفاظ على امبراطورية عالمية برغم صغر جزيرتها الاصلية ٠ ومع ذلك ، وبالرغم من كل انتصاراتها فى البحر وتوسعها فيما وراء البحار لم تعادل خصائصها فى الحرب البرمائية التجربة التى عانتها ٠

فقد عرفت قوات الغزو لديها فى غالب الأحيان الفشل أكثر من معرفتها النصر خلال احتلال أهدافها عندما كانت تتعرض لمقاومة جدية ٠

وكانت بريطانيا فى حرب مع فرنسا ، فى عدة مناسبات ، طيلة القرن الذى سبق الثورة الفرنسية ، ولم تكن فرنسا ، فى ظل حكم البوربون تهدد بالسيطرة على القارة الاوربية فقط ، ولكنها كانت تهدد أيضا بلاد ماوراء البحار ٠ وقد اعتمدت بريطانيا ، فى معاركها ، على القوة البحرية لتوازن القوة البرية الفرنسية واستغلت تفوقها البحرى لتقوم بفتوحات تعويضية تسمح لها بالمساومة عند اجراء مباحثات للسلم ٠

ويظهر فحص الوثائق والملفات ، مع ذلك ، أن سبع غزوات برمائية قد نجحت ، من أصل سبع عشرة غزوة « برمائية » قامت بها بريطانيا طيلة فترة المائة عام ضد فرنسا ومستعمراتها ٠ وخلال العشرين عاما من القتال ضد الثورة وفرنسا النابوليونية تكللت أربع غزوات برمائية من أصل اثنتى عشرة غزوة فقط ٠ وكان اكثر الاسباب شيوعا لهذه الانكسارات هو عدم فهم متبادل لمشكلات المصلحة الاخرى ، بين الجنرال قائد قوة الغزو ، والاميرال قائد الاسطول المواكب ، وبين أتباع كل منهما ٠ وكان الهجوم يفشل أو يتبخر ، فى غالب الاحيان ، الى نزاعات

بين المصالح ، فأضحى عدم اتفاق وجهات نظرها أفضل حليف للخصم وقراءة مصنفات العمليات البرمائية هو أيضا محير ومشوش ٠

ففى هذه الفترة اتبع القادة البريطانيون طريقة تفكير تنسجم مع السوقية القارية بشكل كانت فيه فكرتهم الاساسية بكل بساطة هى تقديم عون مباشر لفرنسا ـ العدوة التقليدية التى أضحت حليفة بريطانيا العظمى ـ بنقلها بالمراكب كتلة الجيش عبر المانش ، ليقاتل الى جانب فرنسا ٠ وكانوا يقطبون الجباه امام الحجج التى يعبر عنها ونستون تشرشل ، والاميرال « جاكى » ، وفيشر ، وموريس هانكى (ضابط البحرية الذى أصبح أمين سر لجنة الدفاع الامبراطورية ووزارة الحرب) ، مؤكدين ضرورة الاستمرار فى اتباع المبادىء التاريخية للاستراتيجية البريطانية ـ تلك الاستراتيجية التقليدية التى أضحت فى أعين هؤلاء العسكريين بدعة دينية ٠ وهكذا نجد أنه لم يحاول البريطانيون القيام الا بعمليات برمائية قليلة ، وبالمقارنة ، مع عدد العمليات التى جرت فى الحروب السابقة ، ولم تعط النتائج المنتظرة منها ، نتيجة لبقاء عدم الفهم المتبادل ، بصورة أساسية ، ولاختلاف وجهات النظر بين المصالح ٠

وكانت محاولة انقاذ آنفرس ، فى اكتوبر (تشرين أول ١٩١٤) من السيطرة الالمانية فشلا لاتماسك فيه ٠ وفى اول نوفمبر (تشرين ثانى) نزلت قوة غزو بحرية ، أرسلت لاحتلال أفريقيا الشرقية الالمانية فى طنجه ، ولكنها اضطرت للعودة الى مراكبها بعد ثلاثة أيام ٠ ثم تقرر ، بعد هذا الفشل أن يقوم مقامها تقدم عن طريق البر ، ولكن هذا التقدم دام أربعة أعوام لكى يبلغ هدفه ٠ وفتحت المستعمرات الالمانية الاخرى فى أفريقيا أيضا بفتوحات برية ، تختلف مددها ، واقتصرت العمليات البحرية على أسر جزرهم فى الباسيفيكى فقط لانه لم يكن مدافعا عنها ٠

وشنت ، فى عام ١٩١٥ ، أهم عملية من عمليات الحرب ، اذ كان على بريطانيا أن تفتح مضائق الدردنيل بالاستيلاء على شبه جزيرة غاليبولى ، التى تتحكم بمدخل المضائق ، وأن تخرج تركيا حليفة المانيا فى المعركة ٠ وقد ساعدت المرونة البرمائية وأثرها التشتيتى الانجليز من رد الاتراك ، أثناء الانزال الاولى فى نيسان (ابريل) وفى انزال أغسطس (آب) من جديد على الجزيرة ٠ ولكن فى كل مرة ، كانت تضيع الفرص وينتج عنها قتال كثير التكاليف الى أن انسحبت قوة الغزو فى نهاية العام ٠

ولقد قلبت غزوة غاليبولى ، بالرغم من فشلها ، بالتهديد الذى أحدثته خطة الحرب الالمانية لعام ١٩١٥ رأسا على عقب ٠ فماذا كان يعنى

النجاح لهذا التحالف الثلاثى (انجلترا ـ فرنسا ـ ايطاليا) ؟ فلو اعتمدنا على اقوال الجنرال «فون فالكنهاين» ، الذى كان على رأس الحلف الالمانى لسمعناه يقول مايلى : « لو لم تغلق المضائق بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر بصورة دائمة فى وجه قوافل الحلفاء لضعفت آمالنا فى مخرج ملائم من الحرب بصورة جدية ، ولتحررت روسيا من عزلتها السوقية ·· التى تتيح أوثق ضمان ·· من أى نصر عسكرى ·· ان وجود هذه العزلة يجعل قوات هذا العملاق مشلولة آليا · وقد نتج هذا الشلل فى عام ١٩١٧ ، عن فشل أى تصميم برمائى مع توقعات بعيدة فى عام ١٩١٥ ، نتيجة سلسلة من الاخطاء فى التنفيذ · وكانت هذه النتائج ذات مدى طويل وبعيد ، لأن شلل القوات الروسية قاد الى الثورة والى اقامة نظام شيوعى ·

وقد أجبرت النهاية المفجعة لغزوة غاليبولى الانجليز ، فورا ، على التخلى عن فكرة تجديد استراتيجيتهم البرمائية وأغرقتهم بعمق كبير فى معركة فناء طويل على الجبهة الغربية المتخندقة ، التى انهكت انجلترا وفرنسا عندما انتهت الحرب · لقد كان « الشعاع » الوحيد البرمائى فى هذه الاعوام هو الغارة على القاعدة البحرية الالمانية المتقدمة زيبروج فى عام ١٩١٨ ، فى عيد القديس جورج التى نفذتها البحرية فقط بسرايا انقضاض من الرماة البحارة ·

واتخذت بعض التدابير من قبل هيئة الاركان الموحدة بين هذه الفترة والحرب العالمية الثانية أشاعت الامل فى أن تقاد العمليات البرمائية بصورة أفضل لو اندلعت الحرب من جديد · ولكن ، فى عام ١٩٤٠ ، خربت الغزوة البحرية التى وجهت لمجابهة غزو النرويج من قبل الالمان ، بنفس الطريقة التى خربت فيها عمليات الماضى ·

وفشلت أيضا العملية البرمائية الهائلة التى تبعثها ، وهى العملية الموجهة ضد دييب فى عام ١٩٤٢ · وقد نوقشت العمليات البرمائية اللاحقة التى نفذت بالارتباط مع القوات الامريكية وفحصت ·

وانه لمدهش وغير مفهوم أن تكون الخصائص البريطانية ، فى العمليات البرمائية ، خلال هذه القرون الثلاثة ضعيفة جدا اذا قارناها بانتصارات بحريتها وبانتصارات جيشها فى عديد من المعارك التى خاضتها على الارض الاجنبية ، عاملة لصالحها الخاص ولحسابها دون أى دعم بحرى · ومن الممكن ايجاد السلك الموصل فى هذا اللغز فى عامل وأداة للعمل تركتا جانبا ، لانه رغما عن أن الانجليز شكلوا قوة من «البحارة»

منذ ١٦٦٤ سميت فى الأصل « لواء أمير البحر ـ الاميرال » ـ وبالرغم من أن قيمتها الكبرى قد فرضت نفسها حالا الا أنها بقيت محدودة الحجم ، محدودة المهام • فلم تتحول فى يوم من الايام ، كفيالق البحارة الى قوة مقاتلة متينة برمائية ، تتضمن فى تشكيلاتها مختلف صنوف الاسلحة والعناصر الضرورية للقيام بعملية انزال على مقياس كبير • وفى مكنتنا أن نجد تفسيرا للانهزامات المتتالية لانجلترا فى مثل هذه العمليات فى اهمالها توجيه « البحرية الملكية » فى هذا الاتجاه ولهذا الهدف • فضلا عن ذلك ، فلا وجود لأى تفسير آخر من تحليل المصنفات •

فالاهمال الرسمى أو النفور من توجيهها هو اكثر الامور باعثا على الدهشة نظرا لأن قيمتها كانت معروفة « بشكل واسع من قادة الغزوات اللامعين » •

والواقع ان الاميرال فرنون تأثر لدرجة ألح معها فى عام ١٧٣٩ «على ضرورة تحويل لواءات المسير الى بحارة » • فأضحت ، فى عام ١٨٠٢ فيلقا ملكيا بناء على توصية القائد الكبيروالنسوقى الشهير اللوردسان ـ فنسنت الذى صرح بما يلى « لم أتوجه فى يوم من الايام اليها وأستصرخ شرفها وشجاعتها وولاءها الا وكانت تتجاوز حدود آمالى الـــكبار •• فستكون البحارة أيضا مرساة السلام فى البلاد لو هددها فى أى يوم من أيامها أى خطر حقيقى » •

وقد طالب بالحاح ، نظرا لانعدام التطور على مقياس متطابق ، أن تسمح سياسة انجلترا (كقوة بحرية) لكل لواء مشاة ان يخدم على ظهر المراكب كالبحارة ، بمناوبات متتابعة ، خلال مدة معينة فى خدمتهم • وفى عام ١٨٠٤ أضيف فيلق مدفعية الى البحرية الملكية بناء على توصية من نلسون ، ليخدم فى الوقت نفسه برا وعلى ظهر المراكب • وكانت النتائج التى توصل اليها ، فى دور الدعم هذا حسنة جدا لدرجة أن نابيه ، وهو مؤرخ عسكرى لحرب الجزيرة اعترف بصراحة بما يلى :

« اننى لم أر فى حياتى جنودا كجنود مدفعية البحرية الملكية » • وبعد ستة عشر عاما من الحرب ، وبعد أن تكونت دروسها ، حل فيلق المدفعية البحرية الملكية كتدبير اقتصادى ، بالرغم من أنه أعيد انشاؤه فيما بعد ، بعد تفكير •

فلماذا اذن ، فى انجلترا ، وهى أكثر البلدان تبعية لقوتها البحرية، لم يتطور فيها البحارة أبدا الى المقياس نفسه الذى تطورت فيه البحرية الأمريكية وللمهمات نفسها •

لقد كان المانع الرئيسى هو المصالح المعاكسة ، القوية فى كل مكان يعززها الحذر من التخصص وهو ميزة بريطانية • وكانت المصالح – وبخاصة الجيش – ميالة دوما الى مقاومة مطالب الاختصاصيين والقوات المتخصصة •

وعندما اضطر الجيش – بدافع الضرورة – الى قبولها ، حاول رفضها قدر استطاعته وبسرعة كبيرة اعتياديا • فحافظ على ايمانه « بالمفهوم العام » الذى يتضمن أن يكون كل جندى قادرا على القيام بأى عمل وأن يكون « المعلم جاك » (١) •

ففى الوقت الذى كان يسود فيه الاستخفاف بالقابليات المتنوعة ، تأصل فى النفوس وتمكن حذر من كل من يملك فنا خاصا • وقد زاد هذا الحذر فى غالب الاحيان • خوف كامن خفى من الاعتراف بأهمية هذا التفوق كى لايمنع الذين لم يكتسبوه من التقدم • وقد تعزز هذا السلوك الكثير الشيوع بالاشمئزاز والنفور الذى أظهرته الجيوش دوما تجاه طرق جديدة وأدوات جديدة •

وألقيت دراسته اللاحقة فى غالب الأحيان ، على عاتق جنرال «ماهر» لم يرغب بأن يبذل مزيدا من الجهود فى هذه الدراسات •

ولقد كان اهم تقدم له دلالته فى القرن التاسع عشر هو خلق المشاة الخفيفة وهم قناصة خفاف الحركة ومحنكون يناوشون امام خط النار مستخدمين الملاجىء ، يقومون برمايات فردية لازعاج الصفوف المرصوصة للخط المعادى أو أرتاله المتكتلة ، مهيئين بذلك الطريق لتقدم قواتهم • وقد ألحقت سرية خفيفة الى كل كتيبة • وقد شكل بعض الضباط البريطانيين الاكثر تقدمية من غيرهم لواءات مشكلة بكاملها من المشاة الخفيفة ، واضعين تجربتهم المرة التى اكتسبوها فى القتال داخل الغابات الامريكية • وقد أضحت قوة منتقاة بعد أن دربها السير جون مور والفرقة الخفيفة الرائعة للحرب فى الجزيرة ، التى فاقت كل وحدات المشاة الاخرى باستثمار مشترك لحركتها ولقوتها النارية • ولكن هذه القوة تحطمت ، طيلة فترة السلم الطويلة التى تلت ، وعادت لواءاتها الى دور مشابه لدور المشاة التقليدية وتكتيكاتها (انظمتها التعبوية) ، محتفظة فقط بتسميتها المميزة ، وبتقليدها وبأسلوب تدريب أبسط وبمسلك أسرع •

---

(١) تعبير يقصد منه أن يمارس الجندى في الجيش عدة اختصاصات ولا يتقن اختصاصا معينا منها • (المعرب)

لقد كان اختراع الرشاش ، فى نهاية القرن التاسع عشر ، مقدمة لتبدل جذرى فى النظام التعبوى ، ولكنه عندما استخدم من قبل الجيش البريطانى ، وزع بين المشاة بمعدل رشاشين لكل كتيبة (فوج) (١) . ولكن هاتين العلبتين لم تتطابقا مع ترتيب الـكتيبة ، وكانت الاوامر الوحيدة التى فى قدرة الضابط الرشاش اعطاءها ، فى التمارين ، هى : « ارفعوا هذه الآلات اللعينة وأخفوها » ولم تستخدم بصورة فعالة الى أن شكلت قطعة الرشاشات فى نهاية عام ١٩١٥ ، وبعد اكثر من عام فى الحرب . وعندما انتهت الحرب ألغى هذا الفيلق .

وكان اكثر الاختراعات ثورية فى هذه الحرب هو الدبابة . ولكن سدنة هذا السلاح الجديد لم ينظموا بادىء الامر ، الا كفرع من قطعة الدبابات . ولكن عندما أنشئت قطعة الدبابات ، فى عام ١٩١٧ ، اعترافا بما قامت به من سمات احتفظ بها على أساس مزعزع طيلة أكثر من ست سنوات .

واستمر الوضع على هذا الشكل الى أن قبل مجلس الجيش فى عام ١٩٢٣ ، بعد تردد طويل ، ان يعطيها صفة دائمة ، بخلق « فيلق الدبابات الملكى » . ولكنه ترك على مقياس صغير جدا . ثم دمج مع الخيالة ، بعد ستة عشر عاما فى أمسية الحرب العالمية الثانية . ثم فقدت الخيالة تدريجيا خيولها ، وزاد حجم الفيلق الملكى ليصبح تنظيما يحمل اسم « الفيلق المدرع الملكى » . وكانت البذرة التى نتجت عنه وانتشار الاختصاصيين فى الفيلق المدرع الملكى ، كانت كلها أمور تسمح بأن نفسر تفصيليا لماذا لم يحدث هذا الفيلق المدرع الملكى أية آثار فى الحرب العالمية الثانية، برغم أنه أنشىء كطليعة للقوات المسلحة بالمقارنة مع الفيلق الألمانى الذى شكل عام ١٩٣٣ والذى عومل من قبل القيادة العامة وتصرف فى الحرب كقوة من « الصفوة الممتازة » منذ هذه الحقبة من التاريخ .

وقد برزت قيمة فوات الصفوة فى كثير من المناسبات فى الحرب منذ أيام جذعون (٢) حتى جودريان . وقد انتقى « الثلاثمائة » الذين يشكلون « سيف الله وسيف جذعون » فى الانتصار على الجيش المديانى من بين عشرة آلاف ، وبهذا الاسلوب برهنوا عن اندفاع نادر المثال . فلقد لعب

---

(١) Bataillon

(٢) جذعون : (حوالى القرن ١٥ م) أحد قضاة بنى اسرائيل من سبط منسي ، خلص شعبه من قبائل المديانيين الذين نزلوا سهل عزويلون يغزونه (أو مرج بن عامر) . (المعرب)

الرفاق الملكيون (الخيالة) والمشاة الملكيون (على الاقدام) دورا حاسما فى ذروة انتصارات الاسكندر الكبير المتصلة • وفعلت الشيء نفسه• كذلك فرقة الحراس التابعة لجنكيزخان • وكان الحرس الامبراطورى لنابليون ، وقطعات الانقضاض التابعة للودندورف ، فى هجمات الخرق لعام ١٩١٨، وفرق جودريان المدرعة عام ١٩٤٠ من بين الحلقات الاخرى فى هـــذه السلسلة التاريخية التى جعلت قيمة قوات الصفوة المختارة لمهمات ذات أهمية رئيسية شيئا طبيعيا •

ومع ذلك فقد اظهر الانجليز خلال وقت طويل نفورا عنيدا من هذا المفهوم ، فيما عدا تطبيقاته فى المجال الاجتماعى • ورغما عن أن « الحراس المشاة » حصلوا على كفاءات وانتصارات عسكرية ممتازة فى السابق فان بقاءهم كان بسبب ارتباطهم بالنظام الفردى الذى كان سائدا فى ذلك الوقت •

وقد دفع البريطانيون ، فى الحرب ، ثمنا غاليـــا لقاء نفورهم من الاعتراف بضرورة وقيمة المهارات الخاصة ، ولم يدفعوا فى أى مكان ثمنا يساوى فى ارتفاعه الثمن الذى دفعوه من عدم اعترافهم بقيمة العمليات البرمائية •

وقد لاءم الامريكيون دوما وبصورة أفضل قواتهم مــع الشروط المتبدلة والحاجات الجديدة ، وبخاصة فى المجال البرمائى • وكان تشكيل قطعات البحارة ، كقوة متخصصة فى هذا المجال ، تضم كل العنـــاصر المختلفة المطلوبة لاحداث أثر مناسب ، كان هذا التشكيل مثلا من الامثلة الرائعة • وهذا هو نموذج للطريقة التى تحل بها المشكلات الخاصـــة كما ينبغى بوسائل خاصة •

فبواسطة القوة البحرية وزميلتها ـ القدرة على نقل قوة بالبحر ، من الممكن القاؤها على اليابسة فى أى مكان نرغب فيه وحيثما كان ذلك ضروريا ـ بوساطة هذا كله استطاعت انجلترا تقديم العون لحلفائلهـا وأصدقائها فوق القارة كى يقاوموا الاعتداءات طيلة قرون عديدة ، وحولت عنهم بوساطتها تسلط أى شعب وسيطرة أى حاكم فرد • وقد جعلت نفس القوة الشريكة ايضا هذه الجزيرة الصغيرة ذات القوات الطفيفة قادرة على الحفاظ على شبكة عالمية من المستعمرات والمحميات •

وكانت هذه القوة المشتركة فى الاساس تشكل العامل الحاسم فى تحرير اوربا من التسلط الهتلرى كما حررت ايضا الشرق الاقصى من اليابان أثناء الحرب العالمية الماضية بعد ان دعمت بشكل واسع وبعد أن

دخلت الولايات المتحدة الحرب الى جانب انجلترا لانه لم يكن لدى القوى الجوية المجال الحر لتمارس آثارها طالما لم تحتل لها القواعد القريبة بصورة كافية من العدو لتعمل بصورة فعالة ، فى حين كانت القوة البرية الروسية غير كافية لوحدها لقهر العدو ·

وبعد الحرب وضعت النماذج القديمة للقوة البحرية ، فى الظل لمدة من الزمن · وأمام الرأى العام الذى كان مغمض العينين عن التطور الجديد للقوة الذرية المستخدمة بالطريق الجوى · ولكن كانت القوة الذرية خطرة جدا فى الاستخدام أو انها الملاذ الاخير حتى عندما بقيت احتكارا فهى من جميع الوجوه غير صالحة لمجابهة أشكال ماكرة أو محددة من العدوان · وهكذا استمرت القوة البحرية وزميلتها البرمائية على فرض نفسها كوسيلة عملية لردع كل اعتداء ضد أى شعب من الشعوب الحرة فى القارة الاوربية الآسيوية · وقد استندت خطط حمايتهم الى امكانية دعمهم عن طريق البحر اكثر بكثير من وجود تهديد برد ذرى غير حقيقى مشابه لأثر الخنجر الذى يرتد الى صدر الذين يقذفونه باتجاه الخصم ·

وبما أن روسيا قد صنعت الأسلحة الذرية فى الوقت الحاضر وبكميات كبيرة لتجابه أسلحة أمريكا وأضحت فى الطليعة فى مجال القذائف الصاروخية العابرة للقارات فقد تشيدت لعبة شطرنج ذرية · ويصبح فى هذه الظروف الهجوم المحلى والمحدود أكثر احتمالا فى حين تضحى القوات البرمائية أكثر ضرورة كسلاح هجوم مباشر شامل وفى الوقت نفسه كوسيلة لمجابهة هذا السلاح · وهو رد من الممكن استخدامه دون أن يقود الى الانتحار ، وسلاح هجومى جدير بالايمان به ··

ومن الممكن أن تبدو القوات الجوية لو فحصت فحصا اصطناعيا كأنها أفضل رد قادر على التدخل بسرعة أكبر ولكن سرعة تنقلها السوقية وأثرها عند الوصول تخضع لقيود متعددة ··

فهناك عدد من النقاط البعيدة حيث من الممكن أن يندلع الخطر ولا يمكن بلوغ هذه النقاط بوساطة الطريق الجوى الا بالتحليق فوق أراض أجنبية أو القيام بجولات طويلة بتجنبها · ان معظم البلدان الآسيوية والافريقية ذات حساسية حادة جدا فى كل مايمس استقلالها الذى حصلت عليه حديثا وهى تشعر بالامتهان فى حالة تدخل غربى فى مناطقها ، وهى تريد الحفاظ على حيادها والا فانها تصبح قادرة على الوقوف الى جانب خصوم الغرب · والتقرب الجوى بالالتفاف يزيد من ضرورة وجود قواعد وسيطة ، حتى ولو كان الالتفاف ممكنا حيث يمكن تموين الطائرات

وتصليحها ويخضع انشاء هذه القواعد والمحافظة عليها الى صعوبات ذات طابع سياسى مماثل .

وهكذا نرى أن الحركة السوقية بالطريق الجوى معرضة للتوقف والتأخير من قبل البلدان التى تضطر للتحليق فوقها كى تصل الى أهدافها وهى طريقة غير مضمونة على المستوى السوقى كأسلوب لحل المشاكل على المستوى العالمى ، هذه المشاكل التى تعترض حلف الاطلنطى ، الحلف الذى ينبغى أن يدعى بالحلف المحيطى ، لأن هذا التعبير يعبر عن وضع الحلف تعبيرا أمينا ...

فضلا عن ذلك فان الأسطول المحمول جوا يحتاج الى مطارات للنزول وللدعم اللوجيستيكى (الادارى) ومثل هذه المطارات الملائمة لمثل هذه الأساطيل الضخمة لا توجد فى عديد من المناطق ومن الممكن عندما توجد أن تكون تحت سيطرة معادية ومحاولة الاستيلاء عليها لو كان هناك دفاع جيد يحميها بوساطة قوات محمولة جوا قد تتحول الى مأساة بسهولة فى حين من الممكن ايقاف أى تقرب برى بسبب انعدام الحركة التعبوية والقوة النارية الكافية لقهر أية مقاومة جدية ، ولأن القوة الجوية ليس فى مكنتها أن تحمل الا عددا محدودا من السيارات والأسلحة الثقيلة والذخائر . واذا كان لزاما أن تدعم القوة البرية عن طريق البحر فهى تفقد اذن ميزتها الرئيسية وهى سرعة التدخل ، وهناك سيئة أخرى من سيئاتها ألا وهى التعرض للاخطار مدة النقل وأخيرا وفوق كل شىء ينبغى أن نشير الى الثمن المرتفع للنقل السوقى بالطريق الجوى فثمن هذا النقل لفرقة يعادل عشرين ضعفا ثمن النقل بالبحر لمسافة متوسطة تعادل ٢٠٠٠ ميل تقريبا ويعادل أربعين ضعفا للنقل الى مسافة طويلة تعادل ٨٠٠٠ ميل تقريبا .

وتتفوق الواسطتان بآن واحد على الوساطة الواحدة عندما نتعرض للخطر ، وهذا أمر لا غنى عنه خاصة عندما تكون احدى الواسطتين غير مضمونة . واذا كان من المرغوب فيه أن نملك قوة منقولة جوا قادرة على التدخل بصورة سريعة جدا حيث يكون استخدامها ممكنا فمن الأساسى أن يكون لدينا قوة بحرية كما أنه من الأفضل أن تكون هذه القوة البحرية هى الأضخم والأهم بين القوتين فكلما كانت القوة البحرية مهمة أضحى من الممكن قيام انتشار سوقى واسع وقوى بصورة كافية لتأمين تدخل فورى وفعال حيثما كان هناك لهيب وقبل أن ينتشر . والقوة البرمائية من نموذج حديث ، العاملة ابتداء من البحر والمجهزة بطائرات الهيليكوبتر

تعتبر قوة مستقلة عن المطارات والسواحل والموانىء ، والقواعد الارضية بكل مافيها من تعقيدات ادارية وسياسية • وان استخدام قوة محمولة جوا أو أية قوة أخرى متمركزة على الارض خطوة أكثر حتمية منذ اللحظة التى يصبح تدخلها أكثر دقة وانسحابها أكثر صعوبة •••

والقوة البرمائية المتمركزة فى البحر والتى تنتقل بوسائطها الخاصة والتى يشكل الفيلق الأمريكى للبحارة نموذجها ، أفضل مفرزة للحريق بسبب مرونتها وأمانها وشئونها الادارية المبسطة وتكاليفها الاقتصادية •

والخلاصة من المفيد أن نلخص الاستنتاجات الرئيسية التى خلصنا اليها من دراسة كاملة للتاريخ العسكرى الماضى والمعاصر وبخاصة الجزء الذى أسهمت فيه القوات البحرية بما يلى :

ان المرونة البرمائية هى أهم رأسمال تملكه القوة البحرية فهى تسمح بتحقيق عمليات تشتيتية لعدو قارى داخل القارة وتتيح هذه العمليات التشتيتية ميزات لا تتناسب مع الموارد المستخدمة (١) •

ومع ذلك فان أثر التشتيت هذا خاضع للتدنى والضعف مع ذلك بعد اجراء عملية الانزال الا اذا جرى الانزال فى منطقة واسعة جدا كى يتحول الى تهديد واسع النطاق واذا كان استثماره سريعاً وبخاصة فى المرحلة الأولية • وان أفضل وسيلة لتأمين مثل هذه السرعة الأولية هى فى استخدام قوات برمائية متخصصة • والحاجة الى مثل هذه القوات اليوم أكبر من أى يوم فى الماضى • وفضلا عن أن بريطانيا العظمى كانت بقوة الظروف الجغرافية أكثر برمائية فى أعمالها من أية قوة أخرى فان خصائصها كانت أضعف بكثير من التجربة التى مارستها • ومبعث هذا النقص لكو عدم قدرتها على انشاء « بحريتها » تحت شكل قوة خاصة لفتح القفل (٢) على مقياس مناسب • وقد كانت الولايات المتحدة عاقلة أكثر فى هذا المجال •

وقد ثبتت قيمة مثل هذه القوة بمجموعة التجارب ، عبر كل العصور

---

(١) عندما تتحقق الوحدة بين البلاد العربية المتحررة ، وهى أمر حتمى تفرضه استراتيجية القومية العربية ، أو عندما يزول الانفصال بين سوريا ومصر الى غير رجعة ، ينبغى أن يكون الهم الاول للقيادة العامة للقوات المسلحة العربية الموحدة ، انشاء مثل هذه القوة البرمائية لتجميد قسم كبير من قوات اسرائيل داخل حدود فلسطين المحتلة •
(المعرب)

(٢) dé verouillage

وهى تجارب اكتسبت فى موضوع قيمة القوات المختارة المنتقاة (الصفوة) بشكل عام . وقد تأكدت قيمتها الحاسمة (كقطعات) انقضاض فى كثير من المناسبات فى تاريخ الحرب وفى العصور الحديثة أكثر من أى وقت مضى ..

فلم تحل أية مشكلة جديدة فى الحرب بصورة فعالة عندما عولجت من زاوية « الهدف العام » وألقيت مسئولية حلها على عاتق مصلحة من مصالح الجيش أو سلاح من أسلحته .

وهذه المصالح والأسلحة تهتم بصورة اعتيادية بمشكلات متنوعة تعودت عليها أكثر من المشكلة التى ألقيت على عاتقها . ان التاريخ التعيس للقوات المدرعة وبخاصة فى بريطانيا العظمى وفرنسا (١) هى مثل حديث عن ذلك ودرس . فالحرب البرمائية هى احدى المشكلات الأساسية التى تتطلب حلا متخصصا ..

تقود هذه الاستنتاجات الى تأملات اضافية فلقد توصلنا الى الاعتراف بأن التمييز القديم بين العمليات البرية والبحرية لايلائم العصر . ولكن التقسيم الحديث الى عمليات برية وجوية وبحرية ليس أفضل من التمييز القديم . وقد تجاوزناه فى العصر الحاضر فاذا كانت المشكلات العملياتية مختلفة فانه من الممكن حل الفروق فيما بينها برسم خطوط فاصلة . فينبغى أن نعالج هذه المشكلات بصورة تامة بتوحيد المصالح الثلاثة ..

ان الفيلق الأمريكى للبحارة هو نواة لهذه المصالح (٢) الثلاث مذابة فى مصلحة واحدة ، وقد اكتسب هذا الفيلق تجربة هائلة بقيامه بعمليات مشتركة برية وجوية وبحرية تجعله يشكل النواه والنموذج لتطورات لاحقة . وينبغى منطقيا أن تشكل قاعدة التقدم الجديد فى اتجاه الدمج

---

(١) لم يتعرض المؤلف لفرنسا فى الأمثلة التى قدمها .

(المعرب)

(٢) ان الاتجاه الى تنمية القوة البحرية أصبح اتجاها رسميا فى الولايات المتحدة الامريكية فقد نشر جيلباتريك النائب السابق لماكنمارا وزير الدفاع الامريكى عدة مقالات ضمنها آراءه فى الاستراتيجية الامريكية واليكم مقتطفات منها :

« لابد من المحافظة على عدد الفرق التى تسحب من كوريا أو من أوربا ولا بد من أن تتفوق القوة البحرية فى الأهمية على القوة البرية كما ينبغى أن تتفوق القوة البحرية على القوة الجوية الموجودة فى الاراضى الاجنبية» .

(المعرب)

والتقليل من حجمه ومن مهماته خطوة الى الوراء • فهو يشكل أهم تقدم في مادة التنظيم العسكرى منذ اتبع «أسلوب التقسيم» تقسيم الجيش الى مغارز تؤمن اعاشتها الخاصـــة ، وتشتمل على كل صنوف الاسـلحة وتكون قادرة على القتال بصورة مستقلة (١) •• هذا التقسيم الذى خلق فى نهاية القرن التاسع عشر وأضحى الوسيلة الاساسـية للعمليـات النابليونية (٢) •

(١) تحدث المؤلف فى هذا البحث عن القواعد الجوية فى البلاد الاجنبية والواقع أن التطورات الحديثة لوسائل الحرب قد حضمت أهميتها وسياسة القواعد العسكرية أيضا أضحت سياسة فاشلة لان الشعوب تعتبرها مصدر خطر عليها •

(المعرب)

(٢) يقصد نظام الجمهرات التعبوية التى تضم جزء من كل سلاح من صنوف الاسلحة groupement tactique

(المعرب)

الجزء الثالث

درع O.T.A.N.

(منظمة حلف شمال الاطلسي)

- ١ -

هل يستطيع O.T.A.N. (حلف الأطلسى) حمايتنا اليوم ؟

لقد ولد حلف O.T.A.N في ٤ من ابريل (نيسان عام ١٩٤٩) عندما وقعت اتفاقية شمال الأطلنطى فى واشنطن من قبل ممثلى اثنتى عشرة دولة . وكان ثمانية من هؤلاء المحركين الأوائل للحلف من دول القـارة الأوربية وهم : فرنسا ، بلجيكا ، البلاد الواطئة ، اللوكسمبرغ ، ايطاليا ، البرتغال ، الدانمارك والنرويج . وكانت البلدان الأخرى هى : انجلترا ـ ايسلندا ، كندا والولايات المتحدة ثم انضمت ثلاث دول الى « النادى » نادى الدفاع الجماعى وهى : اليونان وتركيا فى عام ١٩٥٢ وألمانيا الاتحادية فى عام ١٩٥٥ .

لقد كان حلف الاطلسى ثمرة من ثمرات أزمة برلين . فالحصار الروسى لبرلين الغربية استمر أحد عشر شهرا ولكنه أحبط فقط بوساطة الجسر الجوى المتحالف ، الذى أقيم ودعم على نطاق هائل لمجابهة الخطر . وسببت الأزمة الكورية فى عام ١٩٥٠ اندماجا جديدا ، فأنشئت القيادة العامة العليا للقوات المتحالفة فى أوربا Le S.H.A.P.E. .

وقد اكتسبت S.H.A.P.E. وجودا رسميا بعد منتصف الليل بدقيقة واحدة ، يوم الثانى من ابريل (نيسان) ١٩٥١ ، وهى ولادة يبدو انها أجلت لتجنب الخطر الشائع ليوم الجنون فى ابريل (نيسان) (١) .

وتخصص اتفاقية الأطلنطى الشمالى فى مادتها ١٢ ، أنه بعد أن توضع موضع التنفيذ لمدة اثنى عشر عاما ، يمكن أن يعاد النظر فيها بناء على طلب أية دولة من أعضاء الحلف « على ضوء العوامل المؤثرة عندئذ على السلم والأمن » وتشترط المادة ١٣ ، مع ذلك ، أنه بامكان احدى

---

(١) المقصود هنا يوم أول نيسان (ابريل) .

(المعرب)

الدول الأعضاء أن تنسحب من الحلف بعد عشرين سنة فقط ، بعد انذار مدته عام واحد ٠

ومن المستحسن بالتأكيد أن يعاد النظر فى الاتفاقية ، وبفاعليتها الحالية ، على ضوء تجارب أكثر من عشرة أعوام وعلى ضوء الشروط الحالية٠ فمن الممكن أن تنشب أزمة برلين جديدة ، فى أية لحظة ، وتكون أكثر جدية وخاصة أن خروشوف قد أنذر بأنه لن يتسامح فى موضوع الجسر الجوى فى هـــذه المرة ، ولن يفلت منه ، اذا كانت الطرق والسكك الحديدية المؤدية الى برلين الغربية مغلقة ولديه كل الوسائل لتنفيذ هذه العملية الا اذا استطاع الحصول على اتفاق عن الوضع وحل مشكلة ألمانيا كلها ، برضى روسيا ٠

ومن الممكن أن تتخذ عملية اعادة النظر فى اتفاقية O.T.A.N. ومراجعتها منطلقا جديدا لفحص قيمتها بالمقارنة مع تكاليفها فى الوقت الحالى ٠ فلقد كانت ثمار هذه الاتفاقية من الناحيــة العسكرية ، هزيلة جدا – وصغيرة بشكل مرعب اذا قيست بنفقاتها ، ولايمكن تبرير خلق O.T.A.N. الا بأسباب أقل قابلية للمناقشة ٠ لقد أنفقت الدول الأعضاء ، منذ عام ١٩٤٩ ، مبالغ باهظة لدفاعها ٠ وقد ارتفعت المبالغ التى صرفتها دول أوربا الغربيـــة فقط الى (٤) مليارات من الجنيهـــات الاسترلينية فى العام الواحد ٠ وتجاوز مجموع المساهمة البريطانيـــة مليارا ونصف المليار من الجنيهات ٠

وقد تضاءلت « قوة الدرع » لمنظمة O.T.A.N. التى تغطى قلب أوربا بالرغم من النفقـات البـاهظة الى ما تحت الحـد الأدنى الدفاعى بكثير ، هذا الحد الذى اعتبر كأساس ، عندما صممت خطط القيـادة العليا S.H.A.P.E. ولم يضمن أبدا أية فرصة جدية فى دفاع فعال ومتواصل ضد أى هجوم هام تقوم به القوات الروسية التى تقف أمامه وجها لوجه ٠

وكان المحرك لخلق منظمـة حلف شـــمال الأطلسى طيلة أزمة برلين من عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩ هو الوعى بأن الروس لو تقدموا نحو الغرب ، لأمكنهم اغراق الدفاعات الأرضية التى يقيمها الغرب ولأمكنهم كنس المنطقة حتى سواحل المانش دون أن يلاقوا أية مقاومة ، لأن لديهم تقريبا ثلاثين فرقة متمركزة فى المناطق المحتلة خلف الستار الحديدى ، وأكثر من مائة فرقة قادرة على التدخل فى روسيا الأوربية مدعومة بستة آلاف

طائرة ، بينما تملك الدول الغربية ، التى سرحت مجنديها ، أربع عشرة فرقة فى المجموع على الأرض الأوربية - وهى أيضا بعيدة عن أن تكون مستعدة للعمل - ولديهم أقل من ألف طائرة .

واليوم ، لايوجد أيضا أى دفاع ملائم بعد مضى عشر سنوات لوجود هذا الحلف ، لايوجد أى دفاع ضد أى هجوم هام على الجبهة الرئيسية فى أوربا الوسطى .

ويحتفظ الروس تقريبا بعدد من الفرق العاملة مساو للعدد الذى كان لديهم فى السابق ، يحتفظون بعشرين فرقة فى ألمانيا الشرقية ، وثمان فى الدول الأخرى التابعة للاتحاد السوفييتى ، ومائة تقريبا فى روسيا الأوربية .

فضلا عن ذلك فقد أعيد تجهيز كل الفرق المتمركزة فى المناطق الأمامية وفرق عدة من الفرق المتمركزة خلفها ، تم تجهيزها بنماذج من الأسلحة الحديثة ، وتضاعفت حركتها بوسائط ميكانيكية متعددة .

وعلى العكس ، لايتعدى مجموع قوات O.T.A.N. على الجبهة المركزية (الوسطى) العشرين فرقة ، التى تشتمل على الفرق السبع الألمانية المشكلة حديثا . ومن أصل هذا المجموع الهزيل لا نرى الا الفرق الأمريكية الخمس ، كاملة التعداد وجاهزة فورا للعمل . أما القوات البريطانية ، فهى تقتصر فى الوقت الحاضر على مايساوى ثلاث فرق وهى تقريبا أفضلها ، بتعدادها وحالة استعدادها . ولكن الفرق البلجيكية (اثنتان) والهولندية (واحدة) فهى تعانى عجزا فاضحا ولا يمكن استخدامها فى حالة الخطر الا بعد تأخر طويل .

وأخطر نقص يتأتى من جهة الفرنسيين ، الذين كان عليهم ، عند تشكيل المنظمة أن يزودوها بعشرين فرقة نصفها فى حالة الاستعداد ولكن ليس لديهم اليوم الا فرقتان على الأرض ، غير كاملتين واستعدادها سىء . والسبب فى معظم هذا يعود الى الحرب الاستعمارية الجزائرية (١)

وقد ترجم الجهد العسكرى لدول O.T.A.N. فى مجموعه بانهيار سىء منذ الخطة الأولية للقيادة العامة S.H.A.P.E. المصدق عليها فى عام

---

(١) الكتاب - وضع فى عام ١٩٦٠ - عندما كانت فرنسا تحارب الجزائر بأسلحة حلف الاطلنطى الا أن النيران أوقفت فى الجزائر يوم ١٩ من مارس سنة ١٩٦٢ .
(المعرب)

١٩٥٢ من قبل مؤتمر .O.T.A.N المنعقد فى لشبونة الذى أوصى بانشاء قوة برية مؤلفة من تسعين فرقة ، خصص منها مايقارب من ستين للدفاع عن الجبهة المركزية ٠

وقد تضاعف العجز الهائل فى عدد الفرق لعيوب كثيرة فى التنظيم٠ فتختلف الفرق الحالية الموجودة عن بعضها ، بالحجم والحركة والتجهيزات وقوة الأسلحة ، وتختلف المدة المطلوبة للتجنيد فى مختلف الجيوش الوطنية عن بعضها من ثلاثة الى خمسة وأربعين يوما ٠ ويشكل الاختلاف فى نماذج الأسلحة وأنواع الآليات عائقا خطيرا أمام المرونة السوقية (الاستراتيجية) ٠ وتجعل هذه الفرق تنقل الفرق صعبا من قطاع الى آخر ٠

ومن الصعب أن نتخيل قوة مختلطة بهذا الشكل تقدم مقاومة طويلة اذا كان العدو يتفوق عليها عدديا أيضا ٠

والجناح الجنوبى لمنظمة .O.T.A.N محمى بصورة أفضل فى ايطاليا ، حيث يوجد هناك حوالى خمسة عشر فرقة للدفاع عن جبهة قصيرة نسبيا ومغطاة بالجبال ٠ ان ايطاليا هى البلد الوحيد القارى العضو فى .O.T.A.N الذى جهز الحصة المقررة له فى الخطة الاساسية ٠ ولكن أمنه يتعلق بمتانة الجبهة المركزية ٠

أما فيما يتعلق بالجبهة الشمالية ، فى النرويج والدانمارك فهى أيضا أكثر ضغطا فليس هناك عمليا أى دفاع ، ضد هجوم جدى مباغت٠ ومما يزيد فى هذا الضغط خطورة أن هذا الجناح يحمى المنافذ المستخدمة من قوات الغواصات الروسية الهامة الى الأطلنطى ٠ وان منفذ البلطيك عبر الكاتجات KATTEGAT ذو أهمية هائلة لمنع ظهور تلك الغواصات وسط طرق المواصلات البحرية للغرب ولانجلترا بصورة خاصة ٠

والحقيقة الأساسية لهذا الوضع هو ان أمن أوربا الحرة متعلق بصورة حقيقية طيلة هذه السنوات بأثر الهجوم المباشر الشامل الرادع للقوة الجوية السوقية الامريكية ، يعنى بقدرتها على الرد على أى عدوان روسى عن طريق برى بأعمال انتقامية بالقنابل الذرية على روسيا ٠ فلم تساهم هذه النفقات الهائلة التى صرفت على القوات الأرضية والجوية التعبوية التابعة لمنظمة .O.T.A.N الا بشىء قليل ـ هذا اذا أدرجت فى الحساب ـ كدفاع أو لمؤازرة الهجوم الشامل الرادع ٠ وكل ما يمكن تأكيده هو أن الشعور بأن الدول الغربية تقوم بشىء ما لحمايتها الخاصة

ربما عزز معنويات الشعوب الأوربية أمام التحدى السوفييتى ، وحتى ولو أن هذا الشعور قد بقى وهما ، نظرا لقيمة الحماية التى يتيحها درعهم العسكرى الخاص .

ولكن يطرح اليوم سؤال جديد وخطير هو : هل تستطيع دول O.T.A.N. أن تثق وقتا أطول بالحماية التى تقدمها حتى الآن قوة الهجوم المباشر للقوة الجوية السوقية الأمريكية ؟ .

وقد طرح هذا السؤال الحيوى فى السماء باطلاق القمر الصناعى السبوتنيك ، تلك العملية التى كللت بالظفر فى أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٩٥٧ ، وطرح هذا السؤال أيضا بصورة أعنف عندما تبدت الخصائص المدهشة للقمر الصناعى Lunik والصاروخ الموجه الى القمر ، الذى أطلق فى يناير (كانون ثانى) ١٩٥٩ .

وقد زعزع التقدم الروسى فى علم الصواريخ الروسية الثمار الأولى التى استندت اليها سياسة الدفاع الغربى لاقامة تنظيمها السوقى : الايمان المجامل بأن لدى الأمريكان (كما ينبغى عليهم أن يكون لديهم) تفوق واسع على روسيا فى مجال الاسلحة الذرية ، وامكانية قذفها على أهدافها . وقد عبر عن هذا التأمين المريح ، فى هذا الفصل ، عاما بعد عام ، ثم أعيد تأكيده فى كثير من المناسبات طيلة الاثنى عشر شهرا الماضية .

واليوم بعد أن اتخذت روسيا مكان الطليعة فى مجال الصواريخ مما يخلق توازنا مع القوة السوقية الجوية الأمريكية فان التفوق العددى الهائل والطويل الأمد لروسيا وحلفائها فى مجال القوات الأرضية ، قد أضحى بذلك أكثر أهمية .

والتوحيد قادر على تعزيز ثقة الروس وثقة حلفائهم فى قدرتهم على تطوير ضغط ضد الغرب ، دون عاقبة سيئة .

كل هذا يميل الى جعل الاعتداءات المحلية والحروب الصغيرة أكثر احتمالا ويستطيع هذا أيضا أن يشق للايمان طريقا بامكانية القيام بغزو على مقياس واسع دون المغامرة باحداث حرب ذرية كالسابق .

وقد صرح فى الماضى الناطقون العسكريون الأمريكيون أن قواتهم سترد بالأسلحة الذرية على كل هجوم ضد بلدان أو مواضع تقع فى أراضى حلف شمال الأطلنطى . وقد استخدمت الجملة المعتدلة التالية « هجوم

هام » حديثا جدا بالرغم من انها تتضمن أيضا انه سيرد أيضا على أية اغارة أو غزو محلى بعمل ذرى ، اذا لم تكف الوسائل الأخرى لايقافه بسرعة واجباره على الانكماش ٠

فضلا على ذلك فقد استند الجزء الأكبر من تدريب قوات O.T.A.N. طيلة الأعوام الخمسة الأخيرة على ضمان استخدام الأسلحة الذرية وفورا ، ضد كل محاولة للاعتداء ٠

وكلما عبر الرأى العام عن الشك فى احتمال تردد الأمريكيين فى الرد بهذا الشكل حتى ولو عبر عن شك ضعيف بوقوع هذا الاحتمال ، فاننا نرى أنه يدحض باستخفاف من كل المستويات ٠

وقد ألقينا نظرة خاطفة على الوضع الذى يحقق تعادلا عدميا ذريا ٠ فهل تغامر حكومة أمريكية لايقاف تجاوز على الحدود أو غزو مهم ، على أرض بلد حليف بعيد فى الوقت الذى يحقق فيه هـذا الرد احتمال التعجيل بهجوم معاكس ذرى على أرضها الخاصة ، الصالحة والمعرضة للخطر فى الوقت الحاضر ؟ وهل يستمر الحلفاء الصغار ، عن بعد ، فى الاعتقـاد بأن أمريكا حاميتهم ، ستغامر بالانتحار لصالحهم لو وصلت الأمور الى مثل هذا الحد من التهديد ؟ وهناك ماهو أهم أيضا وهو ان الروس ، هل يؤمنون بذلك ؟ ومثل هذه التضحية الشخصية تبـدو لرجال الكرملين (الذين يحسبون ببرود وأعصاب هادئة) غير معقولة أو غير محتملة على الأقل ٠

ويتعلق كل شىء بناء على ذلك على الأهمية التى يعلقها رجال الكرملين فعلا على الانفعالات العاطفية والضغوط التى تحدث فى الطرف الآخر ٠ وقد برهن التاريخ أن لبعض الشعوب مثل هذه الانفعالات دون أن تأخذ مصلحتها الخاصة أو حماية بلدها بعين الاعتبار ٠ ومن الممكن أن يكون خروشوف والزعماء السياسيون الروس الآخرون أذكياء ويتذكرون الخطأ فى الحساب المميت الذى ارتكبه هتلر فى عام ١٩٣٩ ، الذى استند فيه الى التأكد من أن الانجليز عاقلون جدا ولن يتورطوا فى الحرب ويغامروا بتدمير بلدهم ، لأنهم أعطوا فقط وعدا عاجلا لبولونيا ٠ ولم يرد ستالين وهتلر أن يعتقدوا بالموجة الانفعالية الصادرة من الأعماق التى سارعت بدخول حكومة المستر تشمبرلين فى الحرب ، فى ظروف أقل ملاءمة ودون أن تفكر فى النتائج المخربة ٠ وان أفضل أمل لعالم اليوم فى عصر الانتحار الذرى هو أن يأخذ ، الذين خلفوا ستالين هذا الدرس بعين الاعتبار ، كما

يأخذون بعين الاعتبار أيضـــا رودو فعل أكثر حدة واتساعا للشـــعب الأمريكى .

ويشكل مثل هـــذا الوعى أمتن ميقف لغزو روسى لبلدان منظمـــة الحلف ، ولكن تطور السلاح الذرى يتيح له أهمية حيوية لتعزيز وتحسين فاعلية ودرجة استعداد وقدرة القوات البرية لمنظمة حلف شمال الاطلسى على العمل ، وايقاف كل تجاوز محلى على الحدود ، يقوم به الروس أو الدول الدائرة فى فلكهم لأنهم سيجرءون على ذلك نظرا للتوازن الجـــديد فى القوات فى المجال الذرى ولأنهم متفوقون فى الصـــــواريخ ذات المـــدى الطويل (١) .

والخطر الاول اليوم ينبع من نشوب حرب ذرية اكثر من نشوبهـــا بالتحريض المصمم عليه . ويستند هذا الخطر الى أنه من الممكن ان تتحول بعض التحركات الهجومية الصغيرة الى حرب ذرية بصورة عرضية ، اذا لم توقف وتخنق فى مهدها بسرعة .

ومن المؤسف أن المشكلة قد تعقدت وزاد الخطر من هذا المخرج الجديد من المآزق الذى يتضمن التعويض عن عدم كفاية قوات الدفاع بتزويدها بالأسلحة الذرية التعبوية ، وقد طبـــق هـــــذا الترتيب قبـــل أن يدرس ويفحص بصورة كافية وينظر الى نتائجه وقد « بيع » هذا الحل لحكومات O.T.A.N. ولشعوبها بكثير من الفكر المقنع والتجـــــارى اكثر من الفكر المنطقى (٢) .

---

(١) لقد تطور موضوع الصواريخ منذ عام ١٩٦٠ حتى اليوم وكذلك موضوع الدفاع عن القارة الاوربية فجلباتريك ، النائب السابق لوزير الدفاع الأمريكى ومن أقرب المعاونين لماكنمارا منذ عام ١٩٦١ حتى قدم استقالته في يناير من ١٩٦٤ يرى أن الدفاع عن القارة كاف في الوقت الحاضر ولذا لابد من الاتجاه الى تطوير الصواريخ المضادة للصواريخ طالما أن الاتحاد السوفيتى مازال حتى الآن في مرحلة تجربة هذه الصواريخ المضادة للصواريخ .

ويرى جيلباتريك أن أمريكا ستحتاج فى عام ١٩٧٠ الى صواريخ عابرة للقارات مثبتة على أجهزة اطلاقها كما انها ستحتاج الى قوة ذرية في البحر (بولاريس) ، ولن تحتاج الى الصواريخ الموجودة حاليا والتى تعتبر صواريخ الجيل الاول والى القاذفات التى يقودها الطيارون . (المعرب)

(٢) أوضح خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى يناير (ك ٢) فى عام ١٩٦٣ ، رأيه في الحرب الذرية كما يلى : يقدر العلماء الأجانب والخبراء العسكريون بأن الولايات المتحدة تمتلك الآن ما يقرب من ٤٠ ألف قنبلة هيدروجينية ورءوس ذرية كما يعرف الجميع أن الاتحـــاد السوفيتى يمتلك بدوره أكثر من هـــذه الاسلحة =

ولم يعبر أى قائد من قواد المصالح ولا أى قائد من قادة القيادة العامة للحلف .S.H.A.P.E عن سبب مقنع يجعلنا نؤمن بأن الاسلحة الذرية التعبوية قادرة على ايقاف الهجوم دون اثارة حرب ذرية شاملة ، وانتحار عام بالتالى • فقد أظهروا على العكس ، وفى كثير من المناسـبات امام الرأى العام أنهم يعتبرون انه من غير العملى التمييز بين الاسـلحة الذرية المسماة بالتعبوية والسوقية منها •

وهكذا نرى انه من الصعب فهم كيفية دعم هذه الاسـلحة للهجوم كما اعرب عن ذلك القادة العسكريون الغربيون برقة ولطف • لان الروس لو توصلوا الى نقطة أضحوا فيها مستعدين للمغامرة بحرب فى مواجهـة قنـابل ذرية تعـادل الميجـاتون mégatonno (١) لاعتمـادهم على سلاح مضاد جديد او لاعتمادهم على الابطال neutralisation nucléaire فليس من المحتمل أن تضعضع معنوياتهم صدمة من القنابل لاتعادل الا بضعة من الكيلو طن (٢) ، فى المجال التعبوى • والواقع انه من المنطقى أن الروس واعون لاستنتاج .S.H.A.P.E حـول عـدم امكانية التمييز بين الاستخدام التعبوى والسوقى ، وهذا الوعى يشجعهم على الاعتقاد بان فى مكنتهم أن يقوموا بصورة طويلة وبتدرج متتابع قبل ان يجرؤ رجال دول .O.T.A.N على القاء أية اسلحة ذرية (٣) •

= فما الذى سوف يحدث لو استخدمت جميع هذه الاسلحة ضد الناس ؟ ان العلماء يقدرون بأن الضربة الاولى وحدها كافية لان تطيح بما يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مليون نسمة كما ستدمر جميع المدن الكبرى كما أن تأثير الحرب الذرية سيظل قائما فى حياة أجيال كثيرة مسببا المرض والموت واسوأ أنواع التشويه ، لا أقول هذه الاشياء بهدف اثارة الرعب فى نفس أى كائن ولكنى اردد ما وصل اليـه العلم فى حقـائق ينبغى ان نضعها فى اعتبارنا •

(١) أى ما يعادل مليون طن من .T.N.T

(٢) أى ما يعادل ١٠٠٠ طن من .T.N.T

(٣) الرأى الشائع الذى يقول انه كلما اقترب العملاقان من نقطة التشبع الذرى ارتفـع الصوت الذى يقول ـ كما قال جونسون منذ وقت قريب ـ انه لا يمكن التفكير فى حرب ذرية •

(المعرب)

وبالاختصار ، فقد كان لاستنتاج S.H.A.P.E, (قيادة حلف الاطلنطى) المتوافق مع قبولها فكرة ان **الاسلحة** الذرية التعبوية تقلل الحاجة الى القطعات ، كان لهذا الاستنتاج أثر طبيعى على احباط جهودها الخاصة لانشاء قوة دفاعية ملائمة ، لان هدفه المزدوج هو تبديد كل امل فى اى نوع من الدفاع لاينتهى بالانتحار • وفى الهجوم المباشر الشامل الرادع بتعزيز شعور منتشر بالمجاملة فى الاوساط السياسية مضمونة أن لا فائدة ولا مجال لانشاء قوات برية •

ويقابل O.T.A.N. اليوم المتطلبات المخيفة للابطال الذرى فماذا ستكون آثاره الرئيسية ؟ **أولا** تقليل أثر الهجوم المباشر الشامل الرادع ضد العدوان بالقوات التقليدية **والثانى** زيادة أهمية درع (دفاع) O.T.A.N. وقيمته على القارة كدفاع وهجوم فى الوقت نفسه **والثالث** هو زيادة اخطار التبعية للحلف الا اذا دعمت قوة الدفاع بصورة كافية لترد على اى هجوم روسى دون أن تشن الحرب الذرية • وقد اضحت اقامة درع غير ملائم مركبا خطرا من الاغراء والاثارة ومن الممكن أن تصبح مميتة أكثر تحت هذا المظهر الثانى الذى يشبه التعهد الأنجلو فرنسى تجاه بولونيا والذى لم تستطع الدولتان الوفاء به •

ومن المخاطرة بشكل خاص بالنسبة لانجلترا أن تطلب من O.T.A.N. ضمان حماية أعضائه فى توسعهم وفى تنوعهم •

فهى تستطيع بسهولة أن تجد نفسها وقد جرت الى الحرب لانها قامت بتجاوز معين على الحدود او اى ضغط محلى على أرض أحد الاعضاء فى القارة الاوربية • فطالما بقى الدرع فى وضع غير ملائم فان تهديدا صغيرا من هذا النوع قد يفجر حربا ذرية عامة • ففى مثل هذا الاحتمال تصبح انجلترا اكثر الدول تعرضا للموت من بين كل البلدان الاخرى نظرا لكثافتها الصناعية واعتمادها الوثيق على مرافىء جزيرتها الصغيرة فى التموين •

ان المصلحة الحيوية تحتم عليها بناء على ماتقدم تقديم افضل مساهمة ممكنة لتقوية القوة الدفاعية للحلف على ارض القارة الاوربية • ومن المهم بالنسبة اليها أيضا أن تفرض على الاعضاء الموجودين فى القارة مساهمة تتناسب مع اوضاعهم •

ان الجهد العسكرى لبلدان O.T.A.N. فى الوقت الحاضر ضعيف جدا اذا ما قورن بتعداد السكان • والدول الست الاخرى التى تشكل بالاشتراك مع الولايات المتحدة الدرع الدفاعى على الجبهة المركزية ذات تعداد للسكان يعادل ١٧٠ مليونا ولكنها لا تزود الحلف الا بما يعادل خمس عشرة فرقة للدفاع ، أى ١٩٠٠٠٠ جندى ، وتملك روسيا التى يبلغ عدد سكانها (٢٠٨) ملايين حسب ما يعتقد البعض ، ١٧٠ فرقة أى نسبة تعادل وتزيد عن عشرة اضعاف •

فما هو السبب فى عدم نجاح الدول الغربية فى انشاء درع ملائم لحمايتها الخاصة ؟ قد يكون السبب انعدام الارادة وعدم بذل الجهود ، أو بخلا خطيرا أو سوءا فى التنظيم أو هو مجموع هذه العيوب جميعا •

ولو قمنا بتحليل بسيط لاكتشفنا أن القسم الاعظم من الاعضاء القاريين للحلف ينفقون حوالى ٤ ٪ من الدخل القومى أو من ضرائبهم على دفاعهم الخاص فى حين تصرف بريطانيا منه أكثر من ٨٪ وتصرف فرنسا اليوم منه مثلنا الا ان القسم الاعظم من نفقاتها تمتصه حرب العصابات فى الجزائر • ومساهمتها فى الدفاع المباشر عن اوربا ضعيفة لدرجة خطيرة • (١) ان من حق بريطانيا أن تلح على الدول الاعضاء بصرف نفقات اكثر للدفاع عن انفسهم او على الاقل أن ينفقوا بمقدار النسبة التى تنفقها هى ، اذا كان لزاما عليها أن تستمر فى المساهمة فى الدفاع عن دول القارة ، بكل ما فى هذا الدفاع من اخطار متزايدة •

وهناك عيب فاضح آخر ، من جهة هذه الدول الاعضاء ، ألا وهو قصر مدة الخدمة العسكرية ، فبالنسبة لمعظم هذه الدول لاتتجاوز هذه المدة من ١٢ الى ١٨ شهرا وهو عائق خطير يمنع انشاء عدد مناسب من الفرق الفعالة •

ان اثنى عشر شهرا من التدريب ان لم يكن خمسة عشر ، مدة ضرورية حتى يصبح الجنود قادرين فى هذا العصر الفنى أن يأخذوا مكانهم بصورة ملائمة فى تشكيلة عملياتية ، ولا يستطيعون دعم الدرع فى الواقع

---

(١) ان فرنسا بعد أن اضطرت الى الانسحاب من الجزائر نتيجة استبسال الجزائريين وتضحياتهم وايمانهم بقضيتهم بدأت تخلق للحلف مشكلة جديدة وهى مشكلة المانع الذرى الفرنسى فستتكون قوة ديجول الذرية من آخر طراز لقاذفات القنابل من طراز ميراج التى تحمل القنابل الذرية • ولكن هذه القوة ستكون عديمة الفائدة نظرا لتقدم السوفييت فى الدفاع الجوى •

(المعرب)

الا بعد مضى هذه المدة على خدمتهم . فهناك نسبة هائلة من الجنود السوفيت يقضون ثلاث سنوات فى خدمة العلم قبل أن ينتقلوا الى الاحتياط ، وهذا عامل مهم لانشاء كمية كبيرة من الفرق العاملة فى روسيا .

فاذا كانت الدول الغربية لا تريد أن تفرض مدة خدمة طويلة على شبابها يبقى أمامها احتمال تشكيل قوات خطها الاول بكاملها من جنود محترفين كما قررت انجلترا أن تفعل ، ولكن دول القارة الاعضاء فى نادى الدفاع تنفر من زيادة مدة الخدمة بشكل ملائم ، وفى الوقت نفسه تتقزز من منح المال اللازم لدفع رواتب ملائمة لقوة تغطية ملائمة من الجنود النظاميين .

وهناك مسألة اخرى لا تقل اهمية عما سبق هى أن نعرف الى أى مدى يرجع هذا الرقم الضعيف الذى يرثى له ، من الفرق العملياتية التابعة للحلف الى سوء فى تنظيم الموارد الجاهزة . فمن البديهى أن الروس يستخلصون نسبة اكبر بكثير من الفرق العملياتية من مواردهم البشرية . وهنا يكمن سبب كاف للشك فى عدم فاعلية تنظيم الجيوش الغربية وكثرة تكاليفها (١) وتتطلب المسألة فى مجموعها استقصاءات مفصلة يقوم بها خبراء حياديون . فلو لزم تحقيق هذا الموضوع، لا يمكن الثقة باللجان الاقليمية التى تميل الى التمسك بمصالحها الحزبية واعتادت على الخطط المفرطة للحرب الاخيرة ، كما لا يمكن الثقة باللجان البرلمانية أو بلجان البحث غير المحددة التى من الممكن بسهولة ، خداعها ، نظرا لعدم تجربتها .

---

(١) صرح الاستاذ سايمور مليمان الاستاذ بجامعة كولومبيا ، وهو من المطلعين على الاستراتيجية الامريكية أن فى استطاعة امريكا أن تخفض نفقات دفاعها الى النصف دون أن يؤثر هذا التخفيض على قوتها الرادعة . ولكن القوات الجوية الامريكية ردت على نظرياته بكتيب صغير ــ ولا مجال هنا لتفصيل الردود .

(المعرب)

فبالارادة والذكاء وبفحص جديد كامل للتنظيم الحالى ينبغى أن يكون من الممكن بلوغ المســـتويات المعينة بصـــورة أولية لدرع O.T.A.N. وهذا يزود الغرب بشكل من الدفاع لاينتهى الى الانتحار وبهجوم شامل رادع مباشر أكثر ضمانا من الهجوم الذى يسلكه فى الوقت الحاضر معتمدا على القوة الانتقامية الذرية ·

ان الحرب الذرية قد اضحت غير معقولة منذ أن تبدلت شروطهـــا عنـــدما أنشأ الروس قوة ذرية مماثلة ومنـــذ أن تفوق الروس فى ميدان القذائف الصاروخية · (١) ·

---

(١) لا بد من تعليق عابر على حلف الاطلنطى فهذا الحلف منذ انشائه يحيك المؤامرات ضد الشعوب الآسيوية والافريقية وساهم في كلّ الحروب الاستعمارية وبخاصة في حرب الجزائر والهند الصينية وفى العدوان الثلاثى على مصر العربية · وللحلف الاطلنطى دور كبير فى تسليح اسرائيل ومدها بأحدث الاسلحة كما اشار الى ذلك السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٠ يوم النصر ببورسعيد ، وساهم حلف الاطلنطى أيضا فى حبك المؤامرات والدسائس ضد حركة التحرر العربى ، فلما بلغ المد التحريرى القومى أقصى مداه فى عام ١٩٥٨ ، أنزل قوات فى لبنان والاردن ·

ان انشاء الاحلاف العسكرية ، واقامة القواعد العسكرية فى البلدان الاجنبية يهدد حركة التحرر ويقضى على السيادة الوطنية لذلك لا بد من القضـــاء على هـــذه الاحلاف والقواعد وتحطيمها ·

(المعرب)

- ٢ -

غيوم فوق برلين

أظهرت المؤتمرات الاخيرة التى عقدها خروشوف ليبحث فيها مشكلة برلين أنه يريد اثارة تعـديل فى الوضع ، فى هـذه المنطقة ، بالرغم من ان مؤتمراته كانت اقل تشددا من ذى قبل . فهو يلح مجددا فيما يتعلق بنوايا روسيا للتخلى الى حكومة المانيـا الشرقية على الاشراف على الطرق المؤدية الى برلين وأضاف فى تصريحاته أنه لن يتسـاهل باقامة جسر جوى فوق برلين كمـا جرى فى أزمة عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ اذا لم يتوصل الطرفان الى اتفاق حول موضوع برلين ·

وتستطيع الحكومات الغربية والصحافة والرأى العام أن تأخذ هذه التصريحات باستخفاف تام · فهم على ما يبدو يقدرون أن خروشوف يكرر ببساطة الحيلة القديمة وليسـت لديه أية نوايا كما فى الماضى ، فى تنفيذ مشروعه ·

فهل هناك مبرر لهذا الرضى المريح عن أنفسـهم وهل لديهم الحق بأن يدعوا أنهم لو حافظوا على ثباتهم ولم يتزعزعوا ستتبدل الأضـواء الحمراء الى أضواء خضراء ؟ ·

فقد وجدت القوات الحليفة ، منذ عام ١٩٤٥ ، فى برلين فى وضـع مزعج جدا ، من الصعب الاحتفاظ به تعبويا لانه وضع منعزل متداخـل بعمق فى الارض التى يحتلها الروس ·

ولكن كان لدى الامريكيين ، المالـكين فقط للقنبلة الذرية ، ورقة رابحة فى مكنتهم أن يلعبوا بها لدى كل حادث أثناء أزمة عام ١٩٤٨ ، أما اليوم فقد تغيرت الظروف بصورة جذرية · ويستطيع خروشوف أن يحس بأن هذه الظروف قد تبدلت بشكل عميق نوعا ما لصالح روسيا كى يكون ميالا ليحافظ على الضغط الذى يمارسه أكثر من الماضى ·

ويتأتى اكبر تغيير فى الظروف من التفـوق المدهش للروس على الامريكيين فى صنع القذائف الدقيقة ، ذات المسافات الطويلة . ويقول

الخبراء الامريكيون ان الروس قد سبقوهم الآن بعدة سنوات فى هذا المجال ٠

وفى مكنة الروس أن يفكروا بأن تقدمهم هو اكبر بكثير ايضا وبمقدورهم أن يستنتجوا ايضا أن هذا التفوق وقدرتهم على تدمير المدن الكبرى للولايات المتحدة بالصواريخ العابرة للقارات ، تلغى تفوق القوة الجوية السوقية الامريكية وانه قد نشأ وضع من الابطال - ان لم يكن نوعا من العدمية الذرية وبامكان الروس أن يتشجعوا لاستغلال تفوقهم الهائل فى القوات التقليدية معتمدين على هذا الاشراف المتبادل فى استخدام الاسلحة الذرية وان يصبحوا مغامرين اكثر فى غزو اهدافهم السياسية ٠ وهكذا نجد أنه من الممكن أن يميلوا اكثر الى المغامرة للحصول على حل للمشكلة الالمانية ، قبل أن تزود قوات المانيا الغربية بالأسلحة الذرية ؛ اذ انهم يحسبون أن الفرص أفضل فى هذه اللحظة والاخطار أقل مما قد تصبح فى المستقبل اذا قاموا بتأجيل عملهم ٠

ولقد شجعت تجربة هذه الاعوام العشرة الحلفاء على التفكير بأن أزمتهم ستحل عقدتها اذا امتنعوا عن أى عمل مع الحفاظ بحزم على موقفهم، فى حين كان لدى الروس شعور لحل الموضوع بسرعة. فمثل هذه الثقة قد تكون بسهولة فى غير محلها ولا تلائم الظروف اذا استمرت دون تحديد ودون اعتبار لتبدل الظروف اذ أن بعض ملاحظات خروشوف تعنى انه تخيل بوضوح بعض الطرق لايجاد حل للموضوع قد يضطر الحلفاء بأن يتخذوا قرارا قائلا « بأن يبدأوا بالرمى » ٠

فماذا سيفعل الحلفاء لو قطعت عليهم المنافذ المؤدية الى برلين الغربية ؟ ان الحل الوحيد الذى سيختارونه هو اما أن يحاولوا فتح الطرق بوساطة الارتال المدرعة أو أن يلتفوا على الحواجز ويجلبوا التموين بوساطة الجسر الجوى ، كما فعلوا عام ١٩٤٨ ٠

وهذا الموضوع يجلعنا وجها لوجه امام السؤال التالى ، اذا كان بامكان الروس أن يسدوا طرق التقرب ؟ بامكانهم ذلك دون أن يفتحوا النار ناقلين مسئولية العنف على الحلفاء الغربيين ٠

ان الطرق البرية التى تصل الى برلين من ألمانيا الغربية تجتاز اراضى المانيا الشرقية على مئات الاميال أو اكثر ويقطع هذه القسيمة الطويلة انهار صغيرة وكثير من الانهار الكبيرة وتجتاز الطرق عدة كتل مشجرة .. فلو اجتاز اى رتل مدرع الحدود فمن الممكن أن تنسف خلفه الجسور بالتتابع عند تقربه ويمكن كذلك قطع بعض الاشجار مسبقا ،

والقاؤها على الطريق لتسده اذا كان ذلك ضروريا . ومن الممكن أيضا نسف بعض مقاطع الطريق حتى يصبح غير قابل للاستخدام . ويسهل هذا العمل على الطرق المزدوجة العريضة التى تسير غالبا على طول بعض المرتفعات . ومن الممكن وضع الحواجز على حافات الطرق لمنع كل محاولة للخروج عن الطريق أو الالتفاف على المقاطع المخربة حيث كانت الارض منبسطة. ومن الممكن حراسة مثل هذه الحواجز بقطعات بشكل لا تستطيع فيه الارتال الآلية اجتياز حاجز دون أن تمر عليها أو تفتح النار . ومن الممكن تجهيز شواطىء الانهار بالطريقة نفسها لمنع اقامة الجسور .

ولم يلتقط الرئيس ايزنهاور هذه الامكانيات التى تتاح للخصم فى تحقيق تخريب سلبى عندما صرح قائلا : « ان الحلفاء لو أوقفوا ، فلا بد لاحد الطرفين من استخدام القوة ، ولا يمكن أن تنبعث الطلقات لو وجدت فى البدء الا من الناحية الروسية » لانه ، نظرا لطبيعة الوضع الحقيقى نرى أن الجهة التى تريد التقدم هى الجهة التى ستتخذ التدابير العنيفة وأن تبدأ بالرمى لو أوقفها أى تدمير على الطريق .

وعندما يبدأ الرتل الآلى بالرمى ، لتكنيس الطريق يستطيع الروس بفرقهم العشرين الميكانيكية معززة « بسبع فرق من ألمانيا الشرقية » أن يتدخلوا فى العمل بقوة تتفوق بكثير على قوة الغرب . وفى مكنة الروس أن يصدوا بسهولة كل محاولة للحلفاء فى متابعة السير . فاذا قذف الحلفاء بأسلحتهم الذرية بقصد سحق الحشود الروسية ، فبامكان الروس أن يردوا بنفس الاسلوب والطريقة وتصبح القوات الحليفة بصفتها القوات التى تحاول التقدم فى الارض أكثر قوات الطرفين تعرضا للخطر .

ولو زاد الحلفاء مدى قذفهم الذرى الى طرق المواصلات الروسية يصبح الروس قادرين على القيام بقصف ذرى يستهدف القواعد الانجلو ـ أمريكية فى أوربا وهى أسهل للضرب وأكثر تعرضا للخطر من الطرق البرية للتموين الروسى .

ففى كل مرحلة سيضطر الحلفاء الى زيادة الآلات والى المغامرة بالانتقال الى المرحلة التالية على الطريق المميت الذرى الذى يبلغ ذروته فى القصف الذرى السوقى والى التدمير المتبادل للمدن ولصناعة كلا الخصمين .

تلك هى الطريقة التى تتجه فى كل مرحلة من مراحلها لغير الصالح العام والى خراب أفضل البلاد تنظيما ومدنية .

وهكذا يبدو أن مشروع قذف قوة مدرعة على الطريق الى برلين بأمل أن يكون تأكيدا على تصميم الحلفاء لاجبار الروس على فتح الطرق ، يبدو

هذا المشروع سخيفا جدا . وسيتعرض بالتالى الى فشل فورى ولن يترك للحلفاء الا الخيار بين تراجع ذليل ونكبة أخرى .

أما فكرة التغلب على الحصار بجسر جوى فتبدو تقريبا كثيرة الوعود لانها تشكل أيضا محاولة فى مكنة الروس عمليا ايقافها دون الاحتياج الى أخذ المبادأة بالرمى . وتمثل برلين الغربية مساحة صغيرة من الارض ، من الممكن أن تحاط بسد من المناطيد يوضع فى الارض المجاورة لالمانيا الشرقية وبامكان هذا السد أن يغلق المنافذ الى مطارات الحلفاء فى برلين الغربية ومن الممكن تكملته بأجهزة من ستار من المظلات والاشرطة مشابهة لستار المظلات والأشرطة المستخدمة أثناء الحرب العالمية الثانية لاخماد نشاط الهجمات الجوية على الارتفاعات الواطئة بشكل كامل ضد المعامل . ومن الممكن أيضا ارسال دوريات تدميرية فى الممرات الجوية الثلاثة التى تتجه من برلين نحو الغرب ومن الصعب المحافظة على الجسر الجوى ، مع مثل هذه الموانع .

والرئيسى فى مشكلة برلين أن الروس فى وضع لا يمكن مهاجمته ، والحلفاء فى وضع مستحيل . وفى مكنة الحلفاء الحفاظ على هذا الوضع أطول وقت ممكن تسمح به روسيا وهو وضع أشبه «بالزنزانة» او «الحبس المنفرد» اغلقوا أبوابها بأيديهم فى عام ١٩٤٥ ، وتنبع الصعوبات الحالية من عدم الواقعية وضعف النظر الذى برهنت عليه الحكومات الامريكية والبريطانية عندما قبلت توزيع مناطق الاحتلال التى لم تتح لها أى منفذ مباشر الى برلين . وبهذا الشكل وقعت فى الفخ ويتحمل روزفلت وترومان وايزنهاور وتشرشل وآتلى مسئولية هذا الجنون السخيف .

ان التهدئة المتواصلة ليست أفضل أمل للحلفاء للقضاء على التوتر ، لأن التفاوض للوصول الى تسوية واسعة النطاق وتعتمد على تراجع الطرفين هو الحل الافضل وقد تتيح هذه التسوية امكانية تخلصهم من هذه الورطة ومن مصيدة برلين . وبما أنهم أمهلوا وماطلوا مدة طويلة فى الوقت الذى كانت فيه السيئات تزداد ، فهم الآن فى وضع لا يسمح بالمساومة .

وقد يكون أفضل دعم للحلفاء ، مع الروس الذين يحسبون جيدا هو خوفهم من أن يجن الحلفاء بعض الوقت ويشتركوا فى حرب انتحارية بدلا من أن يتخلوا عن موقفهم الصعب أمام تحدى الروس كما يعلم الروس ايضا أن الحلفاء كانوا عميا عندما وضعوا أنفسهم عام ١٩٤٥ فى مثل هذا الوضع الدفاعى الذى لا يلائم . ومن العقل أن يتفهم خروشوف خطورة الاشارات والحركات التى تسبب ردود فعل انفعالية عنيفة .

- ٣ -

غيوم على جناح البلطيق

لقد صمم (O.T.A.N.) بصورة أولية عندما ولد على فكرة تغطية أوربا الغربية ضد هجوم روسى ، وقاد الجهد العسكرى الرئيسى الى اقامة درع أمام ما يسمى بالجبهة المركزية الأوربية ٠

وبعدئذ ، بعد أن أصبحت اليونان وتركيا عضوين فى عام ١٩٥٢ ، كان الاهتمام الاول هو صنع درع للجبهة الجنوبية وجناح O.T.A.N. فى مسرح المتوسط ٠ وبالمقارنة لم يوجه الا اهتمام ضعيف الى الجناح الشمالى لحلف الاطلنطى بالرغم من أن الدانمارك والنرويج كانا عضوين فيه منذ انشائه ، فانه لم يبذل الا الشىء القليل لانشاء درع فى هذا المسرح ٠

ان الجناح الشمالى هو أضعف نقطة فى حلف الاطلسى فى أوربا وفى كل الاتجاهات ٠ وهو أضعف النقاط لو حسبنا القوات الحالية الجاهزة للدفاع عنه ، كما أنه أضعفها فى مجال التعرض السوقى وفى ميدان التنظيم ومثل هذه المجموعة من نقاط الضعف العمياء كافية ليقشعر منها جسم كل رجل واقعى ٠

فهو يعرض الجبهة المركزية التى يمكن الالتفاف حولها الى خطر شديد ٠ ولكن فى مكنة الاعضاء الجنوبيين للحلف ، فى المتوسط أيضا، ان يقاسوا آثار اختراق وانهيار للجناح الشمالى لأن الدانمارك والنرويج تعطيان المنافذ البحرية لقوات كبيرة من الفواصات الروسية السريعة والبعيدة المدى ، والتى يتمركز القسم الاعظم منها فى موانىء البلطيق والمحيط المتجمد الشمالى ٠

وهذا لا يعنى بالضرورة أن الفواصات السوفيتية ستستخدم لاقامة حصار مماثل لحصار الحربين الاخيرتين ، بمعركة غير محدودة من ضرب الطوربيدات بالنظر ، كما يؤكد ذلك أيضا بصورة عامة عدد من أمراء البحر المنتسبين الى المدرسة القديمة ٠

ونظرا لأن مثل هذا الحصار يشكل تهديدا حيويا وبخاصة لانجلترا بسبب اعتمادها على طريق البحر فى تموينهـا لتغذية شعبها واعاشته • فان هذا السبب يجعل محاولة الزعماء الروس لشن حرب من هذه الطبيعة دون الاستعداد لخطر الحرب الشاملة أمرا من غير المحتمل حدوثه لانه فى مثل هذا الاحتمال ، تصبح معركة الغواصات لا لزوم لها لانها لن تشكل الا وسيلة بطيئة السرعة فى احداث النتائج الحاسمة • ولكن من الممكن استخدام الغواصات الروسية بطريقة أدهى فى معركة ايقاف ذات نتائج مضرة جدا ، قادرة على فرض احتيـاطات كثيرة التكاليف وجهود مضنية للقوافل البحرية ، عسكرية كانت أم تجارية •

ولقوات الغواصات الروسية فى بحر البلطيق امكانيـات محدودة لأنها لا تستطيع الوصول الى أعالى البحار الا بعد اجتياز مضائق ضيقة (عرضها أربعة أميال فقط) بين الدانمـارك وجنوب السـويد ، أو بين الجزر الدانمـاركية فى زيلاند وفينن (باستثناء ممر بطىء جدا على طول المياه الاقليمية) ، أو أيضا المضايق الضيقة للكاتجات KATTEGAT وسـكاجراك بين الجوتلاند الدانماركيـة وجنوب النرويج • وللمرور من البلطيق الى بحر الشـمال لا بد لهم من اجتيـاز ٣٠٠ ميـل من المياه غير الآمنة • فلو فتح هذا المدخل (بوغاز) لأضحت التسعون غواصة ــ أو أكثر ــ من الأسطول الروسى فى البلطيق قادرة على الاندفاع نحو الاطلنطى بعمليات ازعاج للطرق المحيطية التى تتجه الى أوربا الغربية والجنوبية وفى مكنتها أن تعمل ضد أى جزء من هذه الطرق بل ضد السواحل الامريكية نفسها أو فى داخل البحر الابيض المتوسط لأن مدى العمـل للغواصات ذات المدى المتوسط هو (من ٤٠٠٠ الى ٨٠٠٠ ميل) ، فى حين يبلغ هذا المـدى للاصناف الجديدة منهـا نموذج (W) و (Z) ١٢٫٠٠٠ ميل أو أكثر •

ومن الممكن بسهولة كبرى النفوذ من بحر البلطيق • ويعتبر الموقع الدفاعى للدانمارك ضعيفا ذاتيا من وجهة النظر السـوقية خلافا لضعف القوات الدانماركية التى تحمى الحدود • وقد انطبع فى ذهنى هذا الواقع الاساسى فى عام ١٩٣٣ عندما زرت الدانمـارك بعد أن استولى هتلر على السلطة وقد استشرت من قبل القائد العام الدانماركى عن خطة الدفاع عن الدانمارك ضد هجوم ألمانى • وبعد فحص عام للمشكلة السوقية وطرق التقرب بدا لى أن الحـل الافضل الممـكن هو عمل تأخيرى قصـير (١) فى

---

(1) action retardatrice

جزيرة الجوتلاند يقاد مع الامل بربح الوقت الضرورى لوصول المساعدة الحليفة ، ولم يكن هذا ممكنا الا اذا أعدت التحضيرات اللازمة لذلك . وكان بالطبع من المستحيل الاحتفاظ بزيلاند الجزيرة الرئيسية التى تقع فيها كوبنهاجن . وقد بينت أنه من السهولة بمكان احتلال العاصمة بضربة مفاجئة تنطلق من البلطيق ، وتقوم قوات منقولة عبر البحر ومحمولة جوا . وقد ظهر لى عدم جدوى الدفاعات المهيأة فقلت انه من الحكمة الغاء الموجودة منها وايقاف توسع هذه الدفاعات واعلان كوبنهاجن مدينة مفتوحة .

واعتبرت النصيحة تشاؤما فى غير محله من قبل الوطنيين الدانماركيين المتحمسين . فضلا على ذلك فقد شاركهم وجهة نظرهم هذه حتى آذار (مارس)١٩٤٠ أعضاء الحكومة البريطانية الذين كانوايقدرون أنه من الصالح اتخاذ الهجوم فى هذا القطاع على المستوى السوقى ، بادخال الدانمارك والنرويج فى الحرب وكان تشرشل المحامى الاول عن أخذ المبادأة فى هذا الموضع والقيام منه بهجوم . ولكن عندما اضطر هتلر الى أن يسبقنا تحت وطأة هذا التهديد أسرت المواقع السوقية فى الدانمارك بصورة مفاجئة وفى بضع ساعات وسحقت المقاومة فورا ، فى حين أخذت المواقع السوقية فى النرويج بنفس السرعة تقريبا . وبينما قاومت أجزاء من القوات النرويجية المجزأة وقتا كافيا كى تسمح بتدخل البريطانيين والفرنسيين ، كان الالمان يجتاحون بقية البلاد ويحتلونها فى بضعة أسابيع .

وانه لمن الصعوبة بمكان كبير أن يكرر الروس اليوم ضربة هتلر ، فهناك قسيمة من الارض المسطحة لا تتجاوز (٨٠) ميلا فقط تفصل بين القوات الميكانيكية السوفيتية المتمركزة قريبا من (لوبيك) فى ألمانيا والحافة الجنوبية لجوتلاند . فضلا على ذلك فان الاطراف البحرية للسوند المضيق بين زيلاند والسويد ، سهلة على القوات البحرية الروسية ، كما كانت كذلك بالنسبة للالمان فى عام ١٩٤٠ . وتملك روسيا أيضا قوات منقولة جوا أهم من القوات الالمانية فى ذلك الوقت ، ومن الممكن استخدامها للاستيلاء فجأة على زيلاند وجوتلاند فى آن واحد .

وللاسطول الروسى فى البلطيق ثمانية طرادات حديثة قوية وحوالى أربعين مدمرة دون أن نحسب عددا من المراكب الصغيرة وحوالى تسعين غواصة كلها صالحة للهجوم عبر البحر ، كالهجوم الالمانى عام ١٩٤٠ . أما القوات الغربية المخصصة للدفاع عن البوغاز (مدخل المضائق) فهى أضعف بكثير فلا يشتمل الاسطول الدانماركى الا على مدمرتين وستة

طرادات خفيفة وأربع غواصات ومعظم مراكب هذه القوة الصغيرة قديمة ومنسقة • وتتألف البحرية النرويجية من ست مدمرات وعشرة طرادات خفيفة وثماني غواصات ، في حين سيكون لدى البحرية الالمانية الجديدة ، ١٢ مدمرة ، وست طرادات ، واثنا عشر مركبا ، ولكن من المشكوك فيه أن تستطيع هـذه البحرية الصغيرة التدخل بفاعليـة في الوقت المـلائم لمجابهة هجوم مفاجيء عن طريق البحر ضد الجزر الدانماركية التي تسد مخرج البلطيق •

وللدانمارك جيش صغير جدا لدرجة أن قواته الصالحة لا ترتفع الا الى ما يساوي فرقة واحدة • كما أن هذه القوات أيضا ، ليست في حالة استعداد للرد على أية ضربة مفاجئة • وتملك روسيا للقيـام بمثل هذه الضربة عشر فرق منقولة جوا وأسطولا للنقـل الجوي كافيا لنقل فرقتين على دفعة واحدة • فضلا على ذلك فان قواتهم المتقدمة للصدام في المانيا الشرقية تشتمل على عشرين فرقة ميكانيكية ، ومن الممكن استخدام جزء منها للاندفاع برا في جوتلاند في حين يحتفظ بالباقي ضد تدخل مجموعة جيوش الشـمال لحلف .O.T.A.N التي هي أضـعف عددا بكثير وأقل ميكانيكية بشكل كامل •

وتزداد صعوبة المقاومة الفعالة نظرا لأن مسئولية الدفاع عن مدخل المضيق البلطي مفصـولة عن الجبهـة الاوربية المركزية ، بالرغم من أنه يغطي الى أقرب ما يمكن الجناح الشمالي لهذه الجبهة • وتقع هذه المسئولية مع مسئوليـة الدفاع عن القسيمة الطـويلة من الارض النرويجيـة ، على القيادة العامة لقوات الحلفاء في أوربا الشمالية •

ولكن القوات في هـذه القيـادة ـ التي يتردد صداها قويا جدا ـ قوات صغيرة اذا ما قورنت بقوات القيادات الاخرى للأوتان .O.T.A.N في حين وضعت القوات البرية الدانماركية والنرويجية بامرة قيـادات تابعة مختلفة .

فضلا على ذلك ، يعوق الدعم الفعال في حالة الخطر الارادة السيئة التي يظهرها هذان البلدان (الدانمارك والنرويج) في السـماح لقوات الحلف الاخرى بالتمركز فيها ، أو في قواعدها قبل أن يظهر الخطر تجنبا منها من اثارة روسيا ومثـل هذا الاشمئزاز مفهوم نظرا للظروف التي تحيط بهمـا الا أنه يقلل من قيمـة صفتهما كأعضاء في الحلف الى درجة سـخيفة • فاذا كانوا لا يريدون قبول وجود تعزيزات من الحلف كقوات احتياطية في المكان نفسه ، فالافضل لهم أن يعودوا الى موقف الحيـاد ،

الى جانب السويد . فمن شأن موقفهم الحالى أن يوفق بين الاثارة والاغراء وهو سلوك أعطت المثل فيه بولونيا منذ عشرين عاما فبرهن عن طابعه المميت . وليست قوات النرويج بأكثر أهمية من قوات الدانمارك فهى تساوى فرقة واحدة . وفرص هذه القوات قليلة فى مقاومة ضربة منقولة بالجو تقوم بها روسيا على الشاطىء الجنوبى للنرويج الذى يحازى مخرج سكاجراك نحو البلطيق. فضلا عن ذلك، فان هذا الشريط بالرغم من أنه مهم جدا من وجهة النظر السوقية ، لايمثل الا جزءا صغيرا من خط السواحل الهائل الذى يتحتم على النرويج الدفاع عنه والذى يبلغ طوله ١٦٠٠ ميل من التقائه مع السويد فى سكاجراك الى نهايته الشمالية قبالة القاعدة الروسية فى مورمانسك . ورغم خشونة البلاد ، فان دفاعها بمثل هذه القوات الضعيفة هو دون أمل تقريبا ضد القوة التى يستطيع الروس نشرها . وان الاستيلاء على القسيمة الشمالية للنرويج يسهل على الغواصات الروسية الدخول الىالاطلنطى من قواعدها فى المحيط الشمالى، بينما يسمح الاستيلاء على موانىء الساحل الاطلنطى للنرويج بالعمل بفاعلية أكثر ضد خطوط تمويل الحلف .

وانه لمن المدهش بعد وعى مدى التعرض للخطر الذى يخضع له الجناح الشمالى للحلف والوضع الحالى للدانمارك والنرويج اللذين هما بدون دفاع ، من المدهش ألا يوجه الانتباه الكافى الى الاخطار فى هذا القطاع ومن الصعب فهم هذا الرضا حول موضوع الدفاع عن البلدين والمشكلة المطروحة .

وقد قيل فى الماضى ان أى تنقل روسى داخل الاراضى الدانماركية أو النرويجية قد يثير بصورة آلية أعمالا انتقامية ذرية ضد روسيا بواسطة القوة الضاربة للحلف وان هذا التحدى المعاكس كاف لتثبيط أى نقل مماثل ، ولكن السؤال يطرح نفسه من جديد ، مع تطور القوة الذرية ووسائل قذف القذائفالصاروخية ذات المدى الطويل فاذا توصل الروس تحت قناع أية حجة ملائمة للقيام بهجوم مفاجىء لاحتلال بعض النقاط ، ثم يتقدمون بعد ذلك وفورا بعرض المفاوضة على اتفاق على أساس حقوق « حرية المرور » الى المياه الدافئة ، فهل تستطيع الدول الغربية عندئذ الوصول الى مستوى اثارة حرب انتحارية شاملة بأسلحة ذرية أم تقبل التفاوض ؟ وليس هناك من منطقة أصلح وأسهل بل وتغرى بنوع من الهجوم الذى لا يستمر أكثر من أربع وعشرين ساعة كقسيمة الارض

الاسكاندينافية ، الواقعة فى الجناح الشمالى للحلف، وبخاصة فى وضعها الحالى من الضعف المتزايد .

وبما أن الدانمارك والنرويج تشمئزان من وجود قوات من الدول الاخرى للحلف تتمركز على أرضـــها ، فان أفضل رد على خطر مثـــل هذه الضربة المفـــاجئة ، هو لواء نارى عائم وقوة برمائيـــة تتمركز فى موانىء شمال ألمانيا أو فى موانىء الجزر الشمالية لانجلترا ، وفى مكنتها أن تقذف الى البر بوحدات متينة من البحارة منظمـــة تنظيما جيدا للعمل لدى أول انذار .

- ٤ -

غيوم على جناح الشرق الأدنى

هناك مواقع أخرى للمخافر الامامية المعرضة للخطر على أجنحة حلف الاطلسى ، ومن الصعب الدفاع عنها خلافا لبرلين والبلطيق ومن العقل أن نعى أنه من الممكن أن تصبح أهدافا للاستراتيجية السياسية العسكرية السوفيتية. ومن هذه المواقع المزعزعة ايران التى تشكل أرضها باب الممر لبقية الشرق الاوسط . وقد تحسن الوضع فى الاعوام الاخيرة فى ايران وأصبح متينا من كل النواحى ولكن من المؤسف أن شروط الاحتراق وعدم التوازن قد ازدادت بصورة واسعة وبخاصة فى الاجزاء الغربية ، والجنوبية الغربية من الشرق الاوسط وقد سبب هذا بالطبع بصورة مباشرة أو غير مباشرة تدخل الدول الاخرى (١) وقد أتاح هذا أيضا امكانية خلق المتاعب الماكرة بغية الحصول على ميزات سياسية وسوقية .

وظهرت بشائر ضغط سوفيتى متجدد على ايران بشكل مهدد ، عندما اشتكت الحكومة السوفيتية بعنف وأمام الرأى العام من أن حكومة الشاه تتبع سياسة مزدوجة ذات نتائج خطيرة وتضمنت مذكرة الروس أن الايرانيين اقترحوا عليهم معاهدة صداقة وعدم اعتداء ولكن المفاوضات قطعت فجأة بتأثير الضغط الامريكى فى الوقت الذى كان يوقع فيه اتفاق عسكرى جديد مع الولايات المتحدة الامريكية .

ولهذا الوضع جذور تمتد بعيدا الى الماضى ، ومن المهم فحصها فى هذا التوقع للمستقبل فايران كانت فى الماضى مسرحا لسلسلة طويلة من المساومات والمساومات المعتادة فى حرب مستترة .

---

(١) لا تعدو المتاعب التى حدثت للغرب فى هذه المنطقة الا أن تكون تحررا من نفوذه ، ورسم سياسة مستقلة جديدة ضمن اطار حركة القومية العربية المتحررة المؤمنة بالحياد الايجابى الا أن الحكام الغربيين لا يفهمون من زوال النفوذ الغربى فى المنطقة انه زوال لكل نفوذ أجنبى ، بل تدخل دول أخرى وتسلل شيوعى فى المنطقة .

(المعرب)

وقد قام الشاه منذ ثلاثة عشر عاما (١) بخطـوة جريئـة وغامر بالقضاء على حكومة (كراكوز) فى مقاطعة ازربيجان وبالقضاء أيضا على الجناح اليسارى فى حزب تودة فى ايران الذى كان يشكل رتلا خامسا روسيا قويا. وقد تعرض ستالين لهذا الاستقبال السيء المشحون بالشتائم، ولم يتخذ أى اجراء معاكس رغم الدهشة العامة . ولكن فى عام ١٩٥٠ ، اغتيل الجنرال رازمارا رئيس وزراء الشاه وطغت موجة من القومية على البلاد كان من جرائها أن وصل الدكتور مصدق الى الحكم فتعاون الشيوعيون والرفاق العمال مع هـذا الحزب الوطنى وعززوا مطالبهم فى الاستيلاء على الحقول البترولية التابعة للانجليز فانتعش نفوذهم ودبت به الحياة من جديد وتوسع تحت هذا الستار(٢) . وعندما طرد البريطانيون من ايران، توسع نفوذ الامريكان فى المسائل الايرانية فقد كان لبعثتهم العسكرية ، الموجودة منذ عدة سنوات امتياز خاص فى تنظيم وتدريب الجيش الايرانى وكانوا يحضرون فى الكواليس هجوما معاكسا من قبل مؤيدى الشـاه وبخاصة من قادة الجيش (٣) .

وفى عام ١٩٥٣ حدث انقلاب عسكرى ملـكى طرد حكومة مصدق واعاد الشاه الى عرشه (٤) .

وفى عام ١٩٥٥ انضمت حـكومة الشاه الى حلف بغداد وهو حلف عسكرى بين تركيـا والعراق وايران والباكستان وانجلترا بهدف الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط (٥) . وقد لعبت رغبة الشاه فى ضمان مثل

---

(١) بالنسبة للتاريخ الحالى منذ ١٧ عاما .

(المعرب)

(٢) هذا المنطق عجيب ، فالحقول البترولية فى ايران ملك للانجليز وليست ملكا لشعب ايران ، وان دل هذا المنطق على شيء فهو يدل على العقلية الاستعمارية المستغلة التى ما زالت تتخيل انها قادرة على أن تملك كل شيء .

(المعرب)

(٣) هذا بالطبع فى رأى هذا المؤلف الغربى لا يعتبر تدخلا فى شئون ايران وعمل ينافى مصالحها القومية والوطنية .

(٤) تم هذا الانقلاب تحت اشراف الامريكان ضد حكومة مصدق الوطنية .

(المعرب)

(٥) الواقع ان الهدف من اقامة حلف بغداد لم يكن هدفا عسكريا وانما كان هدفا سياسيا وهو منع التغلغل الشيوعى فى منطقة الشرق الاوسط ومحاربة الدول المتحررة آنئذ وهى مصر وسوريا والقضاء على زعامة الرئيس جمـال عبد الناصر كما يتضح من مجـرى الأحداث التاريخيـة منـذ عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٥٨ ، العـام الذى حدثت فيـه الوحدة التـاريخية الرائدة بين سـوريا ومصر وثورة ١٤ تموز التى قادها البطل =

هذا الدفاع دورا هاما فى تحقيق الحلف وفى القضاء على شكوك الغرب فيما يتعلق بحكمته السياسية وقيمته العسكرية (١) . وتستند هذه الشكوك الى أثر التحريض والاثارة التى يحدثها مثل هذا الحلف العسكرى ضد الحافة الجنوبية لروسيا واثر الاغراء الذى يتيحه بسبب ضعفه السوقى . وكانت مبادأة الشاه مقترحة من التقارير التى بموجبها أنشأ البريطانيون خطط الدفاع عن الشرق الاوسط على طول سلسلة الجبال التى تغطى الحدود الشمالية والغربية للعراق الامر الذى يتضمن التخلى عن كل محاولة للدفاع عن الشرق الاوسط على طول سلسلة الجبال التى تغطى الحدود الشمالية والغربية للعراق الامر الذى يتضمن التخلى عن كل محاولة للدفاع عن ايران .

وقد احتجت الحكومة السوفيتية بصوت عال ضد حركة ايران بتوقيع حلف بغداد وفسرت ذلك بأنه خرق لمعاهدة الحياد مع روسيا ولكنها امتنعت مرة أخرى من أن تتبع انذارها بأى عمل مباشر وبدلا من أن تقوم بهذا العمل المباشر لجأت الى تدابير مضادة غير مباشرة ، وكان أول هذه التدابير اعطاء السلاح لمصر التى تساعدها على تطوير عملى تشتيتى يحدث الشلل فى مؤخرات هذا الحلف الحديث العهد الذى يقف بمواجهة الشمال (٢) . وهو الدرع الشمالى كما يسميه الامريكيون أو رأس الرمح كما يشير اليه الروس .

وكان نشاط ناصر الذى كان يوسع نفوذه ويضرب النفوذ الانجليزى فى البلاد المجاورة تخدم بفاعلية أكثر الاهداف المخربة لخروشوف . وقد حدث هذا أيضا نتيجة وجود كل الخمائر المضادة للغربيين . وكما لوحظ

= عبد السلام عارف وسخرها عبد الكريم قاسم لاغراضه الشخصية ومن مجرى الاحداث حتى وقوع الانفصال بين سوريا ومصر عام ١٩٦١ كما أن الولايات المتحدة الامريكية لم تنضم الى هذا الحلف الا بعد مدة طويلة من انشائه ، ان بريطانيا وامريكا لو كانتا تؤمنان بدور هذا الحلف فى الدفاع عن الشرق الأوسط لأقدمتا على تسليح جيوش دول الحلف باحدث الاسلحة .

(١) أية قيمة عسكرية وسياسية يتحدث عنها المؤلف لملك يقدم بلاده لتكون قاعدة من قواعد الاحتلال ؟

(٢) ابتعد المؤلف هنا عن مناقشاته الموضوعية العسكرية التى التزم بها طوال الكتاب اذ أن كسر احتكار السلاح من مصر كان لغرض آخر الا أن تطور الطاقة العسكرية فى أى بلد متحرر يشكل خطرا على المصالح الامبريالية دوما .

(المعرب)

حقيقة : « لقد طبقت الشيوعية لغة القومية العربية وكأنها لغتها الخاصة » (١) .

ثم حدث بعد ذلك فى تموز (يولية) ١٩٥٨ الثورة العسكرية فى العراق بقيادة الجنرال قاسم فحطمت هذه الثورة آليا الحلقة المركزية لحلف بغداد . ولكن حكومة الولايات المتحدة التى تجنبت حتى ذلك التاريخ الدخول بشكل كامل فى الحلف قاومت فورا وتعهدت بأن تدافع بنفسها عن أعضاء الحلف الباقين فى الشرق الاوسط . ايران ، باكستان ، تركيا ، وقامت بهذا التعهد بتصميم واندفاع أكثر من أى وقت فى الماضى (٢) . ولم تحدث صياغة المعاهدة بنفس السرعة التى تعهدت بها حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، الا أنه فى ديسمبر (كانون الأول) استنتج الجميع أن توقيعها بات وشيك الوقوع ، فحاولت الحكومة السوفيتية عندئذ نسفه بانذار جديد لايران وكانت تعتبر مثل هذه التسوية خطرا قريبا من الاتحاد السوفيتى . وقد ذكرت روسيا ايران بأن المعاهدة الايرانية السوفيتية لعام ١٩٢١ والتى تجددت بمعاهدة ١٩٢٧ تعطى لروسيا الحق عند حدوث مثل هذا الخطر «بارسال جيوشها الى ايران» كى تتخذ التدابير الضرورية للدفاع عن نفسها » .

ومن الممكن أن حكومة الشاه اضطرت الى تقديم عرض جديد لتطمئن روسيا بعقد معاهدة جديدة معها فى مطلع عام ١٩٥٩ نتيجة القلق الناتج عن هذا الانذار ونتيجة الاستياء من الاقتراحات الامريكية الاولى ، ومن

---

(١) بما أن المؤلف قد طرح هذا مناقشة فلا يمكننى أن أمر على ذلك دون التعليق عليه . اذا كان ما يدعيه المؤلف صحيحا فهذا ناتج عن غباء السياسة الغربية التى لا تزال تعيش فى عقلية الفتح الاستعمارى فالسياسة الغربية التى تتحكم الصهيونية والمصالح الاحتكارية والرأسمالية فى رسمها لم تقف اى موقف مؤيد للعرب ولقضاياهم القومية والضمائر الموجودة فى الوطن العربى ضمائر وطنية تفضل مصلحة بلادها على كل مصلحة وليست لها أية مشكلة مع الاتحاد السوفييتى الذى يناصر نضالها ضد الاستعمار وأعوانه ويؤيد حقوقها المسلوبة بينما يقف الغرب موقفا مغايرا من امانيها وآمالها ولا يزال الغرب يحتل قسما فى بلادنا فيما عدا الاجزاء المحتلة من الوطن العربى المسلوبة منه كفلسطين العربية ولواء الاسكندرون العربى .

(٢) ان هذا الاندفاع الجديد للولايات المتحدة لم يكن بغرض الدفاع عن الشرق الاوسط بقدر ما كان بغرض تهدئة الأوضاع الداخلية فى هذه البلدان وحمايتها من ثورات تحررية فى الداخل تطيح بالحكومات العميلة للاستعمار الانجليزى والامريكى كما برهنت على ذلك الاحداث فى عام ١٩٥٨ الى ١٩٦٤ .

(المعرب)

الممكن أن يكون سبب قطع المحادثات هم الروس الذين كانوا يطلبون كثيرا والامريكيون الذين كانوا ينثرون الوعود بدون حساب ٠

ولكن تبقى المسألة الحادة : ماذا يستطيع الروس أن يعملوا اذا دخلت القطعات الروسية الى ايران بحجة معاهدة ١٩٢٧ ؟

ولايران درع دفاعي طبيعي في حدودها الشمالية الجبلية المواجهة لروسيا وتشكل سلاسل الجبال المتتابعة الواقعة في الخلف سلسلة من المواقع الدفاعية التي تسمح بدفاع عميق لأمد طويل (١) ولكن القيمة الفعلية لهذه الحواجز تستند الى قوات متينة بصورة كافية ينبغي الحصول عليها كي تحتل هذه المواقع بحزم ولكنها لا تشكل في حد ذاتها الا حاجزا مؤقتا أمام القوات الميكانيكية ٠ وقد بدا هذا بوضوح تام في عام ١٩٤١، عندما اجتاحت القوات المدرعة الالمانية الجبال البلقانية في بضعة أيام مفرقة بقواتها الجيوش اليونانية واليوغوسلافية وقد كانت هذه الجيوش أيضا جيوشا كثيرة العدد ومؤلفة من قطعات متينة ٠

وقد أظهرت الطريقة التي سحقت بها هذه القوات أن المتانة لاتكفي عندما تفتقد الاسلحة والتجهيزات الحديثة ٠

ومن الواضح جدا أن الجيش الايراني ضعيف من كل النواحي اذا ما قورن بأحد هذهالجيوش فحجمه تقريبا حوالى١٢٠٫٠٠٠ مقاتل ويشتمل على ثلاث عشرة فرقة اسميا ذات ابعاد صغيرة وقد زوده الامريكان في الاعوام الاخيرة بكمية صغيرة من التجهيزات الحديثة نسبيا (٢) وببعض التجهيزات الأخرى٠ وقدم الضباط الامريكيون مساعدة في مادة التدريب ولكن من الممكن اعتبار أربع أو خمس فقط من هذه الفرق الصغيرة ، من الممكن اعتبارها فرقا فعالة ، وحتى في هذا الفرق لا تكفي كمية الاسلحة والتجهيزات الحديثة (٣) ٠

---

(١) هذه المناطق التي يتكلم عنها المؤلف كانت من الواجبات الأساسية (نظريا) لحلف بغداد وهي مستندة الى أن الروس سيقومون بهجوم على ايران مستولين في مرحلة أولى على أذربيجان وهجوم آخر من تركستان ضد دفاعات البرز والمناطق الجبلية التي يتحدث عنها المؤلف هي البرز وزاغروس والغرض من عمليات الروس ـ احتمالا ـ هو حقول البترول والاستيلاء على دجلة والفرات ٠

(المعرب)

(٢ ، ٣) هذا يؤكد ماقلناه سابقا من أن الدور الذي ستؤديه هذه الدول في الدفاع عن نفسها دور وهمي ويؤكد استنتاجنا بأنهم لم يكونوا جادين في تسليح هذه الدول وكل ما كانوا يعملونه هو اشغال حكومات العراق وباكستان وايران بلجان مكافحة كل نشاط تحرري تقدمي في المنطقة وايهام ضباط القوات المسلحة لهذه الدول بأنهم =

وبالرغم من أن ثلاثا منها فقط ـتسمى «فرقا مدرعة» الا أن دباباتها منسقة • وهناك ما هو أسوأ وهو ندرة أسلحتها المضادة للدبابات • ان مرتبات الجنود منخفضة جدا ، وقد افسح الاستياء من هذا الموضوع مجالا كبيرا للدعاية الشيوعية فى صفوف الجنود والضباط الاعوان ، فحتى لو استطعنا الثقة بمتانة الجيش فسيكون قوة صغيرة جدا لحماية ٧٠٠ ميل من الحدود الشمالية الايرانية ـ و ٢٥٠ ميل الى الغرب من بحر قزوين ، و ٤٥٠ ميل الى الشرق وقسيمة أخرى مؤلفة من ٤٠٠ ميل من الحدود الشرقية المواجهة لافغانستان (١) • وان أفضل فرصة فى مثل هذه الشروط لايقاف التقدم الروسى ، اذا وضعنا جانبا الاسلحة الذرية هى تدمير مدروس دراسة جيدة للطرق المارة عبر الجبال • ولكن احداث شبكة كاملة من التخريبات يتطلب موارد هامة وهى صفات لا يمكن وجودها متجمعة فى هذه المنطقة الا بصعوبة • ولن ندهش اذا علمنا أن بعض الضباط الايرانيين الذين درسوا مشكلة الدفاع قد لاحظوا أن فى مكنة الروس احتمالا أن يجتاحوا البلاد فى أقل من أسبوع الا اذا وصلت نجدات خارجية فى الايام الاولى وبكميات كبيرة •

وسيحدث التقدم الروسى فى الشرق الاوسط فى أكثر الاحتمالات وقوعا عبر أذربيجان الايرانية متابعا تقدمه الى العراق ، فوق الممرات المؤدية الى راوندوز وكركوك (٢) •

وهذا الطريق هو أقصر الطرق لأنه لا يوجد أكثر من ١٠٠ ميل من الاراضي الايرانية ينبغى اجتيازها قبل بلوغ الحدود العراقية وفى مكنة

= سيلعبون دورا عظيما فى تنظيم الدفاع عن منطقتهم وهناك ما هو أخطر بالنسبة للعراق السعيدى في ذلك الوقت وهو اجباره على الوفاء بالتزاماته تجاه دول الحلف حتى في حال نشوب معركة بين الدول العربية واسرائيل كل هذا يؤكد أن معركة اسرائيل معركة مع الدول الاستعمارية أولا وآخرا .

(المعرب)

(١) تعتبر هذه الحدود مصدر خطر كبير لأنها أرض صالحة للدبابات وفيها وادى المشد الذى لو سيطر عليه الروس لمنع أية نجدات من باكستان الى شمال وشمال شرق ايران • (المعرب)

(٢) أى في المرحلة الأولى ـ هجوم على هضبة أذربيجان ومن ثم التقدم في اتجاه طهران وكذلك هجوم ينطلق من تركستان ضد دفاعات البرز ـ وفي مرحلة ثانية الهجوم للاستيلاء على ممرات الزاجروس ـ عبر العراق ـ وفي مرحلة ثالثة ـ الانطلاق لاحتلال أهداف أخرى في دجلة والفرات بعد أن يتم الاستيلاء على الممرات الجبلية .

(المعرب)

الروس استخدام قطعات محمولة جوا لفتح الطريق وللحفاظ عليها مفتوحة ٠

وعلينا أيضا أن نعتبر امكانية ضربة جناحية (جانبية) الى داخل ايران تنطلق من المنطقة الواقعة الى الشرق من بحر قزوين ، يقوم بها الروس أو الافغانيون الذين جهزوا جيدا بالعتاد الروسى فبامكانهم دخول العراق لو اجتاحوا ايران بسرعة انطلاقا من نقاط أخرى واقعة على طول الحدود الممتدة الى ٦٠٠ ميل بين راوندوز والخليج الفارسى (العربى) وهذه المساحة قسيمة واسعة من الارض من الواجب حمايتها ، حتى ولو كان الجزء الاعظم منها جبليا ٠ ويشكل العراق الى الجنوب والى الغرب من الحدود حلبة رائعة لمناورة القوات المدرعة ويستطيع المهاجم أن ينصب كالنهر عليها ابتداء من اللحظة التى يستولى فيها على الممرات الجبلية (١)٠ وخلف العراق ، أو على أجنحته الخلفية توجد سوريا ولبنان والأردن والعربية السعودية وليس لأية دولة من هذه الدول حدود من السهل الدفاع عنها ضد الغزو وبالرغم من أن المواقع المتقدمة من الصحراء تستطيع أن تساعد فى الحد من القوة العملياتية للمهاجم ٠

وليس لدى أية دولة من هذه الدول قوات قادرة على المقاومة بصورة جدية ضد الغزو الروسى حتى ولو كانت قوة هذا الغزو محدودة ، فضلا عن ذلك ، فهناك خطر جدى من أن يخدم العراق روسيا كدولة تابعة لها تدور فى فلكها (٢) ٠

والجيش الوحيد الفعال فى الشرق الاوسط هو جيش اسرائيل وقد برهن هذا الجيش عن صفاته العالية (٣) بصدد الغزو الجماعى للبلاد

---

(١) لا بد من التعليق هنا على المناطق الدفاعية لحلف بغداد سابقا وهى المناطق التالية :

(أ) المنطقة الجبلية الممتدة من شرق تركيا ـ أذربيجان ـ جبال البرز ـ جبال هنديكوش ٠

(ب) منطقة جبال زاجروس ٠

ـ كان من واجب حلف بغداد الدفاع عن الممرات الشمالية فى العراق بقوات تعادل أربع فرق ، من واجب العراق أن يجهزها ٠

(المعرب)

(٢) هذا الكلام ينطبق على عهد عبد الكريم قاسم ـ لأن الكتاب نشر فى عام ١٩٦٠ ٠

(المعرب)

(٣) لا بد من التعليق على هذا الكلام ومناقشته ٠

ـ اعتمد المؤلف فى مدحه لهذا الجيش واعتباره أفضل قوة فى الشرق الاوسط الى حادثتين تاريخيتين هما :

العربيـة فى عام ١٩٤٨ ومن جديد فى معركتـه التى استمرت « ١٠٠ » ساعة ضد المصريين فى عام ١٩٥٦ وهـذا الجيش بالتأكيـد هو أمتن قوة مقـاتلة فى الشرق الاوسط فقـادته قادة نشيطون ، ومدربون تدريبـا عسكريا جيدا ، كما أنهم أذكياء جدا وهو تركيب من النادر وجوده ولكن قوته وتجهيزاته هشـة وضـعيفة كى تقـاوم غزوا تقـوم به دولة كبرى كروسيا .

وللجيش السـوفييتى خمس عشرة فرقة عاملة مجهزة تجهيزا جيدا تتمركز فى القفقاس . الى الغرب من بحر قزوين ومن تسع الى عشر فرق تتمركز فى مكان قريب جدا ومن الممكن ان يضاعف المجموع العام لهذه القوات معتمدة على ثلاثة خطوط للسكك الحديدية التى تسير نحو الجبهة فى هذه المنطقة السوقية ، فلديها اذن قوة قادرة على اجتياح ايران ، وبينمـا نجد انه من الصعوبة بمكان على روسيا ان تغذى قوة اكبر من خمس عشرة فرقة فى تقدم طويل نحو الخليج الفارسى فقد تكفى مثل هذه القوة بصورة واسعة لابعاد الجيش الايرانى ونجدات الحلفاء التى من الممكن ارسالهـا لمساعدته .

وللامريكان بعثة هامة فى ايران ولكن ليس لديهم تشكيلات مقاتلة على مقربة منها فيما عدا الافواج الثلاثة للبحرية الموجودة مع الاسـطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط .

وقد عززت هذه الكتائب الثلاث أثناء أزمة لبنـان فى عام ١٩٥٨ ،

---

١ ـ معركة عام ١٩٤٨ التى خاضتها الدول العربية ضد اسرائيل .
٢ ـ معركة عام ١٩٥٦ وهى معركة العدوان الثلاثى .
١ ـ فمعركة عام ١٩٤٨ لم تكن معركة بالمعنى الصحيح ولم يشترك فيها فعلا الا الجيش المصرى والجيش السورى أما بقية الجيوش العربية فكانت قواتها معطلة ولم تشترك لأن حكوماتها كانت تأتمر بأمر الانجليز أنفسهم وقد لعب هؤلاء أرذل دور ضد أمانى شعب فلسطين ، والجيش السورى والجيش المصرى اللذين اشتركا فعليا فى هـذه المعارك لم يحققا الاهداف السوقية لتحركاتهما نظرا لخيانة القيادة العامة الممثلة بالملك عبد الله وقائده جلوب الانجليزى ونظرا لأن هذه الجيوش وخاصة الجيش السـورى حديثة التكوين وتفتقر الى التسليح والتنظيم والكفاءة فى القادة . وكانت معـركة فلسطين في عام ١٩٤٨ معركة سياسية أكثر منها معركة عسكرية والقوى السياسية التى كانت تسيطر على الحكم آنذاك لم تضع فى اعتبارها أن المعركة مع الصـهيونيين هى معركة مع المصالح الامبريالية والبترولية فى المنطقة . وهناك ما هو أهم أيضا كيف يمكن للعرب أن يخوضوا معركة ضد الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار بكل صوره وأشكاله والوطن العربى تزرع أرضه القواعد العسكرية الاجنبية التى تشـكل نقاط ارتكاز للعدوان عليه .

بمجموعة منقولة جوا اتت بالطائرات من الجيش الامريكى السابع فى المانيا، وفى الولايات المتحدة الامريكية يوجد احتياط سوقى مؤلف من سبع فرق، منها اثنتان منقولتان جوا ولكن من الممكن اجتياح ايران قبل ان تتدخل احدى هاتين الفرقتين وتظهر على المسرح ٠

والانجليز ، فى وضع افضل من الامريكيين للتزويد بنجدات سريعة منذ حادث السويس ، ولكن احتياطيهم السوقى اضـــعف بكثير ، واقصى ما يمكنهم ان يفعلوه فى الوقت الحاضر هو أن يبعثـــوا الى المسرح بسرعة باللواء المظلى الذى أفرزوه الى الاردن أثناء أزمة عام ١٩٥٨ (١) وارسال هذا اللواء الى مسرح عمليات بعيد كالمسرح فى ايران يشكل مشكلة اكثر صعوبة عند انطلاقه وفى تموينه فى نفس الوقت ٠ ولزام أن نعتمد على شريك آخر اقوى عدديا وهو تركيا ٠

فتركيا واقعة على الجناح الايسر ومن عادتنا ان نحدد مكانها فى الشرق الادنى وهذا التعبير صحيح جغرافيا وسوقيا نظرا لان حدودها الغربيـة

---

٢ ـ أما معركة العدوان الثلاثى فمن الثابت ان اسرائيل منيت بهزيمة ساحقة فى الساعات الأولى من المعركة ، ولم تشترك اسرائيل وحدها بل كانت هناك قوات جوية وبحـرية فرنسية وانجليزية فى اسرائيل كما أن القوات الاسرائيلية رفضت القيام بالعدوان الا اذا أعطتها دول العدوان ، انجلترا وفرنسا ، حزاما جويا وبحريا كما أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى ابريل (نيسان) ١٩٦٤ فضلا عن أن القوات المسلحة المصرية لم تكن قد هضمت السلاح الروسى بعد حصار للسلاح دام مدة طويلة ، كما أن مصر العربية صمدت صمودا هائلا فى وجه الانزال فى بورسعيد وتحملت بصـبر وشجاعة القصف الجوى الذى قامت به دول العدوان ٠ ومنذ هذه المعركة حتى عام ١٩٦٢ تطورات القوات العربية فى الجمهورية العربية المتحدة تطورا هائلا ، فى تسليحها وفى كفاءة قواتها ، وفى حركتها السوقية والتعبوية ، كما برهنت عن ذلك ثورة اليمن ودعمها من قبل القوات العربية وسيكتب التاريخ عن هذه المعركة بأنها نقطة تحول هائلة فى التاريخ العسكرى وفى التاريخ القومى لهذه المنطقة ـ فلعل هذه الأحـداث كلها تبدل نظرة المؤلف الى هذا الموضوع ٠ ولا بد من أن يأخذ المؤلف بعين الاعتبار ان استراتيجية الاستعمار فى المنطقة تعتمد على الجيش الاسرائيلى كرأس رمح ضـد القوات العربية المتحررة ، واسرائيل بصريح العبارة هى جسر عدوانى استعمارى فى المنطقة يعتبر امتدادا للحروب الصليبية ولمنع اتصال المغرب العربى بالمشرق العـربى وتفاعل نضاله وكفاحه من أجل الوحدة ٠

(المعرب)

(١) نزلت هذه القوات فى الاردن بعد ثورة العراق كما وصل الاسطول السادس الامريكى وأنزل وحداته فى لبنان فى عهد كميل شمعون ٠

(المعرب)

تقع فى اوربا ملاصقة لحدود بلغاريا واليونا ن، بشكل تتعرض فيه الى غزو روسى من هذه الناحية أو غزو من الدول البلقـــانية الدائرة فى فلك الاتحاد السوفييتي • ولكن حدودها الشرقية تقع فى الشرق الاوسـط مجاورة لايران وللحدود الروسية فى القفقاس ايضا والموضع الجناحى فى هذه المنطقة ذو اهمية وتأثير هائل على المستوى السوقى •

وقد أخذت فرنسا وبريطانيا السبق بتوقيع معاهدة للعون المتبادل مع تركيا، وعززت تركيا بدعم من أمريكا وقد نمى هذا الدعم حينما دخلت امريكا نهائيا فى تنظيم الدفاع الحليف • وقد منحت الطبيعة اراضى تركيا حواجز جدية ودعمت هذه الحواجز بجيش يقارب تعداده (٤٠٠ر٠٠٠٠) جندى منظمين فى خمس وعشرين فرقة منها ست فرق مدرعة بالرغم من أنها ليستمجهزة تجهيزا كاملا ولا حديثة كلالحداثة • وقد برهن الاتراك فى المـاضى أنهم مقـاتلون أشـداء وبرهنوا على ذلك حديثـا فى كوريا ايضا • والجيش التركى فى طريقه الى أن يصبح حديثا بواسـطة المعونة الامريكية التى تقدم اليه • ويعانى هذا الجيش من صعوبات متزايدة الا انه لزام عليه أن يكون قادرا على الدفاع وحده والدفاع كان دوما نقطته القوية •

فلو استطاعت تركيا ان تبسط يدها بسرعة كافية لتســاهم فى حماية جارتها ايران ضد هجوم روسى قادم من القفقاس ، لشكل هــذا فرقا كبيرا فى مسـتقبل الدفاع الأولى ، وهــذه أهم مرحلة • ولـكن من المشكوك فيه أن تستطيع تركيا تطوير هجوم معاكس فعال خارج حدودها الخاصة •

والقوات الروسية القابلة للاستخدام فى هذا المكان أهم بكثير من القوات التى يمكن أن تقابلها لأن فرق الروس المنقولة جوا تشكل وسيلة لخرق الحواجز الجبلية بسرعة مســتولية على الممرات الرئيسية الموجودة بعمق الى الخلف ، مثيرة الرعب والفزع •

ويذكرنا الدفاع الارضى الحالى عن الشرق الاوسط بالقصة الجميلة لاندرسون المسماة ـ الثوب الجديد للامبراطور • وهى قصــة دجال ، يعرف الطبيعة الانسانية وادعى حياكة ثوب جـديد للامبراطور ، وروى هذا الدجال أن لهذا الثوبخاصية فى جعله غير مرئى لأى انسان لايستحق المنصب الذى يشغله واحترس الوزراء والامبراطور من أن تبدر بادرة تدل على أنهم لايستطيعون أن يروه ولكن طفلا فتيا صرخ : « ولكن الامبراطور عار تماما • »

الخلاصة : ليس هناك فرص ولا وسيلة للدفاع عن ايران ضدالغزو الا بالقوات الجوية الامريكية المتمركزة فى منطقة البحر الابيض المتوسط ، ومع استخدام القنابل الذرية التعبوية • (١) •

واستخدام القنابل الذرية قد يولد خطر تحول الحرب الى حرب ذرية شاملة ، وهكذا نجد أن امريكا ستتردد كثيرا في اتخاذ القرار بمثل هذا العمل بينما لم تتردد فى اعطاء ايران ضمانة لحمايتها ، ولكنها مع الاسف قد وسعت هذه الضمانة فى الحماية بعيدا جدا وسريعا جدا بشكل ابعد واسرع من امكانياتها السوقية •

ولقد كادت الضمانة البولونية فى ربيع عام ١٩٣٩ أن تولد نتائج مميته لكل البلدان المتعهدة بها • وضمانة ايران فى العصر الذرى ذات نتائج أسوأ ويمكن أن نأمل فقط أن يعى خروشوف هذه الحقيقة الاساسية اكثر من الذين اعطوا هذه الضمانة وانه سيقاوم اغراء استغلال هذا الضعف افضل مما فعل هتلر ، عندما وجد نفسه وجها لوجه مع خليط من الاثارة والاغراء فى الضمانة البولونية •

وقد يستطيع خروشوف أن يكتشف بسهولة انه سيربح اكثر فى متابعة سياسة سوقية غير مباشرة وتخريبية من القيام بعمل مباشر بالجيوش الروسية فى الشرق الاوسط ، لانه من الواضح كل الوضوح ان لديه مكانا متسعا « ليصطاد فى المياه العكرة » وتستطيع دورة لعجلة الثورة أن تأتى بالاحزاب التى يشرف عليها الشيوعيون الى الحكم فى العراق وفى سوريا وفى أى مكان آخر أو فى ايران نفسها وقد تدفع مثل هذه الحكومات الى طلب دعم روسيا والى تعزيز حمايتها بنفس الطريقة التى طلب فيها الانجليز الى الاردن من قبل الملك حسين والامريكان فى لبنان من قبل شمعون •

ولدى الروس أقوى (قوة) منقولة فى العالم ، عشر فرق منقولة جوا وأسطول نقل جوى كاف ، احتمالا لنقل فرقتين منها دفعة واحدة والوصول المفاجىء لفرقتين منها الى أحد بلدان الشرق الاوسط بناء على دعوة من حكومته ، يضع الدول الغربية أمام وضع فى منتهى الخطورة .

---

(١) هنا يبرز بوضوح عدم جدوى هذا الحلف الدفاعى وان بلدان المنطقة لن تجنى من المساهمة فيه أية فائدة ، لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، بل على العكس ستكون تلك البلاد عرضة للقصف الذرى ، ولو أن هذا القصف الروسى ، سيستخدم طريقة الانفجار الجوى نظرا لأنه يتقدم باتجاه المواقع الدفاعية •

(المعرب)

وهناك نقاط خطرة فى الشرق وهى محمية عدن والبلدان المنتجة للبترول فى جنوب العربية وعلى طول الخليج العربى ، المشتركة بمعاهدة مع بريطانيا أو الموضوعة مباشرة تحت حمايتها .

ففى ربيع عام ١٩٥٨ وخلال مناسبتين فى العام الماضى دخلت القطعات البريطانية فى عدن فى اشتباكات لصد التسللات القادمة من اليمن ، والتى اتخذت شكل المطالبات القديمة التى تتضمن أن محمية عدن هى جزء من ارضه التاريخية ، وفى عام ١٩٥٧ ايضا استدعيت قوة بريطانية من قبل سلطان مسقط وعمان لاخماد ثورة خطيرة فى اراضيه بعد أن انهزمت قواته امام عمان .

وقد أضحى الوضع فى عدن مزعزعا أكثر بعد أن زودت روسيا اليمن بالدبابات والمدافع أو بالاسلحة الاخرى وقد اتفق منذ عامين على أن يبنى الروس مرفأ على شاطىء البحر الاحمر لليمن وان يقيموا قاعدة بحرية فى هذا المكان (١) .

وقد تندلع الاضطرابات من جديد فى يوم من الايام وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار امكانية اندفاع اليمن ، تحت ستار عدوان بريطانى ، ليطلب مساعدة روسيا وقد يرتعش الانجليز لو استيقظوا ذات صباح على القاء المتطوعين الروس بالباراشوت خلف الحدود المتنازع عليها (٢) ليقوموا بتسليح الدبابات الروسية والمدافع المرسلة الى اليمن .

وان افضل تدبير وقائى وأقلها اثارة وتحريضا ضد مثل هذه الاخطار هو فى وجود قوة برمائية قادرة على انزال مغرزة لاطفاء الحريق بسرعة وتكون هذه القوة على مسافة قريبة فى البحار التى تحيط بهذه المنطقة المضطربة . ويتيح الأسطول السادس الامريكى بحكم استقلاله

---

(١) لقد أضحى الموضع الآن أخطر من ذى قبل على بريطانيا ، الدولة الاستعمارية المريضة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في اليمن التى قام بها المشير عبد الله السلال وآزرتها قوات الجمهورية العربية المتحدة ، فليس أمام بريطانيا الا أن تجمع مخلفاتها وتغادر عدن والا فان الشعب العدنى وشعب الجنوب المحتل البطل سيطردها كما طردتها بور سعيد شر طردة .

(المعرب)

(٢) لقد خاب ظن المؤلف هنا فالواقع أن الانجليز استيقظوا فى أوائل أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٩٦٢ فوجدوا قوة عربية على حدودهم ، وجنودا يمنيون يتدربون على الدبابات والمدافع ويستعدون لمعركة الثأر ولاستعادة الجنوب المحتل .

(المعرب)

عن القواعد البرية والمطارات مثل هذه المساعدة القابلة للمنـــاورة وغير المثيرة فى الطرف الشرقى من المتوسط ، فى الشرق الادنى ٠ ومن الممكن أن يكون اكثر فاعلية لو زيد عدد الرماة البحارة فيه ٠ ولكن لا يوجد فى الوقت الحاضر قوة برمائية مماثلة ، قابلة للاستخدام فى البحر الاحمر وفى المحيط الهندى ، للعربية الجنوبية ولمنطقة الخليج العربى ٠ انهـــا ضرورة ٠ لو استطاع الانجليز تحقيقها وطوروا قوة برمائية ملائمة لتخدم هذا الهدف (١) ٠

---

(١) هذا الموضوع مهم جدا كى نجابه خطط الانجليز فى الجنوب المحتل نلفت اليه أنظار القيادة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة وفى اليمن ٠

(المعرب)

- ٥ -

الدفاع عن اوربا الوسطى

من الضرورى أن نحدد وأن نحفظ فى الذهن ثلاث ميزات طبيعية حول موضوع القوة المقارنة للهجوم والدفاع ، كوقاية ضد تقديرات كثيرة التفاؤل ، وذلك عند حساب حجم القوات المطلوبة للدفاع ٠

وأولى هذه الميزات هو أن الهجوم لايتيح الا ميزة واحدة ، ولزام أن نعلم أن الهجوم اذا شن فجأة ودعمت سرعته فى عمليات استثمار الفوز ، يستطيع أن يخترق دفاعا يرد بصورة بطيئة ، بشكل شبه كامل وعميق كى يشل المقاومة ويبطل النسبة العددية للقـــوات ٠ والدفاع وان كان فعالا لا يستطيع أبدا ان يكون سببا فى انهيار سريع للخصم ، كالانهيار الذى يحدثه هجوم ذو « أثر خارق » على المستويات التعبوية والسوقية تقوم به قوات بايقاع متناسب ٠

والميزة الثانية تنبع من الاولى وهى أن كل حساب عددى يرتبـــط بمستوى « الخصائص » ولا يمكن تأمين الميزة الرئيســـية للدفاع الا اذا استحوذ الدفاع على المرونة والحركية ٠ والشرط الاول أن يكون للمدافع رؤية واضحة فى فن المهاجم وايقاعه ٠ ان مثل هذا العيب فى الذكاء وبعد النظر كان السبب الرئيسى فى نكبات الحلفاء عام ١٩٤٠ وعامل الزمن ذو اهمية حاسمة بالارتباط مع النسبة قوة : أرض ٠

والميزة الثالثة هى انه كلما اتسعت الجبهة نسبيا بالنسبة للقطعات كلما كان لدى المهاجم مجال ليناور وكلما كانت فرصته كبيرة فى ايجاد الثغرات فى شبكة النار المعادية التى يستطيع اختراقها ٠ وبالرغم من أن الالمان اوقفوا فى غالب الاحيان هجمات روسية ، على الجبهة الشرقية فى قطاعات حشد الروس فيها قوات تتفوق بنسبة سبعة الى واحد ، الا أن

الروس نجحوا غالبا فى العثـــور على ممرات للاختراق فى أى مكان من الجبهة عندما كان تفوقهم العام يرتفع الى ثلاثة ضد واحد (١) ٠

وليس من المعقول أن نعتقد أن قوات حلف الاطلسى فى مكنتها أن تحافظ على جبهتها الخاصة بنسبة مماثلة للنسبة التى نجح الالمان بها نظرا الخليط قوميات O.T.A.N. ولاختلاف أساليب تدريبها ولموانع خرى ٠

اذ ينبغى أن يكون « الدرع » مؤلفا من فرق حركية جدا مستعدة دوما لعمل فورى ومدربة تدريبا عاليا اذا أردنا الحصول على فرصة حقيقية فى صد أى هجوم مفاجىء ذى ايقاع سريع ٠ ومن الجنـــون أن نتخيل امكانية ذلك بقوات مدة خدمتها العسكرية قصيرة جدا ، حتى ولو ضوعف عددها أو ثلث ٠ ولا يمكن اشباع هذه الحاجة الا اذا كان الدرع مؤلفا من وحدات محترفة او من مجندين لخدمة طويلة ٠ وســـــنتان من الخدمة العسكرية هما حد ادنى لهذه الغاية ومن الافضل بل الأوفر أن تكون كل الفرق الدفاعية مؤلفة من جنود نظاميين يؤدون خدمة « طويلة الأجل » ٠

وتتضمن القوات السوفيتية فى المانيـــا الشرقية عشرين فرقة متحركة ٠ وهكذا نجد أن قوة للحلف تعادل ثلاث عشرة فرقة تقريبا من النظاميين مستعدة للعمل قادرة على صد هجوم سوفييتى مفاجىء ، دون الاستعانة بالاسلحة الذرية ودون أن تتنازل عن الارض ٠ وستكون هذه القوة قادرة على ايقاف أى هجوم من هذا النوع أكثر من درع الحلف الحالى المؤلف من واحد وعشرين فرقة التى تقلقها النسبة العالية للمجندين ذوى المدة القصيرة فى الخدمة ٠

ويعتبر خبراء المكتب الثانى انه من الممكن أن تبلغ القوات السوفيتية الأربعين فرقة فى مهلة عشرة أيام تقريبـــا بالرغم من أن مثل هذا التعزيز للقـــوات لا يمــكن أن يحدث دون أن يفتضـــح أمره ، ويـنـــذر قـــوات O.T.A.N. ويتيح لهـــا الوقت اللازم لاتخـــاذ التدابير المضـــادة ،

---

(١) هذا المبدأ فتش عن الثغرة chercher le trou يعلم حتى الى أصغر مستويات التشكيلات العسكرية ، الى مستوى الحضيرة ضمنا ، وهو تعليم من تعاليم الحرب العالمية الثانية وبخاصة فى المناطق الجبلية . ففى خط كاسينو فى ايطاليا ، بعد قتال عنيف تمكنت حضيرة واحدة من ايجاد ممر للاختراق فاستثمرته بقية القوات بسرعة تعادل ايقاع الهجوم وتتفوق على ردود فعل الدفاع ٠

(المعرب)

ولكن اذا كان من الممكن مضاعفة القوة السوفيتية بهذا الشكل والى هذا العدد يكفى عندئذ قوة للحلف تعـــادل ٢٦ فرقة أو عشرين فرقة من النظاميين وقوة من المليشيا الالمانية تعادل عشر فرق منظمة ومدربة لدفاع ثابت أو حركى محليا ·

ويشكل مثل هذا التركيب درعا افضل بكثير من الثلاثين فرقة من النموذج الحـــالى الـــذى يعمـــل فى حلف .O.T.A.N بمجندين ذوى مدة الخدمة القصيرة مختلطين مع النظـــاميين ، والتى تجتهد خطة الحلف لانشائهم · فمثل هذه القوة ستكون مســـتعدة اكثر للعمل فورا واكثر فاعلية فى خصائصها واقتصادية اكثر ·

فلو اوقف الهجوم المفاجىء بسرعة فمن قبيل الاحتمال الضـعيف أن يستمر الهجوم لان فرص نجاحه بتحقيق الامر الواقع تكون قد تبددت بينما تزيد المحافظة عليه ساعة اثر ساعة من خطر حرب ذرية تلغى هدف المهاجم · فضلا عن ذلك فان القوة القصوى التى يســـــتطيع الجيش السوفييتى أن يعتمد عليها فى هذه الجبهة لاتتجاوز الســتين فرقة خلال شهر من ابتداء الهجوم وذلك بناء على تقديرات رسمية · فمن الواجب أن تكفى قوة للحلف مؤلفة من أربعين فرقة للدفاع ولتشغيل هذا العدد من القوات الروسية « دون استخدام الاسلحة الذرية » ومن الممكن الحصول على مثل هذه القوة فى اقل من شهر فى التعبئة العامة حتى مع اتفاقات الحلف الحالية ·

وهناك تأمين جيد ضد أضعف الاحتمالات وقوعا وهو احتمال غزو جماعى اذا كان تدريب قوات .O.T.A.N وتنظيمها متناســبا مع تدريب قوات الخصم وتنظيمها · والمطلب الاساسى هو فى تحســين النوعية أكثر منه فى زيادة العدد ·

ويمكن الرد على أن الدرع الدفاعى مع نسبة اثنين (للدفاع) الى ثلاثة (هجوم) فضلا عن انها نسبة تشكل ضمانة جيدة قبـــالة القوات الروسية على الجبهة الوسطى فهى نسبة لا تلائم الارض نظرا لعرض هذه الجبهة · وهكذا نجد أن فحصا اكثر عمقا لهذا الجانب من المشـــكلة قد يساعد على ايضاح النتيجة والاستنتاج ففى مثل هذا التحليـــل نجد أن هناك مسألتين تشـــكلان مفتاح كل المعضلة وهمـــا : ما هو الحد الادنى التعبوى من القطعات الضرورية لحماية أرض معينة والاشراف عليها ؟ وما هو الحد الادنى السوقى ؟·

وتخرج المسألة الاولى عند حساب سعة الارض التى تستطيع قطعات

مسلحة بأسلحة حديثة (عدا الاسلحة الذرية) حمايتها بشبكة نارية منضمة الحلقات وفى هذا الفحص نجد أن هناك بديهية تفرض نفسها وهى ان نسبة القطعات الى الجبهة العادية فى الحروب الاخيرة وفى العقيدة العسكرية التقليدية لا توافق نسبة تطور الاسلحة طيلة المائة عام الأخيرة وقدرتها على حماية أرض معينة بطوفان من النار المستمرة ٠

فمنذ قرن تقريبا وفى المراحل الاخيرة من الحرب الاهلية الامريكية هزم جيش الجنرال لى جيش جرانت GRANT ـ وهو جيش يتفوق عدديا وجعله ينهزم طيلة أشهر ٠

ومنذ أكثر من نصف قرن نجح البوير فى عدة مناسبات فى صد الهجمات التى قامت بها القوات الانجليزية المتفوقة عليهم عدديا بقوة ستمائة الى ٨٠٠ رجل فقط فى الميل ٠ ثم تطورت الاسلحة بشكل هائل فى مداها وقوتها بشكل اضحى فيه من الصعب أن نرى سببا من اجله لم يخضع الحد الادنى التعبوى الذى يحترم ويعتبر ضروريا فى التطبيق العملى الى ضبط متناسب ٠

فهل هناك سبب غير العادة التى تثيرها الحكمة ؟ والحدس بأن هذا التفسير الحقيقى تثبته دراسة العمليات التى جرت فى الحربين العالميتين ، لانه من البديهى أن الهجمات قد أوقفت فى غالب الاحيان من قبل مفارز صغيرة يتفوق عليها الهجوم كثيرا بقوته فى حين نجحت الهجمات فى كثير من الحالات حيث كان المدافعون أكثر عددا نسبيا بالنسبة لعرض الجبهة٠ ويوحى هذا التناقص بأن انشاء الدفاع فى المستوى الذى تكرسه العادة والحكمة يساعد غالبا المهاجم بأن يقدم اليه دريئة أهم بكثير ومن السهل عليه كثيرا تدميرها برمايات مركزه ٠

ويمكن البرهنة مع بداهة كبيرة أن الفرق الالمانية المنهكة كانت تدافع فى الحرب الاخيرة بنجاح غالب الاحيان عن جبهات من عشرين الى ست وعشرين ميلا (أى من ٣٠ الى ٤٠ كيلو متر) وهناك أيضا عدد من الامثلة الجديرة بالذكر لمثل هذه الخصائص من جانب الحلفاء ٠ وهكذا فمن المنطقى أن نعتبر جبهة ٢٦ ميل (٤٠ كيلو متر) أقل من القدرة الدفاعية لفرقة متحركة بصورة كاملة ولها قوة حديثة ، وقد بدأت قيادات الاركان العليا العسكرية بقبول ذلك ٠ واذا حسبنا القطعات القابلة للاستخدام فى دعم مثل هذه الفرقة لوجدنا انها تمثل نسبة ألف رجل فى الميل (أى ٦٠٠ جندى فى الكيلو متر) ٠

وليست هذه النسبة بأقل من النسبة التى بدت ملائمة للدفاع

الفعال فى المراحل الاخيرة من الحرب الاهلية الامريكية ولا أعلى من النسبة التى حافظ فيها انبوير على دفاعهم منذ ستين عاما • فمن الممكن اذن تخفيضها اكثر بعد تحليل علمى اكثر لتجربة الحرب الاخيرة ولامكانيات الاسلحة ومثل هذه الاعادة للتحليل أمر مرغوب فيه لان تخفيض الحد الادنى التعبوى المعتبر ضروريا لتحقيق ستار فعال من النيران « للاشراف على مساحة معينة » يعود بالنسبة لمشكلة اقامة حد ادنى سوقى – خاصة بالقوات الاحتياطية المتحركة الى اعتبار الدفاع الامامى لجبهة O.T.A.N. ككل •

ولكن فى الوقت الحاضر ، من المضمون أن نتخذ ٢٦ ميلا (٤٠ كيلو مترا) – مقياسا لجبهة فرقة متحركة كحد أدنى تعبوى وانطلاقا من هذه القاعدة تكفى عشر فرق مماثلة لتغطية الجبهة بين البلطيق وجبال البوهيم المهددة من قبل القوات الروسية المتمركزة فى المانيا الشرقية وينبغى أن يكون هناك قوات احتياطية متحركة ملائمة زيادة على هذا العدد لموازنة خاصية المهاجم وهى ميزة ذاتية فى حشد جهوده على محور خاص •

ونتوصل هنا الى مشكلة الحد الأدنى السوقى • وتميل الآراء حول هذا الموضوع أيضا الى أن تعكس طريقة التفكير النامية أثناء الحرب العالمية الأولى بموجب وصية عقائدية فقد تركت جبهة الخنادق المتواصلة (التى أقيمت فى عام ١٩١٤ على الجبهة الغربية ودامت طيلة الحرب) انطباعا قادرا على البقاء وقد زادت حدة هذا الانطباع بسبب ضعف حركية القطعات فى ذلك العهد وكان هناك اتجاه منذ ذلك الوقت الى الادعاء بأنه ينبغى أن تحتل الحدود بكاملها بالحد الأدنى التعبوى من القطعات الضرورى لدفاع فعال عن كل قطاع ، فيما يتعلق بقطعات الامام والاحتياط المحلى الداعم فى الوقت نفسه• وهكذا نجد أن ضرورةالحد الأدنى السوقى قد تطورت فأصبح هذا الحد الادنى السوقى غير مختلف أساسا عن الحد الأدنى التعبوى وهى وجهة نظر تقودنا الى تمثل الحالة القصوى البعيدة كل البعد عن كل احتمال عندما يحدث هجوم قوى على القطاعات فى الوقت نفسه ، وحيث تلزم قطعات كافية للدفاع عن كل مكان •

وقد ظهر هذا الرأى فى الاقتراحات والحجج التى تطالب بأن يكون للحلف قوة أكبر من ستين فرقة اذا أردنا عدم استخدام الأسلحة الذرية على جبهته المركزية وحتى ضد قوات روسية أقل قوة •

ومثل هذا الرأى مناقض لأحداث الحرب ودروسها • فقد كانت

القوات المشتبكة فى كل الحروب السابقة لهذا القرن ، أضعف بكثير مما كانت عليه فى الحربين الأخيرتين بالرغم من انها كانت أكثر كثافة فى ساحة المعركة • ففى حروب القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر كانت قوة عشرين ألف جندى فى الميل الواحد فى ساحة المعركة نسبة عادية ولكن البلاد كان مدافعا عنها بنسبة ٢٥٠ جنديا فى الميل أو أقل وفى الجبهة مأخوذة بمجموعها كانت النسبة السوقية للقوات تساوى تقريبا واحد الى مائة من النسبة التعبوية (تعالج المذكرة فى نهاية هذا الفصل فى كثير من التفاصيل هذه الحقيقة التاريخية •) •

وتتأتى القدرة على تغطية جبهة واسعة بقوات ضعيفة نسبيا مع تجهيز قوة تعبوية فعالة ضد الاتجاه السوقى لتقدم العدو وحشده ، تتأتى هذه القدرة من قابلية التقدير الصحيح لطرق التقدم والاهداف المحتملة للخصم بصورة نستطيع معها جلب قوات ملائمة لتسد عليه طريق تقدمه •

ومن الصعب أن نرى سببا معقولا تعتبر من أجله اليوم استحالة انشاء مثل هذا التقدير ، فوسائط الاعلام والاتصال الداخلى ووسائل النقل تتفوق على مثيلاتها فى الماضى وتعمل لصالح الدفاع بزيادة فرص ابطال الميزة الأولية للمهاجم فى مجال المفاجأة •

وينبغى ألا يكون من الصعب على الجبهة المركزية لحلف O.T.A.N. تقدير الأهداف وطرق التقدم المحتملة للمهاجم فبالرغم من أن عرض الجبهة هو ٤٤٠ ميلا (٧٠٠ كيلو متر) لا يوجد الا القسيمة الشمالية منها وعرضها ٢٥٠ ميلا (٤٠٠ كيلو متر) صالحة لهجوم مفاجىء ولتقدم سريع للفرق الميكانيكية السوفيتية فى ألمانيا الشرقية •

وحتى فى هذه القسيمة الشمالية نجد أن الطرق التى يمكن استخدامها محدودة العدد ومن الممكن أن يظهر بوضوح اتجاه الجهد المعادى منذ أن يبدأ فى اجتياز الانهار التى تحاذيه • وهكذا نجد أنه من الممكن ايقافه فى المنطقة الأمامية بهجمات معاكسة ملائمة وبنسبة فى القوات تعادل (٢) الى (٣) اذا كانت قوة التغطية التابعة للحلف مؤلفة من فرق متحركة بصورة كاملة ومدربة تدريبا عاليا واذا كانت منظمة بمرونة سوقية أكبر •

ويميل تحليل تجارب الحرب الأخيرة الى اظهار الحقيقة التى تقول : ان نسبة القوات الاحتياطية المتحركة كلما كانت كبيرة بالنسبة للقطاعات التى تحافظ على الوضع الامامى كان احتمال تحقيق اندفاع مركز

عميقا جدا • ولم تتجاوز فى الماضى عمليا فى غالب الاحيان فرق الاحتياط المتحرك التى لم تكن مرتبطة بقطاع خاص ربع القوة الشاملة ، ويقترح تحليل العمليات أن نصف القوة الشاملة يشكل نسبة أفضل حتى عندما تمزق هذه النسبة كثافة الدفاع المتقدم الى درجة خطيرة •

تلك هى القاعدة التى طبقتها فى حساباتى ومنها استنتجت رقم الـ ٢٦ فرقة متحركة كمطلب للحلف لدرع قادر على املاء شروط القوة والارض بنفس الوقت ويسمح هذا الرقم بدفاع بنسبة (٢) الى (٣) (١) ضد امكانية تعزيز العشرين فرقة السوفييتية الموجودة فى ألمانيا الشرقية بعشرين أخرى وجعلها أربعين فرقة فى أقل من عشرة أيام • ويتيح هذا الرقم أيضا لحلف الاطلسى الحد الأدنى التعبوى المطلوب وهو عشر فرق للدفاع المتقدم ومن ٣ الى واحد ستار متحرك على طول الحافة الجبلية لتشيكوسلوفاكيا فى حين تشكل١٣ فرقة احتياطا متحركا للجبهة بمجملها وسيكون هذا التوزيع مضمونا ضمانة جيدة ضد هجوم مفاجىء فى أى اتجاه •

ومن الممكن تخفيض الرقم المطلوب من الفرق فى حال وجود مليشيا ، من النموذج السويسرى ، قادرة على تحقيق شبكة عميقة من مخافر الدفاع فى منطقة الامام وستكون وسيلة مساعدة لايقاف التقدم المعادى فى حين تندفع فرق الاحتياط المتحرك لتتلاقى فى القطاع المهدد •

وينبغى أن تنظم هذه المليشيا بشكل يسهل فيه احتلال المخافر بسرعة لدى أول انذار من قبل رجال يعيشون أو يعملون على مقربة منها • ومن المرغوب فيه أيضا أن يكون لدينا مثل هذه المليشيا جاهزة فى مناطق المؤخرة لتهزم القطعات المنقولة جوا التى يحتمل قذفها للاستيلاء على نقاط رئيسية وايقاف الهجمات المعاكسة لفرق الحلف المتحركة •

ولو أمكن وجود هذه المليشيا الجاهزة للدفاع المحلى لأمكن تخفيض ـ مطالب الحلف من ٢٦ الى ٢٠ فرقة أى نسبة واحد الى ٢ ضد الحد الأقصى الممكن للخصم فى هجوم مفاجىء على الجبهة المركزية الأوربية •

والقسيمة الواقعة فى أقصى الشمال على ٢٥٠ ميلا ، تذهب من البلطيق الى وادى السال فى فرانكونى ضمنا •

---

(١) أى نسبة الدفاع الغربى الى الهجوم السوفيتى هى ٢/٣ (المعرب) •

وهـــكذا فالدفاع المتقدم بالمقياس المقترح (عشر فرق) لا يغطى فقط سهل ألمانيـا الشمالية ولـكن يحيط بالانتفاخ الغربى لتورينج (١) ويحمى الطرق الذاهبة الى فرانكفورت عبر غابة التورينج ٠

وتتركز خلف النقطة النهائية لهذه الجبهة الرئيسية كتلة الجيش الامريكى ٠ ومن الطبيعى أن نمد مثل هــذا الترتيب بقوات احتياطية متحركة جاهــزة للتصــدى لأى هـجوم ، ســواء باتجـاه وادى الماين وفرانكفورت ، أو باتجاه البافيير وهكذا تتحقق ضمــانة جيــدة ضد تقريب التفافى للروس عبر الحدود التورنيكية ـ البافارية ٠ فضلا عن ذلك فان مثل هــذه الحركة الخفيفة ـ نحو الجنوب أولا ثم نحو الغرب تسبب ضياعا فى الوقت ، وتقلل فرص روسيا فى دعم الايقاع الضرورى لنجاح مثل هذه الضربة المفاجئة ، وهناك سيئة أخرى من وجهـة النظر الروسية وهى أن البافيير (٢) لا تتيح أهدافا يمـكن مقارنتها من ناحيـة أهميتها وسهولة الوصول اليهــا مع الأهداف الواقعة بين فرانكفورت والبلطيق ٠

---

(١) Thuringe

(٢) البافيير هى جزء من ألمانيا يقع بين جبال البوهيم والالب والفرانكونى والسوآب ـ وحاليا تقع على الشاطىء الايسر للرين ـ عاصمتها ميونيخ٠

(المعرب)

مذكرات

أمثلة مستقاة من حروب القرن الثامن عشر والتاسع عشر (العصر الذى كانت الأسلحة فيه ذات مدى قصير وحيث تستند القدرة على الدفاع أساسيا الى الحركة) .

حرب الوراثة الاسبانية : ـ

عندما كان الفرنسيون فى الدفاع ، من عام ١٧٠٩ ـ ١٣ ، كانت لديهم قوة يرتفع عددها وسطيا الى ١٠٠ر٠٠٠ جندى تقريبا لتغطية حدودهم المؤلفة من ٤٠٠ ميل (أى ٢٥٠ جنديا فى الميل سوقيا) .

حرب السنوات السبع :

غطى فريدريك الكبير حدوده الجنوبية الطويلة المؤلفة من ٤٠٠ ميل فى المراحل الاولى (١٧٥٦ ـ ٥٧) بمائة ألف (١٠٠ر٠٠٠) جندى تقريبا (أى ٢٥٠ جنديا فى الميل سوقيا) ضد قوات معادية تعادل ضعف قواته .

وفيما بعد ، جعل التحالف المعادى مجموع قواته فى المعركة ما يقارب ٤٠٠ر٠٠٠ جندى فى حين كان هذا المجموع يتجاوز نادرا ١٥٠ر٠٠٠ (وتناقص بسبب الخسائر التى تعرض لها فى كل عام من المعارك وكانت هناك جبهة يبلغ طولها ١٥٠٠ ميل تقريبا ومن الواجب تغطيتها بهذه القوة (أى ١٠٠ جندى فى الميل الواحد سوقيا) وقد نجح فريدريك فى الدفاع الى أن انحل هذا التحالف فى عام ١٧٦٣ ، على حين أنه تعرض لانهزامات عدة وجدية عوض عنها بصد ظافر .

الحروب النابليونية :

عندما تحول نابليون الى الدفاع ، فى عام ١٨١٤ بعد انكساره فى ليبزيغ ، لم يكن لديه الا ٧٥ر٠٠٠ جندى لتغطية جبهة مؤلفة من ٤٠٠

ميل فى الشمال والشـــمال الشرقى (أى ١٨٠ جنديا فى الميل الواحد سوقيا) وقد بلغ تعداد الجيوش الحليفة التى اجتازت الراين لغزو فرنسا ٣٧٠٠٠٠ر جندى أى ما يعادل خمسة أمثال قوته وقد نجح فى افشالها مدة ثلاثة أشهر ٠

وقد عرضهم أثناء هذه الفترة الى تسعة انكســارات جدية قبل أن ينقلب المصير ضده ٠ وقد التقطت رسالة كشفت عن خطته فى الالتفاف على خطوط مواصلاتهم شجعتهم على سلوك الطريق المفتوح مؤقتا باتجاه باريس حيث يسبب وصولهم انهيار النظام ٠

الحرب الأهلية الأمريكية :

لقد غطى الاتحاديون من ١٨٦١ الى ١٨٦٤ جبهة مؤلفة من ٨٠٠ ميل بين الاطلنطى والمسيسبى بقوة يبلغ متوسطها ٢٠٠ر٠٠٠ جنــدى تقريبا (أى ٢٥٠ جنديا فى الميل سوقيا) وجمدوا خصـــمهم الذى تفوق قوته قوتهم بما يعادل الضعف وتركوه فى ضيق شديد ٠

ان امكانية الدفاع الفعال على جبهة واسعة بنســـبة سوقية تبلغ ٢٥٠ جنديا فقط فى الميل ، على الأقل ، تبدو أكثر تعبيرا اذا عرفنـا أن النسبة التعبوية للدفاع الفعـــال ، فى أرض عراء ، كان ينبغى أن تبلغ ٢٠ر٠٠٠ جندى فى الميل (مع حساب القوات الاحتياطية المحلية ضمنا) عندما كانت القوات مسلحة بالأسلحة ذات المدى القصير (بنادق صغيرة، ســبطانات ذات انبوب أملس) للحروب النابليونية والحروب الســابقة و ١٢ر٠٠٠ جندى فى الميل تقريبا للأســلحة المحســـنة التى ظهرت فى منتصف القرن التاسع عشر ٠

والفرق الهائل بين النسبة التعبوية (فى مساحة المعركة) والنسبة السوقية (مجموع الجبهة) يبرهن على أن العامل الاساسى فى الدفاع عن جبهة واسعة هو عامل الزمن ٠ ولا يتوجه هذا فقط الى الحركية النسبية للمهاجم والمدافع ولكن الى التقدير الصحيح للمدافع عن اتجاه تقدم المهاجم والى درجة ايقاف حركية المهاجم أيضا ، بالحواجز الطبيعية والتحصينات وبالهجمات المعاكسة ٠

الجزء الرابع

التعبئة - التكتيك

- ١ -

التكتيكات الجديدة والتنظيم التعبوى

لكى نحقق دفاعا فعـــالا ينبغى ألا تملك جيــوش حلف الاطلنطى وتنظيماته شكلا مشتركا موحدا فقط ولــكنها ينبغى أن يكون لها شكل جديد وحديث • ان التنظيم والتكتيكات تخضع أيضا بشـــكل وثيق الى الطرق المرسومة فى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ • وقد أثار انتصار الحلفاء فى السنة الاخـــيرة من الحرب رضا خداعا بالطرق والأساليب التى كانت تستخدم • وفى الوقت الحــاضر لم يطرأ عليهــا الا تعديل طفيف ، ولم تخضع لامتحان جــديد ، وهنــا يكمن الخطر لان هذه الطرق والاساليب قد وضعت فى ظروف كان الحلفاء يملكون فيها التفوق الجوى شبه الكامل ، بينما عليهم أن يواجهوا فى الوقت الحاضر تفوقا بريا كبيرا للعــدو وتفوقا معاديا فى الاجواء • وطرقهم الحالية لا تأخذ بعين الاعتبار الا قليلا صعوبات المناورة تحت التهديد الثابت والمستمر لقوة جوية معادية متفوقة •

وليس من المنطق أن نأمل فى أن تتحرك القطعــات بوحدات كاملة التشكيل أو أن تنتقل عبر طرق المواصلات بنفس الشكل الذى كان عليه النقل فى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ • وهذا قد يصبح مميتا مع تطور الأسلحة الذرية •

ان غيوم الحرب المعلقة فوق أوربا يتخللها شعاع من الأمل • فتحليل التجربة الألمانية فى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ مشجعة أكثر مما يبدو لأعضــاء منظمة حلف شمال الاطلنطى اذا ما حللنا الاحداث تحليلا سطحيا ولكنهــا تبدو أكثر تشجيعا عندما يتبدى لنا أن التفوق البرى والجوى ضد المانيا أيام الحرب كان أوسع مدى من التفوق الذى يواجهه الحلفاء اليوم •

وقد أعطت الحرب العــالمية الثانية الانطباع التالى ، وهو خــلافا للتجربة فى الحرب الكونية الأولى ، اكتسب الهجوم الســيادة والأولوية على الدفاع فى الحرب الأرضية • ولقد كان مثل هذا الانطباع وهما مصدره سطح الحوادث •

ففى عام ١٩٤٠ هوجم الغرب وتغير مجرى التاريخ بسبب القوى المدرعة الألمانية التى طبقت فنونا جديدة هى فنون الحرب الخاطفة التى تشتمل على مناورات حشد سريعة مستثمرة باختراق عميق استراتيجى • وقد اعترف جودريان قائد ومؤسس هذه « القوى المدرعة» فى مذكراته أنه استوحى تنظيم هذه القوى وفنونها من نظرياتى ومؤلفاتى فى عام ١٩٢٠ • ولكنى فى عام ١٩٣٠ رأيت كيف قوبل هذا • الفن الهجومى الثورى بفن دفاعى • ومن المؤسف أنه كان من المستحيل اقناع هيئات أركان الجيوش الفرنسية والبريطانية بالاعتراف بقدرة هذا الفن الجديد الهجومى أو بتنمية الفن المعاكس • وبما أن هجوما من النموذج الجديد قد اصطدم فى عام ١٩٤٠ بدفاع من النموذج القديم ، فمن الطبيعى أن يحظى بأحسن فرص النجاح ، ومما أعطى هذه النتيجة الضمان الأكيد لنجاحها تلك السيادة الجوية الهائلة للألمان وبخاصة فى مجال طيران الدعم للقوات الارضية • وعندما بدأ خصوم الألمان بوضع التكتيكات الدفاعية الملائمة وخلقوا دعما جويا أكثر مطابقة للوضع عن ذى قبل بدأت الأعمال الهجومية من نوع الحرب الخاطفة تلاقى فشلا اثر فشل •

ان اضمحلال القوة الالمانية أثناء متابعة الهجوم قد تطابق واتفق مع انتاج يتزايد بلا انقطاع تقوم به مصانع الأسلحة المعادية ويعتمد هذا الانتاج على موارد مادية تتجاوز بكثير موارد الالمان وحلفائهم • ولقد كان هذا التفوق المادى من الأهمية بحيث تمكن من تأمين انكسار المانيا وحلفائها ابتداء من الوقت الذى أوقفت فيه الهجمات الاولية •

وبعد أن انحسر مد الحرب تجدد الانطباع الكاذب الأولى الذى يقول بتفوق الدفاع على الهجوم بصورة أساسية نظرا للمظهر المصطنع الذى اتسمت به معارك الحلفاء حينما تقدمت جيوشهم تقدما متواصلا نحو النصر ولم يتوقف هذا التقدم الا خلال حالات عارضة وطارئة •

ولكننا لو حللنا العمليات بعمق لوجدنا من الطبيعى ان هجمات الحلفاء لم تكن لتنجح الا بتفوق برى يعادل خمسة الى واحد مع تفوق جوى شامل ، وفى نسبة أقل من هذه النسبة كان نجاحها نادرا • وفى الجبهة الشرقية كان للروس تفوق برى أعلى أيضا ، فى هجماتهم مع قوة

جوية أقل ٠ وهنا أيضا ، غالبا ما استطاع الخصم أن يحتوى هذه الهجمات الا عندما كانت تستخدم منطقة واسعة للالتفاف على مواقع الدفاع ٠

وفى معارك النورماندى عام ١٩٤٤ احتلت المناورة مكانا أرحب من مكانها على الجبهة الشرقية وكان تطور المعركة أكثر تعبيرا ودلالة ٠ وقد برهن هذا التطور على أن الدفاع الحاذق قادر على احتواء مهاجم متفوق جدا على المدافع ٠

وان المثال الذى يثير أكثر ما يمكن من الدهشة هو عملية « المعطف الأزرق » فى الجبهة البريطانية حيث قام البريطانيون بعملية خرق جنوب كومونت فى الثلاثين من تموز (يوليه) ٠ وهنا كانت الضربة مهيأة بشكل جيد وكذلك نظم انحرافها نحو الغرب ابتداء من قطاع (كان) بشكل نجحت فيه بحشد فيلقين قويين بصورة خاصة ضد قطاع عرضه عشرة أميال ٠

وكان تفوق المهاجم فى وحدات القتال قد بلغت عشرة ضد واحد وفى عدد الوحدات تجاوزت النسبة هذا الرقم ٠ واذا أضفنا الى هذه النسبة السيادة الجوية كانت النسبة الحقيقية للتفوق هى على الأقل عشرين ضد واحد وقد تبلغ أيضا نسبة ثلاثين الى واحد (١) ٠

وأكثر من هذا حشد لهذه المناسبة أكثر من ألف دبابة فى قطاع لاتوجد فيه أية دبابة ألمانية فى المرحلة الاولى من المعركة ٠ ومع ذلك لم تستطع هذه الضربة الضخمة أن تخترق الدفاع الضعيف الا فى الجزء الغربى من القطاع وكذلك أوقف كل الهجوم فى اليوم الثالث عندما استطاعت نجدات ضعيفة من الدبابات ان تصل الى الألمان ، وتواصلت الانكسارات فى الأيام التالية ٠ ان مثل هذه النتيجة لهجوم معد ومهيأ جيدا يميل الى الايضاح بأن للدفاع ذاتيا تفوقا أكبر بكثير من الهجوم وهى نتيجة لم تقبل أبدا ٠

ميزان القوى :

اذا كانت الجبهة التى تهاجم تحتاج الى ضمان تفوق من (١١) الى (عشرة) ببساطة لتسحق الجهة التى تدافع عن نفسها ، فان هذا الطلب يشهد فى الحقيقة على أن الدفاع ــ ماديا ــ متفوق على الهجوم ٠

---

(١) من المدهش ان الكابتن ليدل هارت لا يدخل « نوعية المقاتل » من جملة العوامل المتغيرة المؤثرة على المعركة وكذلك لا يدخل قيمة الوحدات وكفاءتها وتدريبها للقتال ٠

ولكن هذا الدليل البسيط قد تشوش بأمثلة كثيرة منها أن مهاجما لا يتفوق فى قواته قام بما يلى : آ) هاجم مدافعا أضـعف منه معنويا أو : ب) كان لديه مجال للمناورة واتسم بالحذق والدهاء فى استخدامه . والفكر العسكرى ، عندما يبحث موضوع الهجوم والدفاع لم يتعلم حتى الآن أن يفرق بوضوح بين المناورة الهجومية والهجوم الجبهى .

ومع ذلك فان هيئة الأركان العامة البريطانية قد برهنت عن تقدم واقعى هائل عندما نشرت ، بعد أربع سنوات من تجربة الحرب ، كتابا جديدا يستخدم فى التدريب ذكرت فيـه أنه لكى ينجح الهجوم لا بد من توافر تفوق بنسبة ثلاثة الى واحد وهذا الحساب يوافق النسـبة التى استنتجت من تجربة الحرب العالمية الاولى وأودعت فى التاريخ الانجليزى الرسمى وكذلك أيضا توافق النسبة التى استخدمتها هيئـة الأركان العامة الالمانية كدليل للعمل فيما بين الحربين . ويبقى الموضوع هو معرفة ما اذا كانت نسبة الثلاثة الى واحد تمثل بشكل كامل التفوق الاسـاسى للدفاع على الهجوم على ضوء تجربة الحرب العالمية الثانية .

وانقضى خمسة عشر عاما منذ نهاية الحرب ولكن معنى التفوق فى نورماندى اذا ماقيس بالنتائج التى حصل عليها ، لم يفسر أبدا فى أى تقرير رسمى وفى التاريخ أو فى مؤلفات التدريب .

لقـد حدث كثير من التمجيـد للمعركة وقليل جدا من التحليل الموضوعى . والتقارير المفصلة للمعركة المطبوعة عنها قد « أخفت الغابة مع أشجارها » حتى الآن .

وعلى ضوء هـذه المعطيات الأساسية المعروفة سابقا فمن الطبيعى أن قدرة مقاومة دفاع محدد وفعال قد انتقص من قيمتهـا مع أن للدفاع قيمة أكبر بكثير مما اعترفت به دراسات الاركان أو العقائد العسكرية .

وهناك كثير مما نربحه من دراسة عميقة لميكانيكية الدفاع فى معارك ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ومن الفن الذى طبقه الألمان .

فن الدفاع :

ان الفنون الدفاعية الالمانية فى منطقة النورماندى وما بعدها كانت مزيجا من الدفاع الثابت والدفاع المتحرك (الديناميكى) من قبل مجموعات متناثرة تقوم باندفاعات شرسة « كأصابع الكف » .

وقد استطاعت هـذه الاندفاعات أن تكبح جماح الارتال الحليفة وأجبرتها تدريجيا على الوقوف ، ولم يكن وقوفهـا بشـكل عام على خط أرضي منتقى . ويمكنني ان اقول هنا ان القتال على خط منتقى سابقا ـ كنهر او حاجز واعتبار المعركة معركة اساسية عليه قد أضحى مفهوما عتيقا .

وخلافا لأثر الاندفاعات على شكل « أصابع الكف » فقـد فشلت محاولات الهجمات المعاكسـة الالمانية المتركزة فى مناسـبات عدة وتحت ضغط المدفعية والطيران فى غالب الأحيان .

أما فى الجبهة الروسية فان القدرة الدفاعية بقوى صغيرة متحركة، موزعة على مجموعات تناور وتقاد بمهارة قد برهنت عن أهميتها وقيمتها. فهناك فرق مدرعة منها ما هو ناقص التعداد قد نجحت فى بعض الأحيان فى تغطية جبهـات طولها عشرون ميلا ضد هجمات عنيفة خـلال عدة أسابيع : دون ان تفقد الا قليلا من الأراضى ، وهنا ينبع استنتاج جديد هو ان الدفاع الالمانى كان اكثر فاعلية عندما استطاع ان يخرق ايقـاع الروس ويحطمه وكان أقل فاعلية عندما كان الروس قادرين على القيـام بهجوم حازم مدبر وبخاصة عندما يكون الهجوم على نهر .

والخلاصة فان تحليل تجارب الحرب الأخيرة مشجعة لمسـتقبل الدفاع الأمر الذى لم تظهره الاحداث على سطحها . وقد أظهر التحليل أن قوى قليلة التعداد قادرة على المقاومة بشكل متصل اذا فهمت وطبقت تكتيكات الدفاع المتحرك حيث يتمزج العمل التأخيرى ويشترك مع الرد الهجـومى وعندما يكون التنظيم التعبـوى ملائمـا ومطابقا لمثل هـذه التكتيكات .

سيلان القوى .

(قدرة القوات على الانتشار والحركة)

مهما كانت الارقام القياسية التى حققتها القوى المدرعة الألمانية فى عام ١٩٤٠ ومهما كانت نتائجها مرعبة ومريعة فانه لم يكن من الممكن الحصول عليها لولا عدم أهلية وكفاية الحلفاء ولولا ضعفهم الجـوى . وبشـكل خاص كان العمل المركز للفرق المدرعة خاطئا فى توقيته عندما طبق بنجاح وهو اليوم لايتفق مع الزمن وينبغى ان نلغى عقولنا كى نحلم أن فرقا مدرعة تقوم بعمل جماعى وتوجه ضربات فعالة تحت سماء يسيطر عليها الخصم أو قبالة خصم مسلح بالأسلحة الذرية .

وينبغى أن نحفظ هنا مبدأ « سيلان القوى » خلافا لتفسير مبـــدأ الحشد العتيق والواضح وأن نضع موضع التنفيذ فن « الانتشار المراقب ». ولقد احتوى التطبيق الألمـــانى خلال الاعوام الأخيرة فى الحرب نواة هـــذه الفكرة . وفى الواقع ان هـــذه الفكرة خلقت وأبدعت فى انجلترا قبل الحرب وطبقت من قبل لواء الدبابات التجريبى تحت قيـــادة هوبار فى تمارين عام ١٩٣٤ .

وفى الجبهة الروســـية عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ قاوم الالمان فى غالب الاحيان مقاومة مدهشة ضد عدو أقوى بكثير ، قاوم الألمان بفرق مدرعة جزءوها ببساطة الى مجموعات قتال صـــغيرة على جبهة واســـعة بمعدل عشرين ميلا للفرقة . وكانت هذه المجموعات تتألف غالبا من فوج دبابات (كتيبة) ومن كتيبة مشاة آلية ووحدة مدفعية مماثلة من المدافع المقطورة ذاتيا ـ وكانت هذه الوحدات دوما ناقصة التعداد .

وفى الجبهة الغربية أيضا حصل الألمان على امكانيات تأخيرية ودفاعية هائلة بواسطة مجموعات مماثلة كانت فى كثير من الاحيان أيضا أضعف من مثيلاتها فى الجبهة الشرقية . وكانت تتألف أحيانا من سرية دبابات وسرية مشـــاة آليـــة ومن بطارية أو بطاريتى مدفعيـــة . والســـبب فى ضعف نسبة هذه المجموعات لم يكن فقط بسبب قلة القوة الجاهزة لتغطية جبهة واسعة فقط بل كان أيضا بسبب أن هذا الحل يتيح أحسن الفرص للتوارى من القوى الجوية الحليفة التى كانت تحلق فى كل مكان وتسحق كل ما تراه فى طريقها . وكان لهذه المجموعات قدرة هائلة على التسلل بين الأرتال الحليفة لتقوم بهجمات معاكسة سريعة فى اللحظات الحاسمة. ان توزيع فرقة مدرعة الى سلسلة لينة من مجموعات صـــغيرة كهـــذه (كل مجموعة منها قادرة على الحركة) يختلف اختلافا أساسيا عن عملية توزيع المدرعات الى أقسام لدعم المشاة ولا تشتمل على سيئاتها .

ان الفرقة ومجموعة اللواء تصبح أداة لينة هينة اذا قسمت الى أربع مجموعات للقتال أو خمس مجزأة على عدد يماثل عدد أصابع اليد أو الى مجموعات قتال صغيرة قادرة على المناورة منفردة ومعتادة على القيام بها . ومن الممكن جمع هذه المجموعات للقيام بضربة قوية اذا دعت الظروف الى ذلك واذا سمحت شروط القوى الجوية بذلك .

وتستطيع أيضا وفى غالب الاحيان القيـــام بهجمات متجمعة . ان الانتشار المراقب يختلف بصورة أساسية عن توزيع القوى الى أقسام .

وبادارة هذه المجموعات يمكن الحصول على نتائج متعددة طالما ان هذه المجموعات لا تشكل هدفا مركزا للطيران . ان خلية النحل لا تحتشد ولا تتركز ، والنحل تهاجم فى آن واحد من كل الاتجاهات . هذه هى النتيجة المتعددة الاهداف التى تكون الفكرة الرئيسية لدينا فى تطبيق تكتيكات الانتشار المراقب . وقد لوحظ هذا النوع من التغليف المتعدد فى الحروب النابليونية . ولم يجمع نابليون ويركز قواته قبل المعركة الا فى أعوامه الاخيرة . أما ما قبلها فكان يأتى بأرتاله الصغيرة من كل مكان ليناوش العدو فى كل الاتجاهات ، كل رتل منها يعزز الآخر ويدعمه .

وينبغى أن يكون الهدف من هذه التكتيكات الجديدة شل عمل الخصم . وأن شعار « تدمير العدو » فى المعركة يقودنا الى تدمير أنفسنا ويجعلنا نلاقى المتاعب حيث نتعرض لضربة ساحقة من قبله قبل أن نتمكن من سحقه . وان الاشراف على مساحات من الارض ينبغى أن يحتل مكانا لدينا أهم من احتلال الأرض نفسها أو الاحتفاظ بها . اننا نريد مبدأ جديدا فى السيلان الهجومى للقوى . . مبدأ يقول أن نناور كالبحر أو كمثل خلية النحل وليس كمثل الكبش . وحتى فى عام ١٩٤٠ ، كان الطابع الحاسم لهجمات المدرعات البنزر التابعة لجودريان يكمن فى احداث شلل لفاعلية الخصم بعد الخرق ، ولم يكن هذا الطابع الحاسم بسبب تدمير القوى المعادية فى ساحة المعركة . وهى فى الواقع قد ألغت المعركة . وقد طبق رومل فى افريقيا طرقا جديدة مماثلة هجوميا ودفاعيا . وعمل مانتوفل. والقادة الآخرون على الجبهة الشرقية بنفس الأسلوب الذى طبقه رومل .

وينبغى أن يعطى أهمية أكثر لما سأسميه « التكتيكات الاستراتيجية التحضيرية » . ان للمدافع ميزة أساسية فى كونه على الأرض قبل أن يحضر اليها أى مهاجم وأن يحتل الارض التى سيتقدم عليها خصمه .

وهذا العمل يتيح له استكشاف الطرق مسبقا للهجمات المعاكسة بشكل تنفذ فيه هذه الهجمات بكاملها تقريبا خلال كل الأراضى . وبامكان المدافع أن يستطلع وأن يعمل عملا أكثر بكثير من أعمال استكشاف الطرق . ان بامكانه أن يعد هذه الطرق بعد أن يفكر عميقا بتنقلاته . وهو قادر أيضا على فتح ثغرات فى الحواجز كى يسهل تنقلاته عبر كل الأراضى على مختلف أنواعها . ويستطيع أيضا أن يضع

مسبقا تموينه فى مستودعات مموهة ، بصـــورة تســـتطيع معها قوى الهجوم المعاكس أن تنتقل بواسطة الحد الأدنى لوسائط النقل • ويملك المدافع أيضا ميزة فى القوة على المهاجم فى مجال تحضير عبور مجـــارى المياه دون أن يخضـــع الى القيود والتحفظات الاعتيادية التى تخلقهـــا مشكلة الجسور « الكبارى » • وفى الهجوم المعاكس المعد بدقة وعنـاية يتمتع المدافع أيضا بكثير من المزايا على المهاجم •

ان هذه الطرق تتطابق مع الظروف الحالية للحرب ، وفى كل مكان تتهدد فيه العمليات بالانقطاع بسبب العمل الجوى • وهذه الطرق تتلاءم أكثر أيضا مع شروط الحرب الذرية ، وهى أقل قابلية للفشل فى مثـل هذه الظروف من الطرق الحالية ومن التنظيم العسكرى المتبع حاليا •

- ٢ -

مستقبل الدبابات

هل للدبابة مستقبل أم هل انتهى دورها وانتهت ؟ وهل تستطيع الدبابة أن تلعب دورا هاما فى المجال العسكرى ؟ واذا كان الجواب بالايجاب ، فأى نوع من المهمات سيلقى على عاتقها وأى نوع من الدبابات سيبقى ؟

يوما بيوم خلال الاربعينيات الأخيرة من هذا القرن أعلنت السلطات العسكرية أن الدبابة قد ماتت أو هى فى حالة النزع الأخير . وفى كل مرة كانت تنبعث من القبر الذى دفنت فيه بينما السلطات فى سبات عميق .

ولدى فى مصنفاتى خمسة أمثلة للحكم بالموت قد أودعت فيها . ففى عام ١٩٢٨ عندما أوقفت التجربة العالمية الاولى للقوى المدرعة من قبل وزارة الحرب البريطانية بعد عامين من الدراسات فى هذا العام اقترح ناطق رسمى للصحافة بأن « الدبابات لا تشكل أى تهديد » . وفى عام ١٩٣٢ أكد لى بصفة شخصية وسرية رئيس فرع التاريخ فى لجنة الدفاع الامبراطورى الجنرال ايسموندس فى رسالة قال فيها « ان كل دبابة تظهر أنفها فى أرض مستوية ... ستوضع خارج المعركة حالا .. ان الحروب التى تتخيلها انت وفوللر أصبحت من مخلفات الماضى » .

وفى عام ١٩٣٤ تكهن وكيل وزارة الحرب البريطانية المستر دوف كوبر أنه فى خلال عدة سنوات « ستكون أكثر الدبابات وأقواها درعا» معرضة لخطر الأسلحة الجديدة المضادة للدبابات كما « تتعرض لها القشرة الخشبية القديمة » . بعد عام واحد شكل الالمان فرقهم المدرعة الثلاث الأولى مهملين هذا الانذار . وبعد خمسة أعوام سحق هجوم الدبابات الذى يقوده الجنرال جودريان الدفاعات الغربية .

وقد فتح النصر الساحق لهذه القوى المدرعة موقتا عيون القادة الانجليز حول القيمة العملية لهذه النظريات الجديدة التى كانوا قد

أدركوها ووضعوها ولكنهم أهملوها بأنفسهم وبدأوا متأخرين فى انشاء فرق مدرعة كالألمان • وقد حدث تأثير مماثل على الاميركيين •

ومهما يكن فى أمر الدبابة فان الاعتقاد باضمحلال دورها ينبعث من جديد كلما تعرضت الدبابات لفشل موقت • وقد قوى هذا الاعتقاد بشكل خاص بعد معركة صقلية وجنوب ايطاليا عندما حالت الجبال دون تحرك المدرعات • وقد أحدثت هذه الواقعة أثرا على احتمالات امكانيات الدبابات فى غزو فرنسا عام ١٩٤٤ •

ولقد تعرض تشرشل لمثل ردود الفعل هذه عندما صرح فى فرنسا قائلا : « ان لدينا كثيرا من المدرعات وقد انتهى عصر الدبابات » •

ثم زرعت الشكوك من قبل مستشاريه الرسميين • فقد ترأس الفيلدمارشال السير آلان بروك رئيس هيئة الأركان العامة للامبراطورية مؤتمرا للجنرالات الانجليز والامريكان وقرأ تصريحا محتواه أن الحرب عادت الى ما كانت عليه عام ١٩١٨ وأن حركات فى وضح النهار من نموذج سنة ١٩٠٠ لم تعد ممكنة • وقد تأثرت القيادة العليا الامريكية واعتبرت هذا التصريح تدخلا فى استراتيجيتها العسكرية ومع ذلك وبعد عدة أشهر استطاعت القوى المدرعة الانجليزية والأمريكية أن تفلت من رأس جسر النورماندى واندفعت بسرعة الى أمام حتى وصلت الى الحدود الالمانية دون أن يوقفها الخصم • ومن المؤسف انها توقفت هناك بسبب نقص التموين فى المحروقات نتيجة فقدان التحضير الادارى لاستغلال هذه المناسبة الرائعة • ولو كانت المستويات العليا للقيادات تملك الفطنة والحساب للمستقبل لانتهت الحرب فى ذلك العام •

وبعد الحرب بخمسة أعوام عبر عدة ضباط من مراتب عليا — انجليز وامريكيين بالضبط عن نفس الفكرة والاتجاه السابقين •

وفى أمسية الغزو الشيوعى لكوريا الجنوبية فى عام ١٩٥٠ عبر سكرتير الجيش الامريكى عن رأيه فى هذا الموضوع بالعبارات التالية : « ان حرب الدبابات ، كما عرفناها ، ستصبح فى القريب العاجل غير ملائمة للعصر • » ولكن بعد هذا التصريح تزعزع دفاع كوريا الجنوبية بتأثير بعض هذه الدبابات المنسقة •

واليوم وبعد عشرة أعوام ترتفع موجةجديدة فى القدح مستوحاة من الايمان بأن الصواريخ الجديدة الموجهة المضادة للدبابات « قد دقت أجراس الكنائس حزنا على الدبابة • » • وهذا الاعتقاد هو أقل ما يقال

فيه أنه اعتقاد مشبوه ويسبب كثيرا من المخاطر لكل جيش يستغنى عن الدبابات ليقاتل دبابات العدو بصواريخ موجهة سواء أكانت مقادة باليد أو موجهة نحو الهدف بجهاز « من التوجيه الذاتى » ٠

ان هذه الصـــواريخ ثقيلة وذات حجم كبير اذا ما قورنت بقنابل مدافع الدبابات ، واستعمالها يحد من كمية الذخائر التى يمكن أن تحمل بينما قد يتعرض جهاز التوجيـه الذاتى للتعتيم ولاجراءات اليكترونية مضادة ٠ والصواريخ الموجهة بطيئة من ناحية التصدى وزمن المســير (المســافة) اذا ما قورنت مع قنبلة الدبابة ٠ انها تعطى بذلك للمهاجم الذى يملك عدة دبابات فرصا أكثر لكى يغرق الدفاع الذى يعتمد على الصواريخ لايقافها ٠

ان السرعة الضـعيفة للرد وزمن المســير للصاروخ تتيح للدبابة المعادية مهلة من الوقت كافية لتلتجىء قبل وصــول الصاروخ الى خلف شجرة أو ســياج أو كومة من التبن أو بيت أو رابية ، ان الدبابة التى تصوب من أى مرتفع صغير ليس أمامهــا الا أن تتراجع عدة أمتار لكى تحتمى وتصبح غير معرضة للعطب ٠

وبالاضافة الى ما ذكرت فان البطء النسبى للرد بالصاروخ يتيح للدبابة فرصة حسنة لكى تضع القاذف خارج المعركة قبل أن يستطيع الرمى ٠ ان فن رمى الدبابات قد تطور بشكل مدهش ورائع منذ ١٩٤٥ فى جمعه بين السرعة والدقة لدرجة أصبح فيها الرمى من أبراج الدبابات فنا جديدا ٠ ويقوى هــذا التطور الذى يلفت النظر فى مدفعية الدبابات القيمة الذاتية للدبابات اذا ما قورنت بالقوة الذاتية والاصلية للأسلحة الاخرى ٠ ان العوامل الاساسية والعلاقات المميزة لعمليات الدبابات هى السرعة والمرونة ٠ ولهاتين الصفتين الشقيقتين أهمية أكبر من أهميــة تصفيح الدبابة ٠ فهى تتيح لتسليحها الذى لا يساوى شـيئا بحد ذاته قيمة فريدة فى العمل ٠

وتبقى هاتان الصفتان أساسيتين ولقد ازدادت أهميتهما منذ ميلاد الأسلحة الذرية ٠

ان المعضلات الاستراتيجية لعصرنا فى هذا العالم الذى يعيش فى ظلال المصيبة الذرية تتعلق أكثر من أى وقت مضى بعــامل الزمن عبر مجموعة من المخاطر المتنوعة التى تبتدىء بانفجــار حريق بســيط فى الاعشاب أو ضربة مفاجئة ومحلية الى الحرب الشاملة ٠ ففى كل مرحلة وعلى كل مستوى من مستويات القيادة يتوقف المستقبل على الانذار وعلى

الاعداد الفورى للعمل وعلى مناورة قوى منفصلة وعلى سرعة التدخل كل هذه المطالب مجتمعة تتوافر فى هاتين الصفتين التوأمين : السرعة والمرونة ـ وليس تعاون هاتين الصفتين أساسيا للنصر العسكرى فقط ولكنه فوق كل شيء أمر أساسى نتجنب بواسطته تطور انفجار محلى الى حريق عالمى ... هذا التطور المميت .

ولم تكن هذه الصفات منتشرة الانتشار الكافى بين قادة القوات المدرعة فى الحرب العالمية الثانية . فقد تدرب كثير منهم مدة طويلة على التكتيكات الحذرة وعلى الايقاع البطىء للأسلحة القديمة . ولو حللنا العمليات التى حدثت فى الحرب لظهر لنا ان نكبات عدة وفرصا قد ضاعت بسبب قرارات وأوامر قادة لم يعرفوا كيف يتلاءمون مع سرعة الاحداث. وان سبب هذه الاخطاء يعود الى بطء الفن العملياتى وعدم مرونته .

ان أدهش مثال على ذلك هو انهيار الدفاع الفرنسى فى عام ١٩٤٠ أثر هجوم القوى المدرعة الالمانية عبر نهر الموز . ولكن حدثت بعده كثير من الحالات المماثلة ، وفى افريقيا الشمالية والمعارك التى جرت على أرضها بل أكثر من هذا ، بعد الذهاب من الصحراء والعودة الى أوربا ، اضطرت القوى المدرعة أن تلتزم بالطرق بسبب صعوبات الأرض فى صقلية وايطاليا ، واستمرت هذه العادة فى شمال غرب أوربا حتى عند ما كانت الظروف مواتية لحركة عبر كل الأراضى . وهناك خطأ آخر ارتكب ، هو العمل التفصيلى وبشكل خاص توزيع الدبابات الى أجزاء لدعم المشاة . وهذه الطريقة كانت سببا فى الانكسارات الجزئية عندما كان العدو من الفطنة بحيث يغير اتجاه هجومه مسرعا الى حشد مدرعاته وتركيزها بشكل مفاجىء .

ولقد كان هناك اتجاه للمبالغة بحجم القوى الاحتياطية والحفاظ على نسبة كبيرة فى القوى جاهزة كاحتياط ، بينما كانت المعركة تأخذ سبيلها الى النتيجة الحاسمة دون أن تستخدم هذه القوى . ويعزى وجود مثل هذا الاتجاه الى طرق التفكير وعاداته التى نمت وتطورت فى ظل حرب التنقلات فيها بطيئة مع تشكيلات للمشاة ، عندما تشتبك فى المعركة لا تستطيع أن تنتقل منها بسهولة .

وسبب هذه العادة أيضا عدم توصل القوة المدرعة الغربية الى هضم قدرتها على الخروج فى أى اشتباك لتشتبك فى مكان آخر . وهذا يعنى أنها حتى عندما تقاتل فى منطقة من المناطق فهى قابلة للاستخدام كقوة احتياطية فى طاقتها أن تتدخل لتقاتل فى اتجاه آخر اذا كان ذلك ضروريا .

وقد تبدت هذه القابلية وبرهن على وجودها بشكل معبر منذ عام ١٩٣١ عندما شكل فى انجلترا لواء من الدبابات لتجربة الافكار الجديدة التى تقول باستخدام قوة مؤلفة من سيارات القتال المدرعة ومعرفة آثارها وهى تنتقل بسرعة وقد جرت التجارب الاولى عام ١٩٢٧ بأول قوة تجريبية ميكانيكية ولكن هذه التجارب مع الأسف ، قد القيت مهمة تنفيذها على عاتق قائد يتمتع بذهن المشاة فقط ، ولهذا كانت نتيجة هذه التجارب ميئوسا منها فاستبعدت فى العام التالى • وبعد ثلاثة أعوام من الزمن الميت قررت الأركان العامة أن تحاول تجربة جديدة • وفى عام ١٩٣١ ، كلفت قائدا قديرا ومدربا على قيادة الدبابات اسمه شارل برود • وقد ابتدأ هذا القائد التجارب بعقل ودراية مكتفيا بالنقاط الأساسية فى المناورة • وقد ساعد فن التدريب المعتمد آنئذ على فتح الطريق لتقدم لاحق ، فى طرق الاشراف على المناورة مع الاقتصاد فى الوقت • وقد أجرى تدريب القتال بغية تطبيق تكتيكات جديدة للتقرب غير المباشر والهجمات المتتابعة التى اقترحت طرقها وطبقت هذه الطرق آنئذ •

ومع ذلك جاءت الأزمة المالية فى الخريف لتعزز الشكوك التى كان يثيرها فكر محافظ كثير الحذر والاحتراس ازاء استخدام هذا النوع من القوى • ومرت ثلاثة أعوام قبل أن يخلق لواء دبابات واحد • وقد شاهد هذا اللواء النور وأصبح جزء من الجيش عام ١٩٣٤ • ومن حسن الحظ ان قيادته قد أعطيت الى رجل آخر بعيد النظر هو القائد برسى هوبار فتحققت على يديه خطوات مدهشة • فقد تحسن الاتصال اللاسلكى والاشراف عليه لدفع التكتيكات الجديدة الى الامام وشاهدت التمارين المركبة فى هذا العام ، فى جنوب انجلترا ، الظاهرة العملية الأولى لمفهوم الاختراق العميق الاستراتيجى بواسطة مثل هذه القوى •

ولقد كان هذا المفهوم ، بالاختصار يقول : ان قوة « مدرعة تنتقل بسرعة وتعمل مستقلة على رأس الكتلة الرئيسية للجيش ، ينبغى أن تكون قادرة على القيام بمسيرة طويلة كى تقطع مواصلات العدو ، البعيدة فى المؤخرة وفى مكان يمكن فيه أن تقطع خطوط تموينه التى تشكل شرايين حياته الرئيسية • بهذا الشكل يمكن شل الجيش وطاقة المقاومة لديه •

ولقد واتتنى هذه الفكرة بشكل أولى وأنا أدرس المراحل الطويلة التى اجتازتها قوى جنكيزخان المتحركة فى القرن الثانى عشر ، عندما كنس الموغول بادىء بدء الصين فى الشرق ثم ، عندما التفتوا نحو الغرب

لم يقوموا بغزو الشرق الأوسط فقط بل اجتاحوا أيضا النصف الشرقى من أوربا • وقد أضحى مفهوم العمليات الحديثة « على الطريقة المنغولية الطريقة الرئيسية فى تدريب القوى المدرعة التجريبية الأولى ـ البريطانية ـ التى أطلقت خيال الجنرال ماك آرثر ففصلها فى تقريره عام ١٩٣٥ كرئيس للأركان العامة للجيش الامريكى • ولكننى توصلت لرؤية تطبيقاتها بوضوح أكثر ضد جيوش كبيرة حديثة ملزمة باستخدام السكك الحديدية فى تموينها كما يستنتج من دراسة المعارك الغربية فى الحرب الاهلية الاميركية التى قمت بها فى كتابى عن شيرمان • ان مزيجا من دروس حركة مسير شيرمان عبر جورجيا والكارولين التى قطعت خطوط تموين لى واغارات فورست من الجانب الآخر قد زودتنى بأساس لوضع فن « الاختراق الاستراتيجى العميق) بواسطة القوى المدرعة •

ولقد كان تاريخ الدبابة اللاحق تاريخا للصراع المستمر بين التصميم الأولى للدبابة كأداة من أدوات مرافقة المشاة للانقضاض وبين التصميم الجديد الذى يجعل منها سلاحا متحركا مستقلا •

وحتى بعد فرص النجاح التى حققتها التجارب فى عام ١٩٣٤ ، لم يوافق القادةالبريطانيون على مثل هذه الفكرة فأخروا انشاء فرقة مدرعة ثلاثة أعوام جديدة •

وفى عام ١٩٣٧ ـ ٣٨ عندما أصبحت لمدة عام المستشار الشخصى لوكيل وزارة الحرب المستر هوربيليشا ألححت لكى يكون الجهد العسكرى البريطانى مركزا على انشاء فرق مدرعة وبشكل خاص « بسبب قيمتها فى التصدى السريع القوى فى حالة الخطر وفيما لو فتحت ثغرة فى دفاعات الحدود الفرنسية • » • وقد تمسك المستر هوربيليشا نفسه بهذه الفكرة الا أن الاقتراح تعرض لهجوم معاكس حار من قبل القادة العسكريين • وشكلت فرقتان فقط ـ احداهما فى انجلترا والأخرى فى مصر عندما حدثت الحرب فى عام ١٩٣٩ •

ومن المؤسف أنه فى هذا الوقت كانت امكانيات هذه النماذج الجديدة فى الفرق قد استكشف وعرف بسرعة أكبر فى القارة الأوربية • فشكل الألمان منها ثلاث فرق عام ١٩٣٥ وست فى عام ١٩٣٩ بعد أن تأثروا بالتجارب الانجليزية •

وبالاضافة الى ذلك فان فكرة الاختراق الاستراتيجى العميق وفنه قد طبقا بحماسة من قبل الجنرال جودريان الذى لعب دور الزعامة فى خلق القوى المدرعة الألمانية وتدريبها • وهناك كثير من الضباط القادة

الألمان ، من القدماء ، ممن كانوا متشككين ومتشائمين كزملائهم البريطانيين ٠ لقد كانوا يرتابون فى امكانية القيام بهجمات على مدى طويل ولا يرون فيها الا كل المخاطر ٠ وكانوا يريدون اخضاع هذه الفرق المدرعة الجديدة فى خدمة كتل المشاة ٠ ولكن عندما جاءت الحرب لاحت الفرصة كى يتخلصوا من احتياطاتهم وقيودهم ٠

ولقد وضع الغزو السريع لبولونيا النظرية الجديدة موضع الاختبار فانتصرت على اتجاه القيادة العليا فى ايقاف تطبيقها ٠

وعندما شنت المعارك على الجبهة الغربية أمسك جودريان بالحبل بين فكيه وراح يعدو ٠ وكان عدوا لم يتخلله أى توقف من سيدان الى الساحل كى يقطع الجناح الايسر للجيوش المعادية ٠ وانهار البلجيكيون وتمكن الانجليز بالكاد من ان يهربوا عبر البحر ووقع جزء كبير من الجيش الفرنسى فى الفخ ٠ وتوزعت القوى المدرعة بسرعة فى الجنوب والشرق متهيئة لضربة جديدة ٠ وبعد خرق الجبهة الفرنسية الجديدة ، كان سباق جودريان فى اتجاه الشرق نحو الحدود السويسرية فقطع الجناح الايمن للجيش الفرنسى وسبب سقوط فرنسا ٠ وفى كل من هذه الحالات لم يفعل الخرق شيئا الا أنه فتح الطريق لحل المشكلة ، وكان الاستثمار السريع والعميق هو الذى يشكل الجزء الاساسى من عملية الخرق هذه ٠ وفىأثناء السنة أو السنتين الاخيرتين قبل الحرب كان معظم القادة العسكريين فى فرنسا وفى بريطانيا ضد فكرة استخدام الدبابات وقد اقنعوا المستر تشرشل نفسه الذى قاتل قتالا مرا الى جانب الدبابة أثناء الحرب العالمية الاولى ٠

ولقد كان لهذا العمل نتائج مؤسفة حقا على توجيه الجهود قبل الحرب لزيادة التسلح وعلى عمل تشرشل ايضا فى نفس الوقت فى أزمة عام ١٩٤٠ ٠ فلم ينتبه الى ايقاع الحرب الجديدة للدبابات ٠ ولهذا عندما اتصل به رئيس وزراء فرنسا هاتفا ليعلمه عن الخرق الذىأحدثه جوردريان فى سيدان أجابه تشرشل باطمئنان وثقة « ان التجربة قد برهنت بأن الهجوم يصل الى نهايته بعد وقت محدد ٠ فأنا أذكر ٢١ مارس (آذار) ١٩١٨ ٠ بعد خمسة أيام او ستة اضطر الالمان للتوقف فى انتظار التموين » ٠

وكان تشرشل كالقادة العسكريين الفرنسيين يعيش أيضا فى الماضى ٠ وفى مذكراته اعترف بصراحة : « لم أكن قد فهمت منذ الحرب الأخيرة قوة الثورة التى يحدثها غزو كتلة من المدرعات تنتقل بسرعة ٠

لقد سمعت عن ذلك ولـكنه لم يغير من معتقداتى كمـا ينبغى أن يفعل ·
« ان حالة عدم الفهم هـذه من طرف الحلفـاء قد فتحت طريقا لحركة جورديان السريعـة نحو سـاحل المانش والتى آنتهت بدنكرك وبسقوط فرنسا » ·

ان القوى المدرعة التى انتصرت عام ١٩٤٠ كانت تملك تشـكيلا أوليا ، وقد فهم هذا جودريان نفسه وفهمه بسرعة رفاقه فى الدبابات· ولكنهم كانوا مقيدين آنئذ بالوسائط الجاهزة لديهم ، وكانت نمـاذج دباباتهم اقل حداثة من النماذج التى درست فى انجلترا خلال عام ١٩٢٠ ولكنها كانت كافية لتخرق الجيوش المعادية لأن قادة هذه الجيوش لم يفهموا الفن الجديد وكانوا بطيئين جدا فى الرد على الحركات التى حققتها « سرعة الدبابة » ·

وقد حدث خرق مماثل فى العام التالى ١٩٤١ عندما اجتاح الالمان روسيا ولما كان الالمان يقومون بتقدم أعمق فى روسيا فان ميكانيكية فرقهم المدرعة أضحت عائقا متزايدا لأنها لاتلائم هذا العمق ·

وكانت الطرق الروسية الفقيرة تشكل حاجزا أهم وبخاصة فى حالة الطقس السىء أكثر من دباباتهم الخاصة · وكان عدد الدبابات فى الفرقة ضعيفا جدا وتفتقر الآليات الأخرى الى قابلية التنقل فى كل الاراضى ، خارج الطرق ، كى تقضى على الحواجز والمقـاومات · وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذا أن الهجمات الالمانية المدرعة كانت تفقد تدريجيـا من فاعليتها ·

وعندما انحسر مد الحرب وتبدل ميزان القوة المادية لصـالح خصوم المانيا فى كل الجبهات لم يحدث بعث مماثل ولا تطور جديد فى فن حرب الدبابات من قبلهم · وقليل من القادة الـكبار ـ الامريكيين والبريطانيين أو الروس ـ من درس فن استخدام التشكيلات المدرعة· لقد كان اتجاههم أن يستخدموا قواهم المتزايدة باستمرار من الدبابات فى عدد كثير من المعارك الصغيرة للدبابات محاولة انهاك قوة العدو بطريقة الافناء المستندة الى التفوق العددى المتصاعدة وكانوا يسمحون لانفسهم بتضييع دبابتين أو ثلاث من أجل ألمانى واحد لأن الانهاك سيسبب اضمحلال موارد العدو الضئيلة واشتد هـذا الاتجاه بسبب طلبـات الدعم المستمرة بالدبابات للحصول على مدافع أكبر فى عيـارها · وكلما ضعفت ثقتهم فى مهارتهم الخاصة على المنـاورة أحدثوا صخبا وصاحوا من أجل الحصـول على مدفع ذى فاعلية حاسمة ومن أجل تصفيح أقوى لدباباتهم ·

وهكذا كان يزداد حجم الدبابة ووزنها بينما كانت قابليتها للمناورة تتضاءل • وكانت النتيجة العامة لهذه العوامل أن معارك الدبابات فى المرحلتين الاخيرتين من الحرب اقتصرت على مبارزات بالمدفع بين الدبابات، دبابتان من جهة ضد دبابتين من جهة أخرى أو بين عدد صغير منها •

والاستثناءات الضئيلة لهذه القاعدة كانت عندما اقتصرت القوة المدرعة الالمانية موقتا على ظل طفيف منها ، وكان ذلك فى أمسية خرق الحلفاء للجبهة فى النورماندى • ولكن معظم المعارك اللاحقة كانت سلسلة من المباريات فى التدمير حيث كان لسرعة رمى الدبابات ، منفردة ، أهمية أكثر من سرعة المناورة • لقد كانت حربا مع الدبابات أكثر من كونها حربا للدبابات •

وبعد أن قمنا بهذه العودة الى الماضى لنأتى الى المستقبل فقد رأينا أن الدروس الاساسية سارية المفعول دوما ولكنها غالبا ما تنسى سريعا •

ان تطور الاسلحة الذرية قد وصل تقريبا الى نقطة ألغى فيها كل احتمالات النصر فى حرب شاملة لأن هذا النوع من الحرب يميل الى الاقتصار على نوع من الابادة المتبادلة •

وهكذا نجد أن احتمال وقوع حرب كبرى جديدة قد تضاءل • ولكن احتمالات وقوع حرب محدودة لم تتضاءل بنفس النسبة بل بالاحرى قد ازدادت ومع أن الانفجارات الداخلية تتطلب مشاة بشكل خاص لتحد منها ولتقضى عليها (١) الا أن القوى المدرعة المتحركة قادرة فى نفس الوقت على خنقها وعلى تشتيتها • وفى حالة الاعتداءات المباشرة تشكل الرد الفعال على أى هجوم مفاجىء • ولو كان فى امكان أى اعتداء أو هجوم محدود أن يتحول الى حرب ذرية فان للقوة المدرعة فرصا أكثر فى البقاء على قيد الحياة والتنقل أكثر من المشاة •

ومع ذلك تحتاج القوات المدرعة شكلا جديدا من طراز أكثر مرونة وأقل تعرضا للخطر • وهذا شىء أساسى لأن التهديد بالقصف الذرى أو بالصواريخ ظل ثابت• ومن الأساسى أيضا أن نتجنب الحرق أو الشلل من هجوم جوى أو بواسطة القذائف الصاروخية غير الذرية • ان القوى الغربية لم تستفد أبدا من ميزتها العظيمة التى اتسمت بها فى عام ١٩٤٤ ١٩٤٥ عندما كانت تتحرك تحت مظلة جوية واسعة ضد خصم

---

(١) انه يتحدث هنا من وجهة نظر استعمارية ـ أى فى حالة حدوث ثورات فى المستعمرات والقواعد العسكرية التى تسيطر عليها بريطانيا ـ المعرب •

حرم تقريبا من مثل هذه الحماية. وبمناوراتها ضد قوى الغزو كان ينبغى عليهــا أن تهتم بهــذا الظلام الجوى فى الجو . بل أكثر من هــذا بالنظر لاحتياج الجيوش الغربية الكبيرة نسبيا للتموين فانهــا معرضة للشلل أكثر من الجيوش ذات الطراز السوفيتى .

عندما كانت الدول الغربية تواجه جيوشا متفوقة عليها كان احتمال مقاومتهــا مكللا بالنجاح متعلقا بحركتهــا الاستراتيجية والتاكتيكية فى آن واحد فى مناوراتها ضد المهاجم . وليس الموضوع فقط موضوع وحدات مدرعة صغيرة ذات أقصى نشــاط فى ساحة المعركة بصورة تستطيع معها أن تتحرك بسرعة من موضع رمى الى آخر ولكنه أيضا موضوع فرق قادرة على التنقل من قطاع الى آخر لتقوم بهجمــات معاكسة عميقــة مستهدفة تطويق العدو وتجميده .

ان هذا يتطلب شكلا آخر جديدا من التنظيم . فالفرق المدرعة التى برهنت عن حسمها للمواقف عام ١٩٤٠ لم تفعل شيئا غير عبور الطريق الى منتصفه فى النموذج الذى اقترحته لها فى عام ١٩٢٠ . فعلى كل آلية فى القوة المدرعة أن تتصف بالحركة عبر كل الاراضى وأن تكون حمايتهــا كافية لترد عنها الطلقات وشظايا القنابل (تصفيح) . اننا نفتقر بشكل خطير الى هذا النوع من القوى المدرعة للقيام بمناورات تتصف بالمرونة . وان الذيل الطويل الذى يرتبط بطرقنا يجعل منها شيئا أقرب ما يكون فى صلابته رأس الحرية وينبغى علينا أن نحوله الى ثعبان ميكانيكى . فاذا منحنا مرونة للذيل يؤدى ذلك الى انقاص حجمه . وان أعظم أثر للهجوم المدرع يتأتى من الحشد المباغت لدباباته ضــد نقطة ضعيفة فى الترتيب المعادى . ولكن الفرقة المدرعة للحرب الاخيرة قد أصبحت ضخمة وذيلها طويلا لدرجة أنها عندما تلتف لمسافة قريبة جدا كان من الصعب حشــد عدة تشكيلات من الدبابات فى قطاع معين ومن الصعوبة أكثر فاكثر أيضا حشدها بسرعة .

وللوصول الى ذلك من الضرورى تنقيص تشكيلاتها المساعدة وزيادة نسبة الدبابات بالنسبة لتشكيلها العام .

ان الفكرةالتعبوية التى أوحتبخلق القوى المدرعة هى فكرة «المقاتل الراكب » لنربح حركة ونحافظ على السرعة المـكتسبة كما كانت تفعــل الخيالة فى العصر الذى كانت فيه الأداة الحاسمة فى ساحة المعركة . ان ادخال رجال قادرين على القتال على أقدامهم ضرورة تعبوية للـكشف عن القطاعات المعادية المحمية بالحواجز وللقيــام بمهمات دفاعية عدة . ولكن من الخطأ الأساسى فى التنظيم أن تتجاوز نسبة المشاة نسبة الذين يقاتلون

راكبين على آليات القتال المدرعة والمدافع المقطورة ذاتيا • وينبغى أن يكون الرجال المقاتلون داخل المدرعات أكثر عددا فى أية قوة مدرعة اذا أريد لها تبرير اسمها وتحقيق هدفها (١) وبالاضافة الى ما ذكرت ولتحقيق الفاعلية التعبوية لمثل هذه التشكيلات المدرعة لا بد من أن يتمتع عنصر المشاة المحمول من هذه القوة على حركية فى كل الاراضى مساوية لحركية العنصر المقاتل على متن المدرعات • ولا يمكن أن يتحقق هذا الشرط الا عندما ينقل كل عنصر المشاة فى آليات مدرعة • والا فانه يفقد قدرته على مرافقة الدبابات عن قرب كاف لعمل سريع مخصص لازالة الحواجز المدافع عنها والتى تسد الطريق على الدبابات • وهناك أمثلة عدة دلت على أنه كل ما كان هؤلاء المقاتلين على أقدامهم قادرين على التدخل بسرعة كلما قلت الحاجة اليهم • ان سرية من المشاة المدرعة تتدخل فى العمل فورا عندما تدعو الحاجة اليها تستطيع أن تزيل مقاومة لا يستطيع فوج كامل من المشاة الآلية الكلاسيكية ، فيما لو تدخل بعد ذلك ، أن يقضى عليها عندما يتعزز الحاجز الدفاعى ويتقوى • ان عامل الزمن حاسم فى الحرب عندما يكون الموضوع خنق تهديد محلى قبل أن يمتد ليصبح اشتعالا عاما •

ولا بد من وجود تحقيق هام فى مطالب التموين وفى الآليات كى نكتسب السرعة المطلوبة • ولكى نصل الى ذلك لا بد للقوى المدرعة من أن تطبق المبدأ الذى طبقه شيرمان منذ قرن وحصل بواسطته على حركته فى المراحل الأخيرة من الحرب المدنية وبخاصة فى مرحلة تقدمه فى جورجيا والكارولين • ان على القوى المتحركة الحديثة أن تتعلم كيف « تزيل سمنتها » بحكمة وأن تقضى على « بدانتها » العسكرية حتى تزيد من حركتها ومقاومتها • وعليها أن تكون قادرة على العمل منعزلة خلال عدة أيام وحتى أسابيع بكاملها بدلا من أن تبقى مقيدة بخطوط تموينها المعرضة للأخطار • ولا بد من استخدام التموين بواسطة الجو أيضا وعلى أوسع نطاق والتموين بهذا الشكل يجب أن يكون أكثر سهولة عن ذى قبل بعد أن تحسنت الطائرة الهيليوكوبتر أو من الممكن استبدالها بسيارات تنتقل بقفزات سريعة • كل هذا ينبغى أن يجعل من الممكن انقاص عدد المقاتلين على الاقدام والعناصر المعاونة الاخرى •

واذا كان هناك الكثير الذى نربحه من تقدم التنظيم فمن المهم أيضا

---

(١) ان هذه النظرية قابلة للمناقشة • وهناك سببان يتعارضان معها : ازدياد التسليح المضاد للدبابات الفردى بشكل هائل والقيود الادارية غير المقبولة لمثل هذه الفرقة •

— المعرب —

تحسين نماذج الدبابات ، وهناك اتجاه جديد لتحقيق ذلك قد ظهر بالفعل •

لقد بذلت جهود متتالية لتركيب مدفع أضخم وتصفيح أسمك فزاد وزن الدبابة ثلاثة أضعاف أثناء الحرب الاخيرة على حساب النشاط التعبوى والحركة الاستراتيجية • ان نماذج دبابات أثقل ستصبح وستبقى عائقا ضد سرعة المناورة الاستراتيجية والتكتيكية ومرونتهما • فينبغى أن تزود دبابة المستقبل بجهاز للقيادة فى الليل وبالرادار اذا أمكن • ومن الضرورى أن تكون قادرة على أن تعبر بأمان قسيمة من الأرض ملوثة بالاشعاعات • فاذا اجتمعت هذه المطالب مع مدفع كبير وتصفيح ثقيل أضحت الدبابة وحشا أهوج • ان تطور القذائف الموجهة من طبيعته أن يوقف سيادة مثل هذه الوحوش حالا فى مكانها ليقوم هو بدورها •

وهكذا فان هدفنا الاول ينبغى أن يكون صنع دبابة خفيفة ذات قوة أكبر • ينبغى أن نخفف الدبابة باختراع أسلحة من نموذج أخف ولكنها تضرب بعنف وقسوة • ثانيا ينبغى أيضا أن نحل مشكلة تركيب السلاح الرئيسى للدبابة أيضا وبصورة فعلية خارج البرج وليس فى داخله • ثالثا : بتحقيق الحماية لوزن أقل للتعويض عن التصفيح الحالى • رابعا : بايجاد نموذج جديد للقوة الدافعة وعلينا دوما أن نفتش عن اختراع فنى لنحصل على تعديل ثورى • بانتظار مثل هذا الاختراع لا بد لنا من بذل مزيد من الجهد للتوفيق بين زواج فعال للمدفع والتصفيح مع المرونة محتفظين دوما فى أذهاننا بهذا المبدأ الأساسى « دبابة أصغر وأحسن » •

ان هدفنا فى هذه التخصيصات وفى نموذج الدبابات هو أن نصنع دبابة فعالة خفيفة بدلا من أن نصنع دبابة عملاقة ثقيلة الحركة • وعلينا أن نفتش للحصول على دبابة قتال ذات فاعلية كاملة من الممكن نقلها بواسطة الجو • وهذا يعنى أن وزنها لا يصح أن يتجاوز فى الشروط الحالية ٢٢ أو ٢٣ طن • وبالاضافة الى ذلك فان ٣٠ الى الـ ٤٠ طن هو أقصى مايمكن قبوله تقريبا ــ عندما يتعلق الموضوع بخصائصها الادارية ــ فى كل الظروف التى تستطيع تخيلها فى الوقت الحاضر •

ان الحاجة لتدعو اذن لبذل الجهد لاختراع نموذج للدبابات أخف وأقل كلفة ، يملك من الصفات ما يلائم كل الاراضى الامر الذى يتطلب طولا معينا للهيكل لاضرورة أن يتناسب معه الحجم أو الوزن • وهناك كثير مما يمكن قوله عن تعاون خلية من الدبابات الخفيفة والسريعة جدا مع نواة صلبة من الدبابات الثقيلة • والتوازن الجيد بين العدد والقوة (مركزا فى آلة بسيطة) ليس من السهل بلوغه • ولقد ثبت تاريخيا أن

تكتيكات الجيوش المنغولية والجيوش البيزنطية أيضا في عصورها الذهبية قد شهدت ان تزاوج السرعة والقوة كان أفعل من تطور عامل واحد من هذه العوامل . وهنـــاك امكانية جديدة أخرى تتضمن أن تخترع دبابات موجهة من مسافة معينة لقذفهـــا كرأس الرمح في وجه العدو . ويمثل هذه الدبابات التي تفتقر الى السدنة لا نتعرض للتثبيط المعنوى بسبب الخسائر الجسيمة عندما نستخدم تكتيكات الاشباع مفرقين الخصم بالقيام بهجمات منفصلة . وعدا عن أهمية الدبابات الخفيفة ، هنـــاك اتجاهات أخرى للتطور نحو سرعة ومرونة أكبر . وأحد هذه الاتجاهات هو اختراع نماذج جديدة من تجهيزات عبور الحواجز . والاتجاه هو خلق نماذج جديدة من الدبابات واضعة الجسور أو أجهزة جديدة للتعويم تجعل كل دبابة قادرة على اجتياز مجارى الميـاه دون أن تضطر للتوقف طويلا لتقوم باحكام سريع للجهاز ولا يقلل من فاعليتها المقاتلة .

ومن الاهمية بمكان أيضا أن نطور طـائرات الهيليكوبتر والنماذج الجديدة للطائرات التي تقلع عاموديا لنقل التموين ـ فيمـا عدا التموين الى الخط الاول . أما للنقل الى الخط الاول فنحن نحتاج الى آليات تتصف بقدرات عالية لحركة عبر كل الاراضى . وهناك ميزة أكبر تتاح لنا باحتمال استخدام وتطوير الآليات التي لا تسير بملامسة الارض وانما تسير فوق طبقة من الهواء المضغوط وعلى ارتفاع بسيط منها مما يسمح لهـا بالقيام بقفزات صـغيرة فوق الحواجز أو قفزات تعبوية أوسع مدى للوصـول الى أرض العمل . وهذه الآليات لا تحدث أى ضغط على الارض وهناك حاجة أخرى وبخاصة للجيش الذى يجابه اخطارا فيما وراء البحار ، هناك حاجة لبواخر انزال الدبابات الملائمة . وقد اضحت هذه الحاجة مهمة جدا للدول البحرية لان توقعات التنقل الجوى الاستراتيجى قد تضاءلت بسبب رفض الدول القارية وخاصة في آسيا وافريقيا السماح باستخدام قواعد بلادها أو التحليق فوقها .

ان تبدل الظروف يستدعى أيضـــا تغيرا في التكتيك . وان نجاح الاعمال الهجومية للقوى المدرعة والاعمال الهجومية المعاكسة خلال الحرب العالمية الثانية كان متعلقا بشكل وثيق بوضع القـوات الجوية . ومبدأ التركيز وحشد القـــوى يمكن تفسيره وتطبيقه بطريقة أخرى أكثر مرونة مستعينين بالفن الجديد للانتشار المراقب .

والآن وبعد أن قادنا تطور الاســلحة النووية الى وضع من الابطال النووى لا يمكن خرقه الا بانتحار مشترك فان الهدف التقليدى الذى كان يشتمل على تدمير القوى المسلحة المعادية قد اضـــحى مستحيلا ولا يلائم

العصر ، ومحاولة لبلوغ نهاية مطلقة كهذه النهاية في تدمير قوى العدو تدميرا كاملا ، هو الوسيلة الأكيدة للايحاء الى الطرف المقابل بشعور اليأس الذى يسبب نتائج مميتة مشتركة • ان الهدف الوحيد المعقول من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية اليوم هو شل العدو لا تدميره • واذا فتشنا عن بلوغ هذا الهدف فان احتلال المواقع والاحتفاظ بها أقل أهمية بكثير من الاشراف على مســـاحات نكتسبها في أحسن الظروف بفضل الســـيلان الهجومى (أو الهجومى المعاكس) للقـــوى • ان مثل هذه السيولة هى المبدأ الملائم للمستقبل لأنه يطابق الشروط الجديدة ويتاقلم معها • والقوى المدرعة السريعة صنعت بشكل خاص لتسمح بتطبيق هذا المبدأ •

- ٣ -

تطور العمليات الليلية

ان غطاء الليل هو أحسن ضمانة للمبـــاغتة وأكثر فاعلية من أى تصفيح كوسيلة من وسائل الحماية • بل أكثر من هذا فان ارتداء الظلام الذى تتيحه الطبيعة ليلا يمتاز بأنه أكثر ثباتا • ومن الممكن والافضل أن نلجأ اليه قبل أن ننظر الى أية طريقة صناعية أخرى • ومع ذلك فان قيمته تستند الى درجة التدريب التى نتوصل اليهـــا أكثر من الدعم التكتيكى الذى يتـــاح له • ان العتمة صديق حميم للجندى المدرب لكنها تشويش وبلبلة للجندى غير المدرب •

لقد كان أكبر مانع ، دائما وأبدا ، النسيان السريع للدروس التى تعلمناها والانحرافات المتكررة الى الوراء والتى تتلو كل خطوة نحققها الى الامام • وهكذا يبدو من المفيد أن نقيم حساب الجهود المبذولة بين الحروب لنستقصى نتائجها لا بهدف الفائدة التاريخية فقط •

لقد كانت الهجمات الليلية نادرة جدا أثناء الحرب العالمية الاولى • ومع ذلك فان الامتناع بشكل عــام عن محـــاولة مثل هذه التجربة كان مدهشا لان الرشاش الذى كان يســـيطر على ساحة المعركة كان السبب الاساسى فى عدم اجراء هذه المحاولة بينما كان هذا السلاح يضيع كثيرا من آثاره القـــاتلة فى شروط الرؤية الضعيفة • ولـــكن بالرغم من صعوبة الانقضاض فى وضح النهار ، على عدو متحصن بشكل جيد ، وهذه قاعدة معروفة عالميا ، أهملت دراسة امكانيات الانقضاض تحت ســتار الظلام وحمايته الا فى الهجمات الثانوية والاغارات • وكانت مخاطر البلبلة تلازم أذهان القادة وتلح على تفكيرهم لدرجة كانوا يختارون بصورة عامة أخطارا مؤكدة جدا فى تدمير قطعاتهم وخططا مضحكة •

ان أحد الاستثناءات النادرة لقاعدة الامتنـــاع هذه كانت الهجوم الذى قام به الجيش الرابع الانجليزى فى المرحلة الثانية من الهجوم الكبير على السوم فى ١٧ تموز (يولية) ١٩١٦ •

وفى مرحلة الافتتاح فى الواحد من تموز (يوليه) وثقوا ثقة كبيرة فى أثر الشلل الذى سيحدثه القصف فى اليوم السابع ـ قصف يقوم به ١٥٠٠ مدفع مركزة على جبهة عرضها أربعة عشر ميلا ـ وأطلقت المشاة ، فى وضح النهار ، فى الساعة ٧ر٣٠ صباحا لتأمين الرصد الجيد للمدفعية • وقد أدرك قائد الجيش راولنسون بعض الشكوك التى ثارت فى أعماقه ولكنه أعطى الانطباع للجميع من خلال محاضراته ، كما ينقل لنا التاريخ الرسمى نفسه ، وأقنع الضباط فى أمكنة أخرى انه فى نهاية القصف لن يبقى شىء فى المنطقة التى يحارب فيها وبعد هذا ليس على المشاة الا أن تتنزه وسلاحها معلقا بحمالته وأن «تستولى على الارض» ـ وكانت النتيجة خسارة ٦٠٠٠٠ جندى مقابل ربح بسيط فى الارض ـ وعلى الجناح الايمن فقط والى أقل من ميل عمقا ، وكانت هذه أكبر خسارة فى يوم واحد فى تاريخ الجيش البريطانى •

وفى أثناء الاسابيع التالية وبعد سلسلة من المناوشات الهجومية تحرك الجناح الايمن الانجليزى قريبا من الخط الدفاعى الثانى الالمانى ، وبحوالى ميلين وراء الجبهة الأولية • وفى أثناء هذا الوقت كان الالمان يوسعون الحزام المحصن بسرعة أكبر من سرعة الانجليز بحيث لم يستطع الانجليز أن يتحرشوا مستهدفين هذا الحزام ولو انتظروا حتى يصبحوا قريبين بشكل كاف من الخط الثانى لينقضوا عليه جسما الى جسم كان عليهم أن يجابهوا حاجزا بمتانة الحاجز الذى اصطدموا به وجابههم فى الاول من تموز (يوليه)• ولكن قائد الجيش راولنسون الذى تعجل الاسراع فى شن الضربة الكبرى المقبلة ، الضرورية لخرق الخط الدفاعى الثانى فى قطاع من أربع أميال بين غابة دلفيل وبازانتان آنتبه الى حقيقة مزعجة هى أن اليد اليمنى لجسمه (يقصد الجناح الايمن لجيشه) ماتزال بعيدة ثلاثة أرباع الميل عن الخط المعادى الثانى • وكان الحل الذى اختاره هو أن تجتاز قطعاته المنطقة المعرضة للخطر ، على ضوء القمر ، لتقوم بالانقضاض على الخط الالمانى فى الساعة ٣ر٢٥ صباحا قبل أن يصبح ضوء النهار كافيا بالنسبة للرشاشات الالمانية كى ترى أهدافها • وكان يجب أن يسبق الانقضاض قصف مركز عنيف مدته خمسة دقائق فقط •

فى عام ١٩١٦ كانت فكرة التقدم بهذا الشكل وفكرة القصف القصير أفكارا جديدة تصدم الرأى العام وتبدو وكأنها لعبة • وكان القائد العام هايج متشائما من هذه الخطة ولكنه ترك راولنسون يتابع طريقه التى رسمها • ولقد كانت النتيجة انتصارا مدويا وكاد يحدث خرق كامل لخط العدو ، وكان من الممكن الحصول على ذلك لو أن استثمار الفوز قد

حدث فى الوقت الملائم ومنذ الضربة الأولية · وقد وصلت الخيالة فى رابعة النهار لتقوم بأول ظهور لها فى ساحة المعركة منذ ١٩١٤ ولكنها برهنت فقط عن تفاهة القطعات الراكبة المستخدمة كأداة لاستثمار الفوز فى عصر الرشاش ·

وقد كانت خسائر اختراق ١٤ تموز (يوليه) ضعيفة جدا اذا قورنت بخسائر أول تموز (يوليه) · وقد تضررت الخنادق المعادية فى المرة الثانية أقل من المرة الاولى اذ أنها فى المرة الاولى قد دمرت تقريبا · وقد نقلت الرشاشات فى المرة الاولى الى الحفر الكثيرة التى أحدثتها القنابل وكانت لها بمثابة مواضع رمى متتالية وكثيرة الفاعلية · ومن أبرز ذكرياتى فى هذه الفترة الفرق بين حقل المعركة فى الواحد من تموز (يوليه) عندما كانت القوات الفرنسية أكثر عددا من القوات الالمانية وحقل المعركة فى ١٤ تموز (يوليه) عندما انعكس ميزان القوى لصالح الالمان بشكل واضح وقد تركت صورة عام ١٩١٦ انطباعا دائما على فكرتى التعبوية ·

وعندما أتيحت لى الفرصة لأكتب بعد الحرب نظاما لتدريب المشاة الحت على قيمة العمل ليلا وعلى قيمة الدخان والمفاجأة على مختلف أشكالها · ولكن هذه التوصيات شطبت من المؤلف من قبل وزارة الحرب قبل أن يطبع ·

ومن بين كثير من النقاط التى حددتها فى ذلك الوقت مايلى : « ان لغطاء الظلام ميزة على الدخان هى أنه يجعل المفاجأة ممكنة فى وقت الهجوم بينما ينذر الدخان العدو بالاتجاه وبالحشد أيضا · وبينما تكون المفاجأة هى الهدف الاساسى لعملية ليلية فان هذه العملية تزيد من الامن فى مجالين : الامن فى الخطط تجاه الرصد الجوى والأمن للأشخاص ضد القصف الجوى ورمى الرشاشات ·

وبعد عشرة أعوام عندما كنت أكتب تاريخ الحرب بهرنى التواتر الذى كررت فيه وأعيدت « شروط الضباب » عند انطلاق عدد من الهجمات المكللة بالنجاح · وقد دفعتنى هذه الملاحظة الى تحليل كل الهجمات التى شنت فى الجبهة الغربية أثناء الحرب ، وقد بات من الطبيعى أن الضباب ـ الذى يتيح غطاء الظلام للقطعات المنقضة ـ قد ساد تقريبا فى كل مرة يتحقق فيها اختراق عميق وسريع · وقد اكتشفت أن الضباب ألقى ستارا من العتمة على الهجوم الفرنسى قريبا من السوم صباح ١ تموز (يوليه) ١٩١٦ · وقد عاد الضباب فألقى غطاء على الهجوم الفرنسى الرائع

المنتصر فى الخريف والذى استعاد بضربتين سريعتين القسم الاكبر من الارض التى فقدها أثناء الهجوم الالمانى المتصل من شباط (فبراير) الى تموز (يوليه) • وقد عاد الضباب فالقى غطاءه على الهجوم الكبير المفاجىء فى كامبرى فى نوفمبر ١٩١٧ وكان الضباب يسدل ستاره أيضا على الاختراقات الالمانية الثلاثة لعام ١٩١٨ ولكنه كان غائبا فى الانكسارات الثلاثة لـ ٢٨ مارس (آزار) و ٩ (حزيران) و ١٥ تموز (يوليه) • وكان يخفى ساحة المعركة لصالح الانجليز فى صباح ٨ أغسطس ١٩١٨ وهرع لمد يد المساعدة للفرقة السادسة والاربعين عندما كانت تخترق خط هندندورج فى ٢٨ سبتمبر (ايلول) • هذه هى بعض الامثلة من بين أكثر الامثلة انبهارا •

وقد أوحى الى التفكير العميق بهذه الوقائع أنه بما أن الذين يخططون لهجوم مالا يستطيعون دوما أن يعرفوا اذا كان هناك ضباب طبيعى أم لا ـ وخاصة فى الصيف حيث تكون شروط أخرى هى أكثر ملاءمة للهجوم ـ فلابد من بذل جهد كبير لوضع مختلف الامكانيات لاظلام الهجوم وتعتيمه • والامكانية الاولى هى احداث ضباب صناعى بايجاد الوسائل التى تغذى وتنمى ستارا من الدخان على مقياس أكبر وأوسع والاخرى هى فى استخدام الظلام • وبعد تحقيق هذه الشروط قمت بحملة لاستغلال امكانيات هاتين الطريقتين •

ولنخفف مساوىء هاتين الطريقتين ألححت على النقاط التالية :

١ ـ التأكيد على أسلوب التدريب للعمليات الليلية •

٢ ـ التنقيب والبحث العلمى حول موضوع امكانيات احداث ضوء صناعى للقمر يتحقق متى أردنا وبالشكل الضرورى ، وبخاصة لاستثمار الخرق الاولى •

وان الحجج التى أوردها لهذا الاقتراح الاخير ستكون أكثر وضوحا لو كررت عدة فقرات من المحاضرة التى ألقيتها على ضباط القيادة الجنوبية عام ١٩٣١ وموضوعها : « مستقبل المشاة » •

ان الظلام هو الدواء المضاد الطبيعى للرشاش ويمكن أن يكون أحسن فاعلية مع الزمن من التصفيح •

ولهذا أريد أن أؤكد الحاحى على أن مصلحة الكيمياء تستطيع أن تركز جهودها لانتاج ضباب صناعى • وانا استخدم هذا التعبير لا ككلمة مرادفة ولكن لأميز بينه وبين ستار الدخان • ان ستار الدخان مفيد ولكنه محدود

الاثر • واني لأرجو أن يساعد هذا الطريق الجديد على اكتشاف امكانيات تغطية قسيمة كبرى من الارض بالضباب ، لأن قيمته ستزداد اذا فهمنا أن الوظيفة الحقيقية للمشاة هي أن تبلبل مقاومة العدو وتشوشها لا أن تسقطها •

ولهذا السبب فان الرجوع الى الهجوم الليلي ضروري بل أكثر من الضروري • ان الانعكاسات المعنوية للهجوم الليلي كافية لنشر البلبلة والارتباك وهي أهداف أبعد بكثير من الهدف المادي •

ولكن مخاطر الارتباك أقل أهمية من مخاطر المذبحة التي تحدثها الرشاشات عندما يكون حقل رميها مضاء ومن الممكن التقليل من الاخطار الاولى بواسطة التدريب وحتى عند استخدام قطعات مدربة بسرعة وعلى عجل فما علينا الا أن نقارن ثمن الهجوم ونتائجه في الاول من يوليه (تموز) ١٩١٦ مع هجوم ١٤ تموز (يوليه) لنرى ان الضياء والنور ، أمام حقول الرشاشات المعادية هو الخطر الاكبر •

هل هناك وسيلة لتوسيع المدى الطبيعي لهجوم ليلي ؟ ان هذا الاعتبار لثمين حقا لأنه في حالة ما اذا كنا لا نستطيع ذلك ، من الخطر أن نقع فريسة لعادة شن الهجمات الليلية قبل الفجر بقليل كي نبدأ استثمار الفوز في النهار • ان انتظام العادة هو أخطر شيء في الحرب « لأن من المؤكد ان الخصم سيكون مستعدا لنا عند انتظام عاداتنا » •

ربما أن الضوء مهم جدا لاستثمار فعال فاني اجد نفسي مسوقا للتأكيد على احتمال ايجاد ضوء اصطناعي كالضباب الاصطناعي • وفي هذه الحالة يمكننا شن هجوم على الوضع المعادي قبل الفجر بعدة ساعات وان نسهل عملية الاستثمار بنشر الضياء على ساحة المعركة قبل أن ينبلج النهار • واذا تحققت موجة الضياء بواسطة سلسلة من المصابيح القوية ، موجهة بالطائرة او بواسطة مصابيح كبرى ذات شدة ومدة كبيرتين موجهة من الارض او بواسطة مجموعات كبيرة من البروجكتورات الآلية لا أغامر في تحديدها (ان من الواجب على خبراء الاضاءة ايضاحها لا على خبراء المشاة الخفيفة) • ونستطيع أن نفهم أن للضوء الاصطناعي ميزة لا تقدر على ضوء النهار هي انه من الممكن السيطرة عليه • واذا وجد خصمان في غرفة سوداء فان الذي يضع يده على مفتاح النور هو الذي يتميز على الآخر بميزات لا تقدر •

وبعد ذلك بقليل جاءنى دعم هائل من طباعة التاريخ الرسمى لمعركة السوم فى يناير ١٩٣٢ · وكانت الاقرارات عن الهجوم الأولى صدمة لرئيس الاركان العامة للجيش الامبراطورى الفيلد مارشال سير جورج ميلن الذى سحب منذ عام ١٩١٥ من جبهة السوم وكان يقود قطعات فى مكيدونيا macédoine · فعين لجنة من وزارة الحرب (مؤلفة من ثمانية جنرالات برياسة السير وولتركيرك) لدراسة دروس الحرب وشروط تطبيقها فى أنظمة تعليم وتدريب الجيش · وعندما استشرت حول هذا الموضوع ورأوا أنى طلبت ان أعد بعض المذكرات عنه ، أتاح لى الحظ الفرصة كى أساعد على وضع عدد من الاستنتاجات التى تضمنها تقرير اللجنة ـ بفضل اللواء ـ بشكل خاص (السير بيرتى فيشر الذى أصبح فيما بعد قائد فرقة) · وقد أعربت الاستنتاجات الاولى عن ضرورة المفاجأة ووسائل تحقيقها وتطور الهجمات الليلية والانتقال من « الخرق » الى (الاختراق) باستخدام فن سريع للاستثمار مستخدما قوة ميكانيكية مدرعة بطيران الانقضاض ووسائط ارتباط متقدمة : التطوير الكامل للاسلكى ، تحرك القيادة الى الامام اكثر والاوامر ينبغى ان تكون اقل تفصيلا عن ذى قبل · وهناك نقاط أخرى منها : ضرورة تطوير فن الهجوم المعاكس والهجوم الشامل المعاكس واجراء التدريب الملائم لهما وتخفيف تجهيزات الجندى وتبسيط الاجراءات الشكلية الروتينية وأسلوب اعطاء الاوامر التحريرية · وفيما يلى مقطعان من أهم مقاطع هذا التقرير :

أهمية المفاجأة

ان احدى نتائج دراستنا هى أننا تأثرنا بالاهمية البالغة للمفاجأة فى الهجوم وفى الدفاع ·

ونحن نعتبر أن أكبر درس يمكن استخلاصه من الحرب العالمية هو انه لا توجد هجمات فى الحرب الحديثة ممكنة التحقيق أو قادرة على النجاح ضد عدو متحصن الا اذا أبطلت مقاومته بالوسائل التالية :

(أ) بشكل من أشكال المفاجأة ·

(ب) أو بتفوق فى النيران قوى بشكل يحقق أثر المفاجأة ·

والاستنتاج هو أن الحركات فى الليل قد تكون غالبا الوسيلة

الوحيدة للحصول على المفاجأة التكتيكية وان الهجوم الليلى هو أكثر الطرق اقتصادا وأكثرها تهيؤا لتكلل بالنجاح التعبوى ٠

وقد بات محققا أن عدة هجمات على الجبهة الغربية يعزى انتصارها الى الضباب وذلك لنفس السبب مما أدى الى عمى الرشاشات المعادية ٠ ان المعركة الاولى فى GAZA قد خسرناها احتمالا وذلك بسبب أننا لم نستخلص العبرة من مثل هذه المناسبة ٠

لقد اتفقنا على أن يؤخذ بعين الاعتبار الاهمية الكبرى لغطاء الظلام وللعتمة وللضباب أو للضباب الاصطناعى وأن نوجه مزيدا من الانتباه فى تدريباتنا الى الامور التالية :

(أ) التنقلات ليلا على جبهات واسعة ٠

(ب) العمل فى وقت الضباب ٠

(ج) استخدام البوصلة ٠

والخلاصة فاننا نفكر ان أنظمتنا التدريبية ينبغى أن تحدد بقوة أكثر الاهمية الحيوية للمفاجأة وللتقرب غير المباشر واننا نقترح أن تضاف جملة الى نظام الخدمة فى الميدان الجزء ، ٢ ، ١٩٢٩ ، الفصل ٢٥ (٢) :

« ان القائد الذى قرر الهجوم ولم يوفق فى مفاجأة خصمه قد أضاع الفرصة الرئيسية التى يتيحها العمل الهجومى » ٠

الأهمية المتزايدة للعمليات الليلية

ان الحجارة التى تشكل العثرات فى طريق المهاجم هى رشاشات المدافع وبما أنه من الطبيعى أن قهرها لا يكون بالمسير نحوها نجد أن كثيرا من خطط الهجوم قد نست أخذ هذه الحقيقة الأولية بعين الاعتبار ٠ ويمكننا معالجة الرشاشات بثلاث طرق :

١ ــ بطردها وهذا لايتم الا ضد دفاع ضعيف أو سيىء التحصين ٠

٢ ــ بتدميرها بواسطة القنابل والرصاص والدبابات أو بواسطة الغاز ٠

٣ ــ باعمائها بواسطة الدخان والضباب أو الليل ٠

أما هجمات الليل ٠٠٠٠ فمن المريب أنها طبقت بشكل كاف فى التدريب أثناء السلم ٠٠٠٠ والهجمات الليلية تطبق اعتياديا بطريقة سيئة ٠ انها تشكل نقطة الأوج فى أية عملية ٠ وهذا هو السىء لأنه من الواجب أن تكون عادة « مقدمة » لعمليات لاحقة ٠ فاذا حصلنا على المفاجأة ونجح الهجوم فليس على القائد الا أن « يخترق » ٠

وكان هذا التقرير بمثابة خطوة واسعة الى أمام ٠ ولكن فيما بعد ، لم يبذل الا بعض القادة جهدا جديا لتطبيق توصياته عن التدريب على العمل ليلا ٠ وفى القيادة الشمالية كانت تعليمات التدريب ، لعام ١٩٣٣ ، التى كتبها الكولونيل (وفيما بعد الفيلد ماريشال ألكسندر) والتى اتخذت من هذا التقرير كتابها المفضل وفى قيادة آدرشوت مارس الجنرال (وفيما بعد الفيلد مارشال ويفل ، قائد لواء المشاة السادس التجريبى) العمليات الليلية فى تمارينه بشكل جدى ٠

وقد تحقق أوسع تدريب فى مصر من قبل قائد اللواء (جنرالا فيما بعد) السير فريدريك بيل قائد لواء القناة ٠ وعند تخطيط موسم المناورات تقرر « القتال ليلا بشكل دائم والنوم فى النهار » ٠ وكانت القطعات فى البدء على وشك أن تضيع ولذلك عودت فى فترات الهدوء والراحة على الخروج ساعة ، فى كل ليل ، الى الصحراء كى تجد طريقها ٠

وقد صرح بيل عن هذه الفترة (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) فى مذكراته وعن الحالة الذهنية العامة التى كانت تسود فيما قبلها قائلا :

كنا نعتبر أن هجوما تقوم به سرية هجوم ممكن ولكن الهجوم على مقياس واسع قد قاد فى التاريخ الى الهزيمة ٠ وكنت أفكر ان أمثال هذه الهجمات قد فشلت لأن القطعات لم تكن مدربة تدريبا جيدا على عمل ليلى ٠ ولو توافر هذا التدريب لأمكن المحافظة على الاتجاه فى الليل كالنهار مع ميزة اضافية هى التقليل الى حد كبير فى الخسائر ٠

ولقد كنت مدعوما من جوك برنيت ستيوارت الذى كان يشجعنى على تجربة كل شىء وبخاصة على عدم ايقاف أى تمرين ، أثناء الليل ، حتى ولو كانت القطعات متعبة ومنهكة وعلى الاستمرار فيها حتى الفجر لأرى ماذا أستشف بعده ٠

وقد وجدت فى مصنفاتى نسخة أرسلها الى من تعليمات التدريب التى طبعها وهى مؤثرة جدا اذ انها تحتوى على مبادىء فى قيادة المعركة الليلية

أساسية وسارية المفعول اليوم بعد ربع قرن من الزمن • فمن المفيد ان أذكرها فيما يلى :

« اننا نعتبر حتى الآن العملية الليلية على أنها مغامرة غير مضمونة العواقب فنحن نخاف أن نضيع ونخشى الارتباك والتشويش الذى سيولد على أثر هذه العملية ولسنا مهيئين للتعرض لمثل هذه المغامرة الا اذا تهيأت لها كل الظروف • والسبب فى ذلك يعود الى أننا لم نبذل كل مافى وسعنا على التدريب الليلى مع أن أصعب شىء يعترض العدو هو أن يواجه هجوما ليليا لأن كل الحسنات والمزايا الى جانب المهاجم •

وهناك بعض المبادىء ، منها أن على القطعات أن تكون مدربة بشكل صحيح ودون توقف عن العمل فى الظلام ، وعلينا ألا نخشى على أحد من أن يضل طريقه فى هذا البلد الذى تمتلىء سماؤه بالنجوم لتوجهنا ومن المضحك أن نتوقف كل عشر دقائق لنتحقق من أرقام البوصلة • ان التوقفات المستمرة فى المسير الليلى متعبة جدا وسيئة للقطعات • وعندما ندخل الوضع الدفاعى المعادى لابد لنا من عدد كبير من الجنود على الأرض وهنا يظهر الفرق الكبير بين الهجوم فى النهار والهجوم فى الليل • ينبغى أن يكون الاحتياط الموجود تحت يد القيادة مستعدا لتوضيح الموقف بواسطة ضباط ارتباط مغرزين الى الامام • وعلى القادة أن يحددوا الاهداف المتسعة للقطعات المنقضة بشكل نضمن فيه تنظيف واحتلال منطقة خاصة من الهدف وتخليصها من العدو • وعلى القادة أنفسهم أن يساهموا فى القتال• ومن الطبيعى أن الخطة السهلة هى أحسن الخطط فى الهجوم ليلا وفى كل أنواع الهجوم الا أن هذه السهولة لاتعنى أن نسير الى الامام كالمدق • كما أنه من الواجب أن يكون اللواء المدرب جيدا قادرا على اجراء مسير جانبى ليلا وفى منطقة مجهولة وأن يهاجم طيلة ساعات الظلام وأن يصل الى هدفه• وينبغى أن يحسن فن الهجمات الليلية ــ وأعنى بذلك التدريب الكامل بالممارسة ــ بشكل يصبح معه من غير الضرورى قبل أية عملية ليلية أن تعطى أية أوامر الا مايتعلق بالعملية الليلية نفسها •

ان مسير التقرب حتى لحظة التماس مع العدو هو عمل نهارى • وتتيح هذه المرحلة فرصا عدة لتطبيق كل تمارين الهجوم وخلال هذه المرحلة يتحتم على القطعات المتقدمة بل من أولى مهماتها أن تحدد أمكنة الرشاشات المعادية • ومع ذلك حينما تصد العناصر الامامية ونصبح مقابل وضع العدو الرئيسى لابد أن يدعم الهجوم بعدد من صنوف الاسلحة الاخرى أو لابد من اجرائه ليلا •

وخلال مرحلة التدريب لابد من القيام بكل الهجمات وكأنها عمليات ليلية • كما ينبغى علينا أن نبذل الجهود لخلط السرايا والفصائل وعندئذ نقوم بعملية اعادة التنظيم ابتداء من الفوضى التى تتبع كل هجوم ليلى • واعادة التنظيم بعد الفوضى عملية يمكن اجراؤها من قبل السرايا فى النهار ، وهذه هى الخطوة الاولى •

ويستطيع قادة السرايا أن يعدوا خطة ضيقة النطاق باحداث الفوضى فى تنظيم سراياهم واضعين الفصائل والحضائر فى أوضاع تكتيكية غير منظمة بشكل يصلون فيه الى وضع ينتج عن هجوم ليلى • وعندئذ وفى وقت معين يأخذون بيد قادة الفصائل هذه الاعادة ترميم ترتيب وحدات قياداتهم •

وفى كل فصيل يوجد عدد من الرجال أحسن من غيرهم كفاءة لقيادة وحداتهم فى الليل • هؤلاء الرجال ينبغى تدريبهم وتشجيعهم حتى تستغل صفاتهم الخاصة لصالح وحداتهم • وعلى هيئات الأركان ابتداء من نسق الكتائب أن يكونوا اخصائيين قادرين على توجيه وحداتهم وعلى الاتصال بقادتهم واعلامهم بدقة وفى كل لحظة عن مكان وجودهم •

وأثناء تدريب اللواء اقترح تركيز كل الطاقات وتوجيهها لتحسين العمل ليلا وانى لآمل أن نصل بهذا الاسلوب الى استحالة ضلال أية وحدة ، مهما صغرت فى الليل وأن يزول شبح الفوضى والارتباك من خيال الجميع بفضل الممارسة المستمرة لاعادة ترميم أوضاعنا واعادة تنظيم وحداتنا بعد اشتباكها فى الهجوم الليلى » •

وليس من الصعب وصف نتائج هذه الجهود التى بذلت ، فان لواء القناة فى ذلك الوقت كان يضم عددا غريبا من الجنود الذين برهنوا عن جدارتهم فى الحرب التالية • وكان أحد هؤلاء الجنود العقيد (فيما بعد الفيلد مارشال) مونتجومرى الذى كان يقود الكتيبة الملكية الاولى • كان مونتجومرى يرتاب فى البدء بنتيجة العمل الليلى ولكنه سرعان ماأصبح داعية له • وقد صرح بيل فى مذكراته وهو يصف هذه التحولات :

« حقق مونتى (مونتجومرى) الذى كان فى وقت من الاوقات معارضا للتكتيكات الليلية ، على نطاق واسع ، حقق تمريننا لمسير ليلى ، تمرين تقرب سبعة أميال فى الظلام تبعه هجوم بمجموع الفوج ضد فوج من الحرس ففاجأه وطوقه ••• وقد تساءلت فى أغلب الاحيان فيما اذا كان لايزال يذكر وهو يصمم المعركة الكبرى فى العلمين هذا الانتصار الذى لم يهدر فيه الدماء وفيما اذا كانت هذه الذكرى عالقة فى ذهنه » •

وقد أجاب ألان مورهيد ، الذى كتب تاريخ حياته ، على هذا السؤال بقوله :

« فيما يتعلق بمونتجومرى نفسه فقد كان يتعلم بسرعة • وقد أجرى تمرين هام ضـــد عدو يدافع عن الاهرامات وكان مونتى حتى ذلك الوقت يتشكك فى العمليات الليلية لأنها كانت مبلبلة ومن الممكن أن تضل التشكيلات طريقها خلالها ولكن فى الوقت الحاضر لابد من مفاجأة العدو اذا أردنا القضاء عليه • وقد لحق به تلميذه القديم فى الكلية دوكينيان ودرس الاثنان معا أول معركة رمزية فى الصحراء وانقض جنودهما على معسكر الاعداء فى الظلام ، وعلى ضوء المصابيح الملقاة فى السماء قاموا بتنظيف الموقع •

« ومن المعتقد أن مونتجومرى أو دوكينيان لم يحسا بتماس التاريخ فى تلك اللحظات اذ لم تمض عشر ســنوات حتى كان ماتعلماه فى تلك الليلة يعبىء مليونا من الرجال فى احدى المعارك الحاسمة العالمية • وكان كل هذا يجرى تقريبا بنفس الصورة وعلى مقربة من المكان نفسه وعلى أقل من ٥٠ ميلا من هذا الوادى الصحراوى » •

فعندما عاد مونتجومرى الى مصر عام ١٩٤٢ ليتسلم قيادة الجيش الثامن استغل فى عدة مناسبات العمل الليلى كطريقة أساسية للاختراق الى داخل المواقع المعادية وقد شن الانقضاض الاول فى العلمين فى ٢٣ من أكتوبر (ت١١) ١٩٤٢ وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل • ووجه بعدها ضربات متتالية تحت ستار الظلام ـ وقد صرح روميل فى مذكراته قائلا : « لقد استمرت الهجمات الليلية على أنها سمة خاصة بالانجليز » • واستخدم القتال الليلى مجددا عند خرق خط ماريت وخط وادى العكاريت وخط اينفيدافيل والخط الاخير الذى يغطى تونس فى مايو (مايس) عام ١٩٤٣ •

وقد جاء تطور ضوء القمر الصناعى كعون لعمل ليلى متأخرا فيما بعد ولم يستخدم قبل غزو النورماندى عام ١٩٤٤ • ولكنه لعب دورا هاما فى المراحل الاخيرة من الحرب • وقد دفع مونتجومرى ضريبة عالية على فاعلية ضوء القمر الاصطناعى فى برقيته الاخـيرة : « ان الاتجاه المتزايد للعمل ليلا قد سهله الى أقصى حد التفكير فى ضوء القمر الاصطناعى •

وبعد كثير من الاختبارات ومن الادلة القاطعة على فاعلية العمل الليلى يبدو من التثبيط للعزائم أن نلاحظ أن هناك انزلاقا الى الوراء قد حدث فى العشر سنوات الاخيرة •

وقد توسع هذا الانزلاق الى الخلف أيضا فى العمليات الليلية للقوى المدرعة التى برهنت عن امكانياتها بشكل مدهش عام ١٩٢٦ فى مناورات قيادة ادرشوت، وقد بذلت جهود كثيرة من قبل هوبارت لتطويرها بواسطة لواء الدبابات الاول عام ١٩٣٤ ــ ٣٦ حيث أظهر التدريب العملى وأبرز درجة من المهارة أصبحت فيه العمليات عبر كل الاراضى فى الظلام تجرى بنفس سرعة النهار ، وبالفرقة المتحركة فى مصر فيما بعد (التى أضحت الفرقة السابعة المدرعة) ٠ وكان كاونتر متحمسا جديدا ساهم كثيرا فى تطويرها عندما استلم قيادة اللواء المدرع الرابع فى خريف ١٩٣٩ ٠ وقد حقق كونتر تقدما عظيما فى فن الرمى الليلى ٠

وقد دفعت هذه الجهود نصيبا كبيرا من الجهد فى معارك شمال افريقيا وقد جنيت فائدة كبرى أيضا فى الكروسيدر بعد عام من التدريب المتواصل على العمل الليلى الذى مارسه لواء الدبابات التابع للجيش الاول تحت قيادة الجنرال واتكينز ولم يحقق الخرق الليلى فى الدودا فى ٢٦ من نوفمبر ١٩٤١ الذى قام به اللواء ٤٤ دبابات ملكية بقيادة العقيد H.C.j. YEO الارتباط مع الحامية المحاصرة فى طبرق فقط بل كان الخرق واسعا وحاسما بدفعه روMل الى التنازل عن هجومه المعاكس ٠ وكان الهجوم الليلى فى برديه فى أول يناير (كانون ثانى) ١٩٤٣ الذى قامت به القطعات نفسها حاسما وسببا فى سقوط القلعة الحصينة ٠

ولقد أضحى من الطبيعى بعد فحص تقارير العمليات المدرعة فى الحرب العالمية الثانية ان مستوى العمليات الليلية ودرجة التدريب العملى فيها قد بدأت تنحط أثناء الحرب عندما بدأ أفرادها المدربون الاصليون يتعرضون لكثير من الخسائر ٠ بالاضافة الى هذا لم يكن هناك الا قليل من الدلائل التى تشير الى بعث جديد منذ الحرب سواء فى مجال التدريب المستمر أو فى تطوير المساعدات الفنية للدبابات ٠

ان خطوة جديدة فى طريق التقدم قد أضحت من الضرورات ٠ فقد ابتدىء فى السنوات الاخيرة بملاحظة ان الشروط الجديدة للحرب فى العصر الذرى تتطلب درجة من الانتشار أعلى مما كانت عليه فى السابق ٠ وهناك جهود كثيرة قد تحققت فى تطوير فن الانتشار المراقب ٠ ولكن الحاجة ماسة أيضا وعاجلة لاستخدام الظلام استخداما سليما على مختلف أشكاله ٠

وقد برهنت التجربة فى الظلام أن أكثر الاسلحة انسجاما واعتدالا كالمشاة والمدفعية تتعرض لصعوبات كبيرة فى تقرير اتجاه وسرعة القطعات

المدرعة بشكل تستطيع فيه القوى المدرعة أن تربح كثيرا لو استغلت هذا اللباس الليلى لعملياتها . وقد زادت امكانيات العمل الليلى لهـذه القوى بفضـل الوسائط الجديدة وبخاصة الاشـعة تحت الحمراء ، والاشعاع (العينى) الذى يسهل الحركة والرمى ليلا بنفس الوقت والذى لايكشف عن نفسه ولا يمكن التشويش عليه كما يشوش على الموجات اللاسلكية . وحتى بهذه الوسائل يبقى العامل الاساسى للنجاح فى عملية ليلية هـو التدريب المتفوق الذى يشتمل على تطبيق عملى ثابت ومتزايد . ان ميزة القطعات الماهرة على القطعات غير المتحركة فى الظلام يتضاعف بل يتثلث بالمقارنة مع عمل فى وضح النهار .

ان الضرورة تلح على استعادة مثل هذا التدريب وتطويره فى قوات حلف الاطلسى لانه من الثابت أن القـوى الميكانيكية السوفيتية وبخاصـة الفرق المدرعة فى ألمانيا الشرقية والتى تشكل رأس الرمح قد تدربت فى الاعوام الاخيرة تدريبا قاسيا على ازدواج الانتشار والعمل الليلى . وفى الواقع كان ملاحظا عندما كانت تجرى تمارين قاسية ، ان الغرب يعلم قبلها بعدة أيام ان مثل هذه المناورات تجرى .

الجزء الخامس

حلول أخرى

- ١ -

ـ المقاومة السلبية ـ

منذ فترة عشرة أعوام تقريبـــا قبلت الحكومات مشـــتركة اقامة القواعد الجـــوية الامريكية فى انجلترا وفى بلدان أخرى على الجــانب الشرقى من المحيط الاطلنطى ـ كجزء من القوة المعــاكسة الرادعة الذرية ضد هجوم روسى محتمل ٠ وكان هذا القرار آنئذ مقبولا من الرأى العام ولم يثر الا بعض همسات الاحتجاج ٠ ولم يحدث أن ازداد القلق الشعبى حتى عندما جرت الانفجارات التجريبية الأولى للقنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٤ ٠ وبقى الحال على ماهو عليه حتى فى نهاية السنة نفسها عندما قبلت حكومات منظمة O.T.A.N. (منظمة حلف شمال الاطلسى) فى باريس تعزيز الأســلحة الذرية الاستراتيجية بأســلحة ذرية تكتيكية ٠ وكان تنبه الشعب والبرلمان للأخطار المرعبة المتمثلة بمثل وسائط الحماية هذه ـ بطيئا لدرجة تدعو الى الدهشة حتى كانت الأنباء المذهلة للسبوتنيك ـ القمر الصناعى الروسى ـ التى هزت شعوب الغرب الذين قبلوا وهم مخدرين سباق التسلح الذرى ٠

وازداد قلق الجمهور بسرعة منذ تلك اللحظة ، ومما زاد فى القلق الدفعة الجديدة التى أحدثها التصريح المزدوج من أن القاذفات الامريكية قد وضــعت فى حالة انذار كبير وان قاذفة قنـــابل من أصل كل ثلاثة تستطيع أن تقلع بعد خمس عشرة دقيقة من الانذار وهى تحمل القنابل الهيدروجينية فى تحليقات جوية تدريبية ٠ ثم جاءت دفعة ثالثة زادت فى القلق فى بيان أذيع وجاء فيه ان محطات تطلق القذائف الصاروخية الذرية هى فى طريق الانشاء فى أماكن متفرقة من بريطانيا ٠

وقد جردت حملة عامة عام ١٩٥٨ ضد القنبلة H تطورت واتسع نطاقها وانتشر كما تنتشر النار فى الغابات ٠ وقد اشترك فى هذه الحملة بعض الكتاب والمفكرين من بين المشاهير المعروفين الذين اندفعوا الى طليعة هذه الحملة كما انضمت اليها نسبة كبيرة من الجيل الفتى فى الجامعات وعملت لها بحماس ٠ ولم يبق أحد يستطيع الاستمرار فى تجاهل هذه

الحملة الا النعامات السياسية والعسكرية التى تفضل دفن رءوسها فى الرمال ٠

وبما أننى جهدت طيلة الوقت لأضع النقاط على الحروف حول الطابع الانتحارى للأسلحة الذرية منذ ان ابتدأت صناعتها ، وحول خطأ الحجج التى كانت تحاول أن تقنع بالثقة فى مثل هذه الأسلحة الذرية للدفاع ، استقبلت بالطبع استقبالا حارا هذا التنبه العام ازاء خطر مثل هذه السياسة الدفاعية وسيئاتها ٠ وبرغم أن الطابع الذى ارتدته الحملة المضادة للقنبلة H كان طابعا انفعاليا فهو يعبر اساسا عن الشعور المشترك ٠ ومن البديهى ، مع ذلك ، ان معظم الذين قادوا الحملة كانوا أكثر وضوحا فى الحجج التى قدموها لمنع استخدام القنبلة H فانهم لم يكونوا واضحين فى الشىء الذى يستحق أن توضع فيه الثقة مكان هذه الأسلحة ٠

ولكن السير ستيفن كنغ هول كان استثناء فى هذا المجال اذ قدم برنامجا دقيقا فى كتابه (دفاع فى العصر الذرى) ٠ والقسم الأول من هذا الكتاب عرض مدهش للحجج الخاطئة للفكر الحالى فى موضوع الدفاع ، وثغرات السياسة الدفاعية لحلف الاطلسى ٠ وهو يتدرج بعدها ليلح على ضرورة ايجاد قاعدة أخرى للدفاع تختلف عن القاعدة التى تعتمد على الاثر الرادع المعاكس للأسلحة والتى لو استخدمت لقادتنا الى الانتحار والى تدمير الجنس البشرى ٠

ولاكتشاف مثل هذه القاعدة نؤكد أن من واجبنا أن نحطم « الحاجز الفكرى » للأفكار العادية عن الحرب ووسائلها لمجابهة العدوان ؛ وقاده « تفجيره للحاجز » الى الاستنتاج بأن العنف الذى عاش كوسيلة من وسائل الدفاع باعتباره نافعا ومفيدا ينبغى أن يلغى وان يستعاض عنه « بالحرب السياسية » ــ وهى عمل يؤثر على العقول ويسيطر عليها ولا تدمر الأجسام ٠ وانطلاقا من ملاحظته الدقيقة الخاصة ومعرفته فى هذا الموضوع فى الحرب العالمية الثانية فان كينج هول من القدرة بحيث يستطيع أن يبرهن أنه لم يفهم منه الا القليل . انه يريد أن يرى تنفيذ فكرته ، وفى اعتقاده أن مثل هذه العمليات السياسية ــ السيكولوجية ــ لا ينبغى أن تسمح فقط « بحماية أفكارنا ضد أفكار العدو » ولكن أن تكون مستوحاة من الروح الهجومية ٠ وينبغى أن نعرض على الشعوب الشيوعية ميزات أسلوب حياتنا والحرية التى نتمتع بها بالمقارنة مع حريتهم ٠

وهو يرى أن أحسن سبيل لتطوير هجوم سيكولوجى بالفعل هو أن ننزع فكرة الانتقام الذرى كما نطرح أيضا جانبا كل التحضيرات ـ وعلى أى حال فان الاعمال الانتقامية لا تفتح الطريق لأى دفاع طالما أن قيمتها كهجوم مباشر شامل مشكوك فيها ٠

ويقوده هـذا التفكير الى الاستنتاج أن على انجلترا أن تأخذ المبادأة بالتخلى عن الأسلحة الذرية وان تفعل ذلك « من جانب واحد » ، اذا لم تقتدى بهـا الدول الأخرى ٠ كما ينبغى عليها ألا تكون مستعدة لترك الأمريكيين يغطونها فى هـذا المجال ٠ فاذا أهملنـا القنبلة الهيدروجينية وقطعنا صلتنا بها وجب علينا أن نقطع كل صلة بكل مايربطنا بأية صلة بها ٠ وهـذا يعنى أن نقول للأمريكان : « اما أن تتخلوا عن القنـابل الهيدروجينيـة أو ينتهى الحلف الانجلو ـ أمريـكى فى مختلف وجوهه العسكرية » ٠

ويعتبر كينج هـول أنه من المسـتحيل على الغرب أن ينشىء قوات متينة من الكفاية بحيث تقاوم الروس ، ولذا فلا مبرر أبدا للحفاظ على قواتنا بمستواها الحالى ٠

وينبغى أن يلقى بالأسلحة الذرية التكتيكية لتصبح من سقط المتاع طالما أن استخدامها « سيقود حتما الى استخدام أسلحة ذرية أهم منها » ٠ ويؤكد قناعته بأنه « بين بريطانيا العظمى المحتلة بالجيش الروسى وبين بريطانيا العظمى التى أضحت موطنا للاشعاع الذرى ، يكون الاحتمال الأول هو أقلهما ألما » ٠

وفى الوقت الذى يعتبر فيه مثل هذا الغزو غير محتمل لأنه يخالف اتجاهات السياسة السوفيتية الا أنه يعالجه بكل صراحة ٠ ولمواجهته يقترح كدفاع سياسة عدم العنف ، وفصله الأخير يشتمل على برنامج مفصل لتدريب الشعب على مثل هذه الأشكال للمقاومة ٠

وانه لمن المدهش أن رجلا مقاتلا بطبعه وبالوراثة يصبح أحد المحامين الرئيسيين عن اللاعنف فى المقاومة ٠ فهو ابن وحفيـد لأميرال وله أيضا خدمة لامعة فى البحرية ونال شهادة عليا من كلية أركان البحرية والجيش أيضا ٠

وأكثر من هـذا فقد برهنت الاحداث عن مواهبه فى التنبؤ بتطور الحرب ٠ وكانت شجاعته أيضا معـروفة ومجربة فى عدد من ساحات المعارك ٠ ولكن لن يعترف بهذا أبدا عندما يتجرأ أن يأخذ على عاتقه حجج دعاة السلام وان يغامر بالحط من منزلته لهذا السبب ٠

وبينما يمكن أن تناقش صحة اقتراحاته نجد أن الحجج التى استند اليها تمثل تحديا يستحق أخذه بعين الاعتبار ولا يمكن أن نتجاهله • ان حججه لصالح الامتناع عن سياسة العنف والقوة ذات قاعدة أخلاقية طبيعية في بلد يمتاز بفلسفة مسيحية أو انسانية وهى تمتلك منذ البدء ميزة أخلاقية تتفوق على الفلسفة التى تدعو الى سياسة الدفاع بوسائل العنف • وهى مبدئيا تدعو الى احترام كل الناس الجديرين بالاحترام فى حين تقوى بساطتها جاذبيتها ووقعها •

وميزتها الأخلاقية وجاذبيتها أقوى فى عصر نجد فيه أن الوسيلة الرئيسية للدفاع سلاح يقود الى مذبحة عامة ، ويمكن أن نبرهن أنه سلاح مميت للانسانية كلها بما فيها الاجيال القادمة •

وحتى فى المجال العملى فان سياسة عدم العنف أقوى مما نتصورها بصورة عامة • وقد تأكدت قدرتها فى كثير من الأزمنة وحصلت على انتصارات رائعة • ولكن المدافعين عنها ميالون الى نسيان واقع يقول بأن انتصاراتها الرئيسية قد حصلت عليها ضد خصوم يكون النظام الأخلاقى عندهم فى أسسه مماثلا للنظام الأخلاقى لدى الطرف الآخر • فمن المشكوك فيه أن تكون لمقاومة غير عنيفة أية قيمة ضد فاتح كان متوحشا فى الماضى أو ضد ستالين فى عصر قريب جدا • ويبدو أن الانطباع الوحيد الذى يمكن أن تحدثه مثل هذه السياسة على هتلر هى أن تثير حماسه وديناميكيته ليسحق كل ما يتصور فى ذهنه أنه ضعف جدير بالازدراء ، مع أنه كان يبدو بشكل طبيعى وهو يضايق معظم قادته الذين تربوا فى نظام أخلاقى أحسن وجههم أكثر الى مقاومة حركات المقاومة العنيفة فى البلاد المحتلة •

ولكن اذا كان تطبيق سياسة المقاومة غير العنيفة ضد حكومة من الحكومات أمر منطقى فى روحه ، من قبل طائفة دينية أو حركة سياسية ، فهو شيء آخر عندما يجب استخدام هذه السياسة من قبل شعب فى نزاع بين الدول • ولكى يكون لهذه السياسة فرصة حدية للنجاح ، فهى لا تتطلب فقط ارتباطا جماعيا عاليا وتضامنا لم يتميز به أبدا أى جيش بل تتطلب أيضا أن يبلغ الشعب هذا المستوى فى مجموعه •

انه من الممكن المحافظة على فاعلية جيش من الجيوش بوساطة قادة جبارين مستندين الى نواة ملائمة من القطاعات المدربة تدريبا عاليا والواثقة من نفسها منذ أن كانت الضربات الموجهة توجيها جيدا هى التى تملى ارادتها بشكل أساسى • ولكن فاعلية المقاومة غير العنيفة تصبح

معطلة اذا اشترك فى القتال ضد الخصم بنسبة ولو كانت ضعيفة من السكان ، نتيجه ضعف أو بسبب مصلحه او بسبب مزاج قتالى .

ان أمثال هذه الغرائز من طبعها أن تنتشر داخل أمة من الأمم أكثر من حركة مجزأة وفكرية .

وبالمقارنة فان الجيش يخضع أكثر الى عناصر قوته فى حين أن القوة غير المسلحة تخضع وتتعلق بأكثر عناصرها ضعفا .

والخلاصة فان اختيار السبب الذى اعتمد عليه كنج هول يثير شكين أساسيين حول امكانية السير به كسياسة وطنية . الأول هو أن نعرف فيما اذا كانت الأمة بمجموعها او أيه حكومه من الحكومات يمكن أن تقتنع بالسير فى هذه التجربة الثورية . والثانى هو ان نعرف اذا كان من الممكن فعلا تطبيق هذه السياسة وان تحظى بموافقة الشعب عليها فى الوقت الذى قد تخرب فيه الغرائز البشرية كالخوف والغضب والأنانية فرص نجاحها .

ويبين لنا التحليل الصعوبات الكامنة فى طريق الحل الذى يدعو الى عدم العنف أو الحل السلمى ؛ ولكننا نصطدم دوما مع المشكلة التى تبقى فى الوقت نفسه حيوية وعاجلة . فالحرب عمل جنونى فى عصر القنبلة الهيدروجينية وكل شكل من أشكال الدفاع الذى قد يجر الى حرب ذرية بكل بساطة هو من قبيل الغباء المفرط .

ولقد أضعنا عشرين ضعفا من الوقت فى بحث مشكلة الدفاع هذه . عاما بعد عام ، من الوقت الذى كرسنا ه فيما بين الحربين دون أن نصل الى المستوى المتوسط نفسه للأمن ، الذى حققناه فى الماضى ، وهكذا يبدو من الأساسى أن نكتشف طريقا يقودنا الى الأمن الذى يحقق لنا أكثر قليلا من البشرى والأمل ؛ طريقا يجلب لنا الحس السليم فى سياسة دفاعية تبدو اليوم للشعب وكأنها غباء مميت .

والخطوة الاولى تتضمن أن نفهم ان القنبلة الهيدروجينية لاتشكل هجوما مباشرا شاملا رادعا الا من أجل هجوم من نفس الطبيعة ولا يمكن استخدامها ضد كل أخطار النزاع المسلح . ومن جهة أخرى فالهجوم المباشر الشامل لغزو تقليدى على مقاس واسع هو احتمال قد يتحول حالا الى حرب ذرية لأنه بمواجهة خطر يحتمل أن يكون مميتا يحيل المدافع الى استعمال كل أسلحته الجاهزة . والمهاجم العاقل لا يرغب فى أى حال من الأحوال أن يقود نفسه وخصمه الى انتحار متبادل وهكذا نرى أن الغزو الشمولى ليس محتملا .

ان فهم هذه العوامل الأساسية يبسط كثيرا مشكلة الدفاع عن الغرب ويسمح بحلها بثمن مقبول ـ وهو أقل على كل حال من الثمن الذى ندفعه اليوم .

ان المقياس الحالى للجهد الذرى للغرب هو مبالغ فيه سواء من ناحية الحاجات أو لو نوقش بالحس السليم . ولقد صمم هذا الجهد بفكرة قديمة لا تتلاءم الآن مع الزمن لكسب الحرب . وقد حوفظ على هذا المقياس بأمل أن يكون قادرا على الغاء التحدى الذرى الروسى بوضع كل قوات القذف الصاروخية لديهم خارج المعركة . ولكن هذا الأمل اليوم ليس الا حلما فارغ المحتوى . فلكى نبلغ أهداف الهجوم المباشر الشامل الرادع الحالى يكفى بكل بساطة أن نملك عددا كافيا من القنابل الهيدروجينية ووسائل القذف لنرغم القادة السوفييت على فهم أن مدنهم الكبرى معرضة للخطر كمدننا .

والسؤال الاخير الذى يطرح هو أن نعرف فيما اذا كان على انجلترا أن تستمر فى بذل جهودها للمساهمة فى السباق الذرى . وبما أن قوتها الذرية لن تضيف الا شيئا قليلا على الهجوم المباشر الشامل الرادع الموجود حاليا فان هذه المساهمة لن تشكل مساعدة لا يمكن الاستغناء عنها وانى لأشك فى أن هذا الجهد سيضاعف من تأثير انجلترا ونفوذها فى الحلف . ان مثل هذه الاعتبارات ينبغى أن توزن مقابل اعتبارات أخرى أكثر أهمية فمادامت انجلترا مستمرة فى المحافظة على أسلحة ذرية فى سبيل الابقاء على هيبتها فاننا سنجد أن دولا أخرى تريد أن تفعل مثلها للسبب ذاته .

وكلما اتسع مثل هذا التطور كلما كان سببا فى اثارة اخطار الكارثة ، سواء بتأثير غضب عنيف أو بسبب حادث طارىء .

انه من الحكمة لانجلترا أن تمتنع عن صنع الأسلحة الذرية واذا فعلت هذا تستطيع أن تؤمن اتفاقية عامة بين الدول التى لا تملك هذه القنابل ، وبشكل فعال كى تمتنع تلك الدول أيضا عن صنعها .

- ٢ -

الحيـــاد

أى ضوء تلقيه التجربة الجديدة على امكانية شـــعب للحفاظ على حياده اذا اندلعت الحرب بين الدول الكبرى ؟

لقد أصبح من المؤكد اجماعيا أن الحياد فكرة لا تلائم هذا العصر . وتجربة الحرب العالمية الثانية تذكر كبرهان على ذلك . فالمصير الذى لاقته النرويج والدانمارك وهولنـــدا وبلجيكا من شـــأنه أن يعزز هذا التأكيد . وقد حاول كل بلد من هذه البلدان الصغيرة المحافظة على موقف حيادى دقيق .

ولكن الدانمارك والنرويج اجتيحت من قبـــل الألمان فى نيسان (ابريل) ١٩٤٠ وأصبحت هولندا وبلجيكا أيضا ضحايا هذا العدوان فى مايس (مايو) .

وفى الشهر التالى عندما كان هتلر مشغولا بانهاء احتلاله لفرنسا كان الروس يتحركون ليحتلوا الـــدول البلقانية الثلاث ــ ليتوانيا ــ ليثونيا ــ استونيا . وفى عام ١٩٤١ اجتاح الألمان يوغوسلافيا وابتلعوا هذا البلد فى أقل من أسبوع واحد . وفى عام ١٩٤٤ احتلت بلغاريا من قبل الروس . ان مثل هذهالسلسلة من الهزائم فى الحفاظ على الحياد تبرهن على أن الحياد فكرة أو أمل باطل .

وقد ننسى من جهة أخرى أن هناك بعض الاستثناءات المعروفة . فقد بقيت دول السويد وسويسرا واسبانيا خارج الحرب منذ بدئهـا حتى نهايتها كما حدث الشىء نفسه بالنسبة لجمهورية ايرلندا فى حين لم تدخل تركيا الحرب الا فى اللحظة الأخيرة الأمر الذى أتاح لها أن تطالب بمقعد فى الأمم المتحدة فى الوقت الضيق المحدد بمؤتمر يالتا من قبل الثلاثة الكبار .

والسبب فى نجاح هذه الدول فى المحافظة على حيادها أطول وقت

ممكن لم يكن بعدها الجغرافى لأنها كانت تتاخم المسالك الاستراتيجية التى كانت الحرب تنتقل على طولها ٠

فمن الناحية السوقية والاقتصادية كان من المفيد لألمانيا أن يكون لهـا حرية المرور عبر السويد نحو الشـاطىء الاطلنطى فى النرويج وأن تتحالف مع فنلندا بعد ذلك ٠

ولقد كان من السهل للجيوش الالمانية أن تدخل فرنسـا فى عام ١٩٤٠ لو أنها استطاعت أن تلتف على الطرف الشرقى لخط ماجينو بحركة عبر سويسرا ٠

وكان من الممكن أن تتاح لها الكثير من الميزات منذ عام ١٩٤٠ لو أنهـا استخدمت الممر عبر اسبانيا نحو جبـل طارق كى تكون قادرة على منع الطرف الغربى من البحر الابيض المتوسط على الحلفاء ٠

وليس أقل فائدة للألمان أيضا أن يكونوا قادرين على اجتياز تركيـا لمهاجمة المواقع البريطانية فى شرق البحر المتوسط باتجاه قناة السويس والباب الخلفى لحقول البترول الروسية فى القفقاس ٠

وكان احتلال ايرلندا يعتبر أعظم ميزة من كل هذه الميزات لألمانيا ، فلو تم لألمانيا ذلك ، لكان بوسع هتلر أن يمزق شرايين التموين البريطانية الرئيسية شريطة أن يستطيع المحافظة عليها وهو أمر بالغ الحرج ٠

ومع ذلك فلم تحدث هذه التوسعات الحقيقية المنتظرة ٠ وليس من تبديد الجهد لو فحصنا بعمق هذه الحـالات والاوضاع التى انتهكت فيها حرمة حياد بلدان صغيرة لنتوصل الى ايجاد خيط من النور يفسر لنـا : لماذا عانت هذه البلدان من الهجوم بينما بقيت بلدان أخرى سليمة لم تمس ؟٠

فبالنسبة للنرويج كان شاطئها الأطلسى ذا ميزة هـامة كبرى سوقية لألمانيا ، فهى تقوى فى الوقت نفسه حصار الغواصات وتخفف من الحصار البريطانى ٠ وهى تحمى أيضا مسالك التقرب من جناح ألمانيا ومناجم دى جاليفار التى تعتمد عليها فى فلزات الحديد ٠ وفى الوقت نفسه كانت القوى النرويجية ضعيفة وليست لديها أية خبرة فى الحرب ٠ وكانت الدانمارك أيضا موطىء قدم ضرورى لاحتلال النرويج ٠ والقوى الدانماركية أيضا كانت ضعيفة جدا وعديمة التجربة فضلا عن أنها كانت بلدا لا يمكن الدفاع عنه من الناحية الجغرافية ٠

وقد وجدت هولندا أيضا فى موضع معرض للخطر وتعانى قواتها من نقاط الضعف نفسها ٠

بل أكثر من هذا ، كان الجزء الجنوبى من هولندا يسمح بأسهل تقرب من الحدود البلجيكية ، والمرور عبر الارض البلجيكية كان الوسيلة الوحيدة للألمان ليستطيعوا الالتفاف على الجزء المحصن بقوة من الحدود الفرنسية الا اذا أتت من جهة سويسرا ٠ وهكذا فقد ارتبط كل انتهاك لبلد محايد ببلد آخر ٠

واذا انتقلنا الى الحالات الأخرى من انتهاك الحياد تبدى لنا بوضوح السبب الذى من أجله قرر ستالين ضرورة احتلال دول البلطيق اذ أنها تشكل شارعا يسمح بالوصول الى لينينجراد بالطريق البرى وبالطريق البحرى فى الوقت نفسه آملا ان يغلقه بعملية الاحتلال هذه ٠

ومن جهة أخرى عندما قرر هتلر مهاجمة روسيا أحس بضرورة حماية جناحه الجنوبى فى البلقان ٠ وقد أمل فى البدء تأمين هذه الحماية بتسوية سياسية مع يوغوسلافيا ٠ ولكن عندما قلب النظام الموالى له « بانقلاب » قرر أن يخنق هذا التهديد على جناحه فى البلقان بالقوة باحتلال سريع ليوغوسلافيا واليونان ٠ وقد نجح الهجوم بسرعة لأن يوغوسلافيا بالرغم من قواها الوفيرة عددا ، الا أنها كانت فقيرة جدا فى التجهيزات الحديثة وتعانى كثيرا من الانقسامات الداخلية ٠

وفيما يتعلق بالحالة الأخيرة ، وهى حالة بلغاريا فقد جرى احتلالها والروس فى تقدمهم عبر البلقان اذ كان الاحتلال مرحلة طبيعية فى حركتها الالتفافية السوقية وكانت أيضا ضمانة للسيطرة على هذه المنطقة ، لما بعد الحرب ٠

فما هى الاستنتاجات التى تنتج عن مثل هذا الفحص ؟ الإستنتاج الأول هو أنه فى كل حالة من هذه الحالات كانت هذه البلدان معرضة للخطر بشكل جعل الغزو سهلا ٠ والآخر هو أن غزو هذه البلدان كان ذا أهمية كبرى لنجاح المهاجم فى متابعة تحقيق هدفه السوقى (الاستراتيجى) الاساسى ٠

وبالمقارنة فان البلدان التى نجحت فى المحافظة على حيادها كانت أقل تعرضا للأخطار بفضل البحر أو الحواجز الجبلية التى كانت تحمى حدودها مع احتفاظها بقوى أكبر من قوى البلدان الأخرى نسبيا أو لأنها كانت فى وضع أحسن كى تتلقى مساعدات وتعزيزات من الخارج ٠ وفى

الوقت نفسه فان اختراق أراضيها لم يكن أمرا لا غنى عنه لتحقيق هدف المهاجم ٠

ومن هذا التحليل يظهر منطقيا الاستنتاج التالى وهو أن الحياد يبقى ممكنا عندما يكون البلد قادرا على ابداء مقاومة كافية واقناع المهاجم أن ثمن الهجوم سيكون أعلى من الربح الذى سيجنيه ٠ واذا كان هناك الكثير الذى سيربحه فسيخاطر بالطبع أكثر ولكن حتى من هذه الزاوية فهناك حد للمقامرة التى يستطيع التعرض لها اذا كان مشتبكا ضد دولة كبرى أخرى ٠

كيف تتعدل محاولات اتباع سياسة الحياد فى العصر الذرى ؟ يبدو من المحتمل أن مثل هذه السياسة ستكون أكثر قابلية للتحقيق عن ذى قبل وأقل مخاطرة نسبيا ٠ وفى الواقع تبدو أقل خطرا من وضع البلدان الصغيرة المساهمة فى جهاز الدفاع عن احدى الدول الذرية الكبرى ٠

وفى معظم الحالات التى انتهك فيها حياد بعض البلدان ، حدث الانتهاك بعد مضى وقت على بدء الحرب عندما بدأت الدول الكبرى ، بعد الصدام الأول ، تناور للحصول على أفضلية على خصومها ٠ يستثنى من هذه القاعدة الحالات التى اعتبر فيها المهاجم الكبير أن اجتياز أراضى بلد صغير محايد يعتبر أساسيا للحصول على نصر سريع . والاحتمال الضعيف لحروب طويلة ، فى العصر الذرى ، أمر يساعد على زيادة فرص الحفاظ على الحياد ٠

أما مايتعلق باخطار الحياد فلن تكون فى أسوأ الحالات ، أسوأ من نهاية بلد صغير تسقط عليه القنابل الهيدروجينية ٠ ان البلدان الحيادية الصغيرة هى أقل تعرضا لأن تكون أهدافا من البلدان الداخلة فى أحلاف الدول الكبرى وبخاصة تلك الدول الموجودة على خط الجبهة فهى تحتل مواقع سوقية وتتبع قواعد جوية استراتيجية ٠ والحياد ليس بسلوك بطولى ولكنه بالنسبة لبلد صغير قد يكون أعقل خط يسير عليه وبخاصة فى العصر الذرى ٠

- ٣ -

منطقة عازلة

ان فكرة فصل الحلفين الكبيرين المتقابلين فى أوربا بتراجع مشترك لقواتهما وانشاء منطقة أمن بينهما اقتراح وضع فى المرتبة الأولى خلال الاعوام الاخيرة · ان مثل هذا التحرر من « الاشتباك » كما يسمونه قد أضحى حلا من الحلول التى تناقش على نطاق واسع ، فى الأزمة الحالية ، التى من الممكن أن تتطور بسهولة ويسر الى انفجار مميت للطرفين ـ وللجنس البشرى أيضا ·

ففى أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٧ اقترح وزير خارجية بولونيا المستر آدام راباكى فى الأمم المتحدة قبول مبدأ منع صنع الاسلحة الذرية وتخزينها فى شطرى ألمانيا ، الشرقية والغربية ، كما اقترح ادخال بلده الخاص ضمن اطار هذه « المنطقة الحرة » · (وعلى أثر الانتقادات الغربية الموجهة بعد عام على الأكثر ، توسع فى اقتراحه ليشمل « القوى التقليدية » ، واقترح تخفيضها فى المنطقة) ·

وفى اكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٩٥٧ أيضا تقدم المستر جورج كينان أبرز خبير أمريكى ، باقتراح أوسع وأشمل فى محاضراته التى القاها فى اذاعة لندن B.B.C. فقد صرح أن خط السير الوحيد (العاقل المشجع) الذى يستطيع تصوره يعتمد على (ايجاد فاصل جغرافى بين قوى الدول الذرية الكبرى) ـ وذلك بتراجع عام للقوى الامريكية المسلحة والانجليزية والروسية من قلب القارة ، فى حين كان يدفع البلدان الى الامتناع عن « وضع خطط دفاعها حول السلاح الذرى » ·

ولقد كانت هذه الاقتراحات كثيرة المعانى والدلالات لأنها صممت تقريبا فى الوقت نفسه ولكن بشكل مستقل ومنعزل وتحت كثير من الزوايا المختلفة · وقد كان لطباعتها ونشرها تقريبا فى آن واحد أثر كبير فى توجيه الانظار الى هذه المشكلة أكثر مما أثارته فى الماضى ·

ولكن الفكرة العامة لمنع الاشتباك واقامة منطقة عازلة قد أطلقت منذ

زمن طويل ورددها فى كثير من المناسبات زعماء من مختلف البلاد وبخاصة فى انجلترا عندما كان أولئك الزعماء يحاولون ايجاد حل لمواجهة أخطار الوضع ثم رددها المستر هيوجيتسكل منذ مدة قريبــة والمسيو أنورين بيفان والمستر دنيس هيلى من حزب العمال الذين الحوا على هذه الناحية. وكانت هذه الفــكرة تشكل جزءا هاما من الاقتراح الذى قدمه ماريشال القوة الجويه الملكيه السير جون سليسدور فى عام ١٦٥٤ . ولقد كان السير ليستر بيرسون الناطق المتنقد فىعالم الخائفين من المحامين البارزين المدافعين عن هذه الفكرة . وقد أظهر المستر ماكميلان ميلا اليها وقد حدد البيان النهائى لمحادثاته مع خروشوف فى موسكو بشكل معبر عن هذه الناحية « أنهما كانا متفقين على اجراء دراسة جديدة لامكانيات زيادة الأمن بطريقة تحد من القوى والأسلحة الذرية والتقليدية فى أماكن ملائمة فى أوربا مع خلق جهاز ملائم للتفتيش » .

وغالبا ماتحدث خروشــــوف بحرارة عن هذه الفكرة . وقد دعم اقتراح راباكى (١) بخلق منطقة حرة فى أوربا للأسلحة الذرية ، ملحا على جعل هذا الموضوع احدى نقاط المناقشة الأساسية لمؤتمر يعقد « فى القمة » .

وبينما نجد أنه من غير المحتمل أن يكون وزير الخارجية البولونية قد قدم هذا الاقتراح دون أن يكون واثقا من الدعم الروسى كذلك لايعنى هذا أن الاقتراح لم يكن الا مجرد منــاورة بسـيطة مستوحاة من الروس بقصد الحصول على مزية استراتيجية (سوقية) ،لان للبولونيين أسبابا كثيرة شخصية تدفعهم لأخذ زمام المبادرة الى مثل هذا الاقتراح . فخطوط مواصلات الجيوش الروسية فى ألمانيا الشرقية تخترق بولونيا . وهكذا نجد أن بولونيا ستكون على وجه التأكيد البلد الأول الذى قد يعانى من التدمير الذرى اذا اضــطر الروس الى الدخول الى ألمانيـــا الغربية . ولأنه ، لمقابلة التقدم الروسى لن تتردد قوى منظمة حلف شمال الأطلسى O.T.A.N. كثـيرا فى « الضرب الذرى » على عقــد المواصــلات البرية والحديدية فى بولونيا لشل المواصلات الروسية ، كترددها عندما تضطر الى تكنيس المدن الصغرى والكبرى لألمانيا ــ التى أخذت هذه المنظمة على عاتقها حمايتها . والحكومة البولونية تدرك بشكل طبيعى جدا أن بلادها قد تكون الهدف الاولى فيما لو نشبت الحرب بهذا الشكل . وهذا كله كاف ليكون الاقتراح الذى تقدموا به اقتراحا مخلصا .

---

(١) تقدمت حكومة بولونيـــا فى عام ٦٤ بمشروع جديد الى مؤتمر نزع السلاح فى جنيف وهو يقضى بتجميد الاسلحة النووية فى وسط اوربا . ــ المعرب ــ

ومما يشكل أيضا أكبر ضمانة هو أن الدول الغربية لو قبلت هذه الخطة ، فان البولونيين سيعملون كل مافى وسعهم ليتيقنوا من تنفيذه ويمنعوا كل حركة عدائية للروس فى اتجاه الغرب · وليس هناك ما يثبط العزائم أكثر من أن يرى بلد من البلدان الواقعة فى وسط هذه القوى أن مستقبل وطنه قد يكون ساحة لمعركة ذرية أو أن يكون بلده « منطقة مضروبة بالنيران » ·

وتصور مثل هذا المستقبل يولد ترددا فى قبول تمركز الأسلحة الذرية حتى ولو كانت لأهداف دفاعية محضة · وبالرغم من التيقن التام لبلدان منظمة حلف شمال الأطلسى O.T.A.N. من عدم امكانية الدفاع الذاتى بوساطة الاسلحة التقليدية بسبب التفوق العددى الهائل للروس فى القوات التقليدية ، بالرغم من هذا نجد أن شعوب هذه البلدان قد برهنت عن رغبة ضعيفة جدا فى تعزيز مباشر · ولقد اشمأز الألمان بصراحة من قبول الأسلحة الذرية للدفاع عن أنفسهم بالرغم من أنهم راضون على ما يبدو من الدعم البعيد للقوة الذرية الامريكية كأداة رادعة معاكسة · أما النرويجيون والدانماركيون فلا يريدون أبدا أن تكون لديهم قواعد أمريكية على أراضيهم خشية أن تصبح هذه القواعد أهدافا لقصف ذرى · وهكذا نجد أنه ليس من المدهش أن يقلق البولونيون ويندفعوا ليجعلوا من بلدهم « منطقة حرة » ·

ومشروع راباكى ، الذى لا يهتم عند اعلانه الا بالأسلحة الذرية ، يتوافق جيدا مع الخط الأساسى للمقترحات التى قدمها ايدن سابقا فى جنيف عام ١٩٥٥ · ويقترح ايدن فيها عقد اتفاق متبادل لانشاء منطقة للتسليح المحدود تحت اشراف الطرفين ، ورقابتهما مع وجود منطقة مجردة من السلاح بشكل كامل تجتاز وسط هذه المنطقة · وهكذا تكون قوى الطرفين مفصولة عن بعضها البعض الأمر الذى يقلل مخاطر حوادث الحدود التى من الممكن أن تتحول الى اشتباكات حادة تتسع بشكل متزايد ·

فما هى الاعتراضات الرئيسية على مثل هذا المشروع فى خلق منطقة حرة ذرية ؟

وهل تكفى هذه الاعتراضات للموازنة بينها وبين محاسن هذا المشروع من وجهة نظر الغرب ؟

ان أكثر الاعتراضات العسكرية شيوعا وترددا هو أن وجود هذه المنطقة الحرة يمنع استخدام المدفعية الذرية فورا ويمنع استخدام الاسلحة

الذرية الاخرى ذات المدى القصير تاركة القطعات الأمامية بدون دعم ضد الغزو الروسى . ولكن بما أن الروس يملكون فى الوقت الحاضر مايماثل هذه الاسلحة الذرية فمن المشكوك به أن تستفيد قوى الدفاع الغربى ، بأى شكل من الأشكال ، من حرية استخدام مثل هذه الاسلحة والمبادرة باستخدامها . بل على العكس فانها تجنى كثيرا من الربح من وجود منطقة ذرية حرة . وهذا الامر يعيق المهاجم فى جلب أسلحته الذرية ذات المدى القصير ، الدقيقة جدا ، الى الأمام بغية توجيه ضربة مفاجئة للدفاع . وهذا يقلل من اخطار حرب ذرية تشن بغتة نتيجة أى نوع من أنواع الانذار الخاطىء . وهـذا من شـأنه أن يخفف من التوتر الذى يحدثه الخوف من المفاجأة أو حماسة أى قائد محلى واندفاعه .

وهناك اعتراض عملى أكثر جدية وهى الصعوبة التى يوجدها تعريف معنى « المنطقة الحرة للأسلحة الذرية » وشروطها .

ان مثل هذه الاسلحـــة تشتمل على قسمين : القـذيفة أو القنبلة وجهاز قذفها .. اذا لم يطبق هذا التقييد الا على القذيفة أو القنبلة ، فعلينا أن نعترف بواقع مزعج هو أنه من الممكن جلب هذه « الذخيرة » الى الامام ، بصورة سرية . فاذا شمل التقييد وســائط القذف أمكن بسهولة أكثر مراقبتها والاشراف عليها . ولكن من الصعب جدا أن نميز بين الوسائط القادرة على ارسال قذيفة أو قنبلة ذرية .

ولو تم عقد اتفاق حول موضوع انشاء منطقة حرة ذرية وتعزز هذا الاتفـــاق بجهـــاز مناسب للرقابة يصبح وسيلة حســنة لاعاقة دخول واستخدام وسائط أضخم كالصواريخ وقاذفات القنابل الاستراتيجية ذات المدى البعيد بالاضافة الى أنها مرئية بحد ذاتها فانها تتطلب مواقع مهيأة للقذف معدة بدقة ومطارات كبيرة .

ولكن هناك صعوبة أكبر فى انشاء رقابة فعلية على الأسلحة الذرية ذات المدى القصير ، لأن كثيرا من « التقدم » قد تحقق فى تعبئة المتفجر الذرى فى أوعية صغيرة وفى مضـــاعفة القـوة الذرية للطرفين بالنسبة لوضع كل منهما . ان المدفعية الثقيلة من عيار طبيعى تستطيع أن تطلق قنابل ذرية ، وطائرة يمكن بالاختصار تصنيفها فى عداد المقاتلات تستطيع أن تحمل قنابل ذرية . ان مثل هذه الأسلحة المسماة ـ أسلحة ذرية تعبوية (تكتيكية) هى قادرة وكافية لتدمير المدن الموجودة ضمن مداها اذا كان تدمير هذه المدن يخدم الهدف العسكرى ـ دفاعا كان أم هجوما .

ان هذه الوقائع المزعجة تفسر ضرورة وجود تحديد أوسع وأشمل مما قدمه مشروع راباكى الأولى • ولو امتد هذا المشروع وتوسع وحد من حجم القوى التقليدية فى المنطقة وتسليحها الذى يقال عنه انه تقليدى لكان هناك ضمانة أفضل للسلم وللأمن •

وقد يكون من المستحسن أيضا توسيع هذه المنطقة المتوسطة للأسلحة المحدودة لزيادة الفصل الجغرافى بين العملاقين الذرين الولايات المتحدة وروسيا •

وكلما توثق التماس فيما بينها كلما زادت خطورة الاحتكاك - احتكاك قد يسبب انفجارا قاتلا بشكل عرضى ولا ارادى •

ومن الممكن زيادة أمن العالم كله فى العصر الذرى بانشاء ما سمى بالحزام المحايد • وقد يكون من الافضل تسميته بحزام الامن الدولى وأن يحدد بشكل شامل كمنطقة استراتيجية بين الدول الكبرى السوقية (الاستراتيجية) تحققه الشعوب ، باتفاق مشترك ، يحدد حجم القوات والأسلحة وتتفق هذه الشعوب على عدم عقد أى تحالف عسكرى مع الدول الذرية •

ان المصلحة الحيوية لكل بلدان هذا الحزام هى أن يحذروا بوضوح من التدمير الذرى بصرف النظر عن ميولهم الشخصية والعاطفية نحو أى طرف من الاطراف • ومن الفائدة الحيوية بمكان كبير أن تحترم الدول الذرية الكبرى الأوضاع المستقلة لبلدان الحزام ابتداء من اللحظة التى يشكل فيها هذا الحزام أحسن ضمان لأمنهم الخاص •

ومن الممكن توسيع نطاق حزام الأمن هذا أكثر مما عبرت عنه حتى الآن • لماذا نحدده بألمانيا الغربية والشرقية وبولونيا ؟ هناك عدد كثير من الدول الأخرى التى ستكون سعيدة ان تنتمى اليه وامتداد هذا الحزام واتساعه شىء ثمين •

ومن الممكن أن نتخيل حزام أمن أوربى - آسيوى يمتد من سبتسبرج الى الهيمالايا - معانقا الدول الاسكندينافية الاربع (النرويج، السويد ، فنلندا ، الدانمرك) وست بلدان فى أوربا الوسطى (ألمانيا - بولونيا - تشيكوسلوفاكيا - النمسا - المجر - سويسرا) والدول الخمس البلقانية (يوغوسلافيا - رومانيا - ألبانيا - بلغاريا - اليونان) تركيا ودول الشرق الاوسط : ايران - أفغانستان - الباكستان - الهند - ومن الممكن توسيع هذا الحزام شرقا وادخال برمانيا وتايلاند والهند

الصينية ـ وحتى اليابان وكوريا . وفى الغرب دول اتحـاد البنيلوكس الثلاث وهناك دول أخرى تستطيع أن تقرر الانضمام اليه .

ولهذا الاقتراح كثير من الميزات وله سيئات قليلة اذا توصلنا أيضا الى خلق منطقة داخلية ذات عرض واسع بالمقـارنة مع عرض « ستار النار » الحـالى على طول الســتار الحديدى بين العملاقين المتنافسين وأسلحتهما الرابضة .

وستكون هذه الوسيلة مشجعة جدا ، بل الوسيلة الوحيدة المشجعة لنؤمن رفع ضغط روسيا السوفيتية عن الدول التابعة لها ، وسيلة أقل خطرا بكثير من الوسيلة التى تتضمن مســاعدة الثورات الداخلية أو التحريض عليها واثارتها .

ولقد عرف منذ زمن طويل أن أحسن وسيلة لايقاف تطور الحرائق فى الغابات أو للتقليل من أخطار انفجار ماهو اقامة منطقة متوسطة . وقد نكون من العقلاء حقا اذا طبقنا هذا الدرس من التجربة فى المجالات الدولية ودون تأخير . ان الوقت يلح علينا أن نعمل بسرعة فائقة ، فى العصر الذرى .

- ٤ -

قـوة دولية

ان اقتراحات انشاء قوة دولية كوسيلة مساعدة على حفظ السلام قد طرحت عدة مرات وبخاصة بعد الحرب العالمية الاولى · وفى مؤتمر نزع السلاح عام ١٩٣٢ م اقترح الفرنسيون انشاء قوة فعالة للبوليس الدولى مسلحة بأسطول من القاذفات لفرض النظام فى العالم · وبحسب هـذه المشروعات يقترح أن تتضمن هـذه القوة أحسن نماذج القـاذفات وأحسن أنواع المدفعية والدبابات .

وكان تفضـيلهم الملح لهذا النوع من القوة الدولية المهمة والتى تخضع لانضباط صارم قد تسببـبكل أسف فى تأخير تطبيق مشروعنزع السـلاح الكيفى الذى اتفقت عليه بسرعة الدول الكبرى والذى لو تم سيلغى فعليا كل الاسلحة الثقيلة التى تستطيع تدمير الدفاعات المحصنة والمدن .

واستمرت الحجة التى قدمت الى أن تسلم هتلر السلطة فى المانيا بعد عام فيما بعد وكانت توقعات نزع السلاح قد تبددت .

وبعد الحرب العالمية الثانية قدم مشروع ضخم لانشاء قوة دولية. ففى عام ١٩٤٥ قبل المنتصرون بالاتفـاق فيما بينهم جميعـا ، فى مؤتمر سان فرنسيسكو أن يكون للأمم المتحدة قواتها المسلحة الخاصة ليكون للميثاق قوته · وفى عام ١٩٤٧ تقدمت لجنة الاركان العسـكرية بتقرير يحدد المبادىء التى ستنظم على اساسها هذه القوة الدولية وكان التقرير يشتمل على احدى واربعين مادة وقد نجح اعضاء اللجنة فى أن يتفقوا مع بعضهم البعض على نطاق واسع . ومن المؤسف أنهم قبلوا تشكيل هذه القوة من مصادر وطنيـة مستقلة بدلا من تشكيلها مباشرة عن طريق مصالح الامم المتحدة ، فأخر هذا القرار تشكيل هذه القوة عندما تفاقمت الاختلافات السياسية .

ثم بعدئذ أهملت هذه الفكرة الى أن استيقظت فجأة على مقياس اكثر تواضعا ابان ازمة السويس فى عام ١٩٥٦ . وقد صوتت الجمعية

العـامة فى ٤ نوفمبر (تشرين الاول) على قرار اقترحته كندا يطلب الى الامين العام للامم المتحدة أن يضع مشروعا بقيام « قوة دولية للأمم المتحدة » للسهر على ايقـاف المنازعات ومراقبتهـا فى مصر . وقد ووفق على المشروع وشكلت القوة بسرعة مذهلة من وحدات تابعة لشـعوب صغيرة لا يهمها النزاع مبـاشرة . وفى عشرة أيام فقط وفى ال ١٥ من نوفمبر (تشرين الاول) نزلت الى البرفى بورسعيد القطعات الاولى للامم المتحدة وتحركت نحو منطقة الحدود فى سـيناء . وقد بلغ تعداد هذه القوة ستة آلاف رجل . ويمكن الاعتراف بصررة عامة عن أن قوة الانذار هذه التابعة للأمم المتحدة قد بدت ثمينة جدا من أجل الهدف الخاص الذى اقترحت تحقيقه بنفسها .

ومع ذلك وفى عام ١٩٥٨ طبقت طريقة مختلفـة ولكنهـا مطبوعة باسلوب قديم عندما دق جرس الانذار فى الشرق الاوسط ابان الحرب الاهلية فى لبنان ، فبالرغم من أن هذه الحرب فى حد ذاتها مشكلة عديمة الاهمية ، الا انها كالحشوة المتفجرة تنذر بأخطار عالمية ، فى عصر الاسلحة الذرية ، حيث تسبب حشوة بسيطة من المتفجرات لم تستخدم الاستخدام المناسب انفجارا خطيرا .

وتزودنا هذه الطريقة المتبعة ببرهان جديد عن معالم سياسة واسعة المدى الى حد ما ، تتبعها الدول الغربية فى الظروف الحالية . وكان رد الفعل الاول تجاه الاضطرابات فى لبنان هو فى ذلك السلوك العـادى والتقليدى ، فقد صرح المستر جون فوستر دالاس للرأى العـام قائلا : عندما تطلب الحكومة اللبنانية مساعدة عسكرية للقضاء على التمرد وايقاف تدخـل ناصر « سنكون مستعدين لتلبية رغبتها » وقد أنذر الاسطول السادس الامريكى وتوجه نحـو « المسرح » وتهيأ للتدخل بعد أن تعزز وتقوى ، وأرسلت الحكومة البريطانية بطريق الجو نجدات من المظليين ، الى قبرص ، لتكون بمتناول اليد ولنفس الهدف (١) ولكن ظل التدخل المسلح للقوى الغربية تمخض عن شعور باحتمال تدخل معاكس من روسيا السوفيتية ـ مبشرا باحتمال مخيف لانفجار كبير . وقد فعل توقع مثل هذا الخطر فعل الايقاف فى كلا الاتجـاهين . وانتشر الذعر والقلق فى عواصم العـالم مسببا التردد فى نفس المنـاطق التى صدقت على عملية

---

(١) من هنا تظهر أهمية المعركة التى شنها الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٢ فبراير عام ١٩٦٤ لتطهير المنطقة من القواعد العسكرية وبخاصة قبرص وقواعد ليبيا .

ـ المعرب ـ

العنف • ثم تحدث دالاس عن التدخل الامريكى وكأنه يتحدث عن ورقة اللعب الاخيرة ، وعبر عن اقتناعه بأن « أحسن رسيلة » لمعالجة مثل هذه المشاكل هى فى عرضها على الامم المتحدة • وأثناء هذا الوقت ظهر نداء الحكومة اللبنانية التى طلبت قوة دولية من الامم المتحدة لحماية حدودها مع سوريا التى تمتد حوالى مائتى ميل تقريبا ضد تدخل القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وناصر (١) • ولكن هذا النداء لم يثر أى رد سوى ارسال بضع مئات من مراقبى الامم المتحدة • ولا يمكن تشكيل أية قوة تلائم هذا الهدف بصورة سريعة وارتجالية الا اذا استخدمت العناصر الانجليزية والامريكية • ولكن مثل هذا الحل يعتبر بصورة طبيعية فى البلدان الاخرى ستارا للتدخل للمحافظة على مصالح الانجلو أمريكيين ونفوذهم فى الشرق الاوسط •

ومن حسن الحظ أن الازمة قد انفجرت بسببين : الحل الوسط الذى توصلت اليه كل الاطراف وبمناورة تشتيت • أما الحل الوسط فكان باستبدال حكومة الرئيس شمعون فى لبنان ، بعد الاتفاق الذى تم بحكومة أخرى مقبولة أكثر من الشعب اللبنانى •

وقد أتى التشتيت من قلب الحكومة العراقية بوساطة ثورة عسكرية بدت تهدد أمن الدول المجاورة للعراق (٢) • وقد أثار هذا الحدث طلبا عاجلا من الحكومة اللبنانية والاردنية لعون أمريكى وانجليزى • فنزل فى لبنان غداة هذا الطلب ثلاثة أفواج من الرماة البحارة الامريكيين معززين بوحدات محمولة جوا من القوات البرية وأرسلت وحدات مظلات انجليزية الى الاردن • وقد نجح هذا العمل السريع وهدأت الازمة حالا • ومع ذلك

---

(١) ان الحكومة اللبنانية فى ذلك الوقت لم تكن تمثل الشعب اللبنانى العريق فى قوميته ووطنيته والحرب الاهلية التى كان يتعرض لها لبنان الحبيب كانت بسبب السياسة الاستعمارية التى تنتهجها حكومة شمعون • وعندما نزلت القوات الامريكية فى لبنان اضطرت القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة الى الدفاع عن حدودها تجاه القوات الامريكية المتمركزة فى لبنان • ويبدو جليا واضحا أن الرئيس جمال عبد الناصر يشكل هدفا أساسيا للاستعمار فى كل مخططاته وخططه • وقد وردت عبارة المؤلف الاخيرة (وجمهورية ناصر) • — المعرب —

(٢) ان ثورة ١٤ تموز فى عام ١٩٥٨ التى قام بها الشعب العراقى وجيشه هددت ايران وتركيا والاردن أى أنها هددت بالفعل الدول السائرة فى تلك السياسة الاستعمارية فى ذلك الوقت •

— المعرب —

وجد المنفذون أنفسهم في وضع دقيق وحرج حتى ولو كان سلوكهم سلوكا حكيما (١) .

انه من الممكن حدوث مثل هذه الاوضاع في الشرق الاوسط وفي أجزاء أخرى من العالم . فهل هناك طريقة أفضل لمعالجة مثل هذه الحالات العاجلة الكثيرة المخاطر على العالم في العصر الذرى دون التعرض للاخطار المتعلقة بالتردد والتأخير .

ان هذه التوقعات المظلمة تطرح من جديد وبشكل عاجل مسألة انشاء « قوة دولية » دائمة من باب الاحتياط والوقاية . وحتى القوة العاجلة الصغيرة التابعة للامم المتحدة التى أرسلت الى سيناء بعد العدوان الثلاثى يمكن أن تكون مفيدة ومجدية ، فلو كانت هذه القوة نفسها دائمة لكان من الممكن استخدامها منذ بدء الازمة . وقيمتها لاتكمن في قوتها المقاتلة ولكن في كونها تؤلف مفرزة لاطفاء الحريق توضع بين البلدان التى قد تختلف فيما بينها . وقد تستدعى من قبل بلد من البلدان لتوضع على الحدود فيتردد الطرف الآخر أكثر في التدخل ضمن مثل هذه التشكيلات الدولية أكثر من تردده عندما يهاجم قوات جاره الخائن . فلو جندت هذه القوة مباشرة من قبل منظمة الأمم المتحدة لشكلت بسهولة قوة أكثر أهمية وحركية من قوات الطوارىء الدولية U.N.E.F. لان عدم استقلال الامم المتحدة الحالى تجاه القوات القومية من شأنه أن يمنع كل مساعدة لقطعات الأمم المهتمة بشكل وثيق بالنزاع أو يشتبه بأنها قد تميل الى احد المعسكرين .

وعلى الاكثر فان مفرزة اطفاء الحريق هذه ذات الحجم المتواضع (وليكن عشرين الفا بما فيه الاحتياط) لن تثير الا مضاعفات بسيطة أو سياسية وسيكون أمامها فرص أفضل لتكون مقبولة من الجميع اكثر من قوة مقاتلة دولية ، ذات حجم ضخم مؤلف من جيشين برى وبحرى وقوة جوية ، كالقوة التى تخيلناها في الماضى .

وقد وجدت في الماضى حالات عدة لقرعات مختلفة في جنسياتها تعمل معا ولكن فاعليتها تبدلت وتغيرت تبعا لعدد المشتركين فيها ، بينما

---

(١) لقد كان ذلك طبيعيا لأن نزولهم في لبنان أثار مشاعر اللبنانيين الوطنية لأن الجماهير العربية تشعر ، بحسها القومى العميق ، مغزى هذا الانزال الاستعمارى الذى حدث لدعم حكومة عميلة للاستعمار .

ـ المعرب ـ

تعاونت قوى شعبين غالبا بنجاح . والصعوبة تنجم دوما من ازدياد عدد المشتركين . ان التحالفات المتتابعة لمقاومة تسلط لويس الرابع عشر ونابليون قد تخاصمت فيما بينها فى كثير من المناسبات وانفجرت . وأثناء الحرب العالمية الاولى كان هناك دوما احتكاك وتصادم وبصورة خاصة فى معركة مكيدونيا عندما وجدت ست قرعات من جنسيات مختلفة متعاونة ـ فرنسيين ـ انجليز ـ ايطاليين ـ صرب ـ روس ـ يونان .

ولم يكن الوضع متشابها تماما أثناء الحرب العالمية الثانية لان القرعات الأخرى الوطنية التى اشتركت فى المعارك الاخيرة كانت صغيرة جدا اذا ما قورنت بقرعات الانجليز والامريكيين وكانت تتبع من ناحية التموين الحليفين الكبيرين . وحتى أن هذين الحليفين قد اختلفا فى كثير من الاحيان فى سياستهما وخططهما عندما كان الموضوع يتعلق بمعرفة أين وكيف ومتى تستخدم وحداتهما المتآلفة . ففى عام ١٩٤٢ الح الامريكيون على القيام بانزال سريع فى فرنسا ، واعتبر الانجليز هذا الانزال غير مجد ومحفوف بالاخطار المميتة فهدد الامريكيون بارسال قواتهم الى المحيط الباسفيكى قبل ان يتوصلوا الى حل وسط هو الانزال فى شمال افريقيا . وفى عام ١٩٤٣ حدث نزاع آخر حول موضوع الاندفاع عبر ايطاليا أو فى البلقان ثم بعد ذلك حدث نزاع آخر حول تطور الحرب فى جنوب فرنسا أو فى النمسا . وحتى بعد نجاح الانزال فى النورماندى عام ١٩٤٤ ، نشب نزاع آخر حول اتجاه التقدم نحو ألمانيا وفى عام ١٩٤٥ حول مشكلة الأعمال الهجومية فى اتجاه برلين .

ان التماس الوثيق يزيد فى غالب الاحيان من اختلاف وجهات النظر . وهناك درس آخر من التجربة فيما بين الحلفاء مشابهة للتجربة التى تحدث غالبا عندما يعيش الافراد المسنون من عائلة واحدة معا تحت سقف واحد . ان المشروعات المتعارضة والانتقادات المتبادلة كانت شيئا مألوفا عندما كانت تتقابل قوة من شعوب مختلفة جنبا الى جنب. وهناك اتجاه لانتقاد كل حليف لحليفه فى كل الانكسارات التى يتعرضون لها ومطالبة كل حليف بالقسط الاكبر من الاستحقاق فى كل نصر يتحقق لمجموعة الحلفاء .

لقد تعاون بلوخر وويلنجتون معـا (١) بشكل رائع فى هزيمـة نابليون النهـائية فى واترلو ، ولـكن المؤرخـين البريطانيين للمعركة لم يتعرضوا الاقليلا لعمل بلوخر فى حين فسرالمؤرخون البروسيون أنوصول بلوخر قد انقذ ولينجتون ببسـاطة من كارثة محققة . وعندما سقط نابليون وقبـل أن تكتب القصص بزمن طـويل ، اختلف الحلفـاء حول السياسة الواجب اتباعها ووصل الانجليز الى التفكير بالتحـالف مع فرنسا ضد حلفائها السـابقين .

وفى ابان الحرب العـالمية الاولى كانت جـريدة هيج تحتوى على انتقادات مرة للفرنسيين فى حين لم يكن القادة الفرنسيون أقل تهجما على الانجليز ، وأثناء الحرب العـالمية الثـانية كان الانجليز والفرنسـيون والبلجيكيون يتبادلون النقد والعتـاب بشأن هزيمتهم المشتركة فى عام ١٩٤٠ فى حين كان القـادة البريطانيون والامريكيون يناقشون أيضـا وبحرارة حصة كل منهم عند النصر النهائى .

ولزام أن تشتمل قوة الامم المتحدة اذا أريد لهـا أن تكون واسـعة وممثلة لكل الشعوب على قرعات من كل الشـعوب ، على قدم المساواة ، تختلف عن حالات عمليات الحلفاء . ان أقرب شىء الى موضوعنا هو الجيش الدولى الذى تألف للاهتمام بالتحدى العام للمصالح الاوربية الذى ولدته ثورة البوكس عام ١٩٠٠ فى الصين . فقـد زودت ثمـانية دول حينئـذ بالقرعات من المجندين ، فنسى الجميع الهدف المشترك حالا واتجهت كل من هذه الدول الى استخدام جنودها للحصول على ميزة لمصلحتها الخاصة فى هذا الجزء من العالم .

ولو تحقق الهيكل الذى تصورته الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، كان من المحتمل جدا تكرار كثير من هذه الاخطاء مع ارتكاب أخطاء جـديدة . وبهذا الشكل سيكون لزاما على مختلف هـذه الوحـدات الوطنية أن تحـافظ على « طابعهـا القومى » بمـا فيـه أجهزة الاشراف والانضباط الخاصة . وكان على كل منها أن تزود وحـداتها بالتعزيزات والتموين ووسائل النقل . وهذا يقود حتما الى المنافسة والنزاع عند استخدام

---

(١) بلوخر ـ قائد بروسى ـ هزمه نابليون فى لين ، آزر ويلنجنون فى واترلو وحسم المعركة لصالح الحلفاء ضد نابليون .

ويلنجتون ـ قائد انجليزى قاد القوى المتحالفة ضد فرنسا عام ١٨١٥ وسـمى بعد المعركة ـ الدوق الحديدى .

ـ المعرب ـ

الموانىء والسكك الحديدية والطرقات بين كثير من الشركاء المتساوين وبخاصة فى منطقة تندر فيها مثل هذه التسهيلات .

ان أضعف عنصر فى أية قوة من القوى هو ادارتها وطريقة تموينها وقواعدها وخطوط مواصلاتها. ففى نقاط الضعف هذه يسهل اخراجها من المعركة وتكون أكثر تعرضا لخطر العمل المعادى . وقد ازداد هذا الضعف مع التقدم الفنى . ان مختلف أنواع الاسلحة فى اية قوة من القوى يبلغ فى الوقت الحاضر العشرينات والمئات بالنسبة لانواع التجهيزات والآلاف من العناصر التى تتألف منها . ويزداد هذا التنوع والضعف فى كل قوة مؤلفة من وحدات قومية قرر رجالها الحفاظ على « طابعهم القومى » كل يطالب بغذاء مختلف لتغذية جنوده . وبعبارات مختلفة من الذخائر لتموين الاسلحة وبقطع تبديلية مختلفة وبأدوات مختلفة وكل من هذه الوحدات تعمل بأسلوب مختلف للاركان .

أن معرفة الصعوبات التى تظهر مع انشاء قوة قومية دولية يضع النقاط على الحروف حول نموذج جديد لقوة مؤلفة من جنود يجندون مباشرة للخدمة الدائمة فى الامم المتحدة ، ومن الممكن تنظيمها وتدريبها بصورة متجانسة ، كما أن من الممكن أن يكون أسلوب القيادة والارتباط والتموين موحدا ، والتجهيز والتسليح كذلك . ومن الممكن أن تتحرر هذه القوة من قيود التقاليد القومية وبامكانها أن تستعير العناصر الملائمة من الاساليب المختلفة المتبعة شأنها فى ذلك شأن « الجيوش الحديثة وبصورة خاصة كما فعلت اسرائيل (١) » .

وللسهولة والوضوح ، من المستحسن الاتفاق على مصطلحات سهلة لاستخدامها فى العمليات . وقد استخدمت هذه الطريقة فى عديد من الامبراطوريات فى الماضى ومن السهل تطبيقها فى العصر الحاضر لان الافراد الحاليين أكثر ذكاء واسرع تعليما من الذين كانوا ينتمون الى القوات الاستعمارية لمثل هذه الامبراطوريات .

---

(١) يستشهد المؤلف هنا باسرائيل باعتبار أن جيشها يتألف من عناصر مختلفة جاءت من مختلف بلدان العالم وكان لكل مجموعة من هذه العناصر تشكيلها العسكرى الخاص فى البلدان التى عاشت فيها الا انها صهرت فى الجيش فى بوتقة واحدة ، وباعتباره بريطانيا ومتأثرا بالسياسة الاستعمارية فمن المعروف عنه أنه يؤيد جيش اسرائيل فى سياسته العسكرية .

– المعرب –

واللغة الانجليزية هى اللغة التى تفرض نفسها لانها منتشرة اليوم ومستخدمة اكثر من أية لغة اخرى . وفى معظم جيوش اليوم نجد كثيرا من الضباط الذين يتحدثونها وبخاصة منهم الضباط الشبان .

ولزام أن يكون للقوة وسائط نقلها الخاصة الآلية ومراكب نقل القطعات ووسائل النقل الجوية . أما تسليح وتجهيز قوة متواضعة كهذه القوة فهو لا يشكل اية معضلة رئيسية . فعندما يتحسن الجو السياسى فيما بعد تستطيع الامم المتحدة أن تصنع الاسلحة المهمة وهذا الاسلوب هو اكثرها ضمانة .

هناك اعتراض مفرق فى المبالغة وهو ان قوة دولية كهذه قد تفتقر الى الروح التى تلهم القوة القومية . ففى معظم الجيوش المحترفة كانت الروح القومية عاملا ثانويا الى جانب الروح العسكرية التى ولدت فى التدريب والزمالة والاحساس بالمهمة . وجيش نابليون الذى كان منتصرا دائما كان فيه خليط من القوميات، وكذلك كان جيش ويلينجتون الذى هزمه فى واترلو . وهناك مثل حديث للشجاعة وقوة الاحتمال التى يمكن الحصول عليها من قوة مؤلفة من قوميات مختلفة وهو الفيلق الاجنبى الفرنسى .وان خليطا من القوميات لا يؤثر على القوة الدولية خاصة وان أفرادها لن يقاتلوا تحت علم دولة معينة وانما سيعملون تحت علم الامم المتحدة .

وتشكل القواعد مشكلة رئيسية . والحصول على امتياز باستخدام قواعد فى أرض قومية لا يكفى ، اذ انها ستكون كثيرة التعرض للتدخل . وللحصول على أمن القاعدة تحتاج الى حمايتها بمنطقة لا يمكن بسهولة مهاجمتها . ان هذه الضرورة تتطلب انشاء مناطق دولية فى مختلف أجزاء العالم . ومن المفضل أن تكون هذه المناطق فى جزر . وتكفى قاعدة دائمة واحدة على المستوى الادارى . ومن المفضل ن يكون هناك قاعدتان أو ثلاث على الأفضل للسهولة السوقية (الاستراتيجية) وتكون احدى هذه القواعد فى الشرق الادنى والأخرى فى الشرق الاقصى والاخيرة فى الاطلنطى على مسافة قريبة من أوربا .

أما فى الشرق الاوسط حيث تلح الحاجة فان قبرص مكان ملائم من الناحية الجغرافية والسوقية (الاستراتيجية) كقاعدة منطقية . ومن الممكن استبدالها برودس أو كريت . وفى الشرق الاقصى من الممكن اختيار احدى جزر الفلبين ومع ذلك هناك امكانيات أخرى . وفى الجزء الاوربى من المحيط الاطلنطى تشكل الجزر السويدية فى كوتلاند واولاند

والجزيرة الدانماركيــة فى بورنهولم وجــزر شــتلفدر أو أوركينى بعض المواضع الممكنة .

وعندما تتشكل « مفرزة الاطفاء » هــذه وتقيم وضعا أكثر ثباتا فان الطريق سيكون مرسوما لها كى تتحول الى قوة مسلحة اكثر اهمية واكثر متانة قادرة على القيام بدور (تعزيز السلم وتدعيمه) . والقوة الدولية المســلحة بدورها تفتح آفاقا جديدة لحلول ممــكنة لمشكلة مرعبــة أخرى تبدو فى الافق وهى : التطور المحتمل للاسلحة الذرية فى عدد متزايد من البلدان وازدياد أخطارها العالمية . ان أحسن فرصة للتقليل من اهمية هذا الخطر هو فى الاتفاق المشترك لاعطاء الاسلحة الذرية الى قوة دولية. وهذه الطريقة تزيد بشكل كبير من فرص التقدم فى طريق نزع السلاح الشامل . وقد يبدو هذا الامل شــفافا فى الوقت الحاضر ولكن الخطر المتزايد لتدمير متبــادل قد يكون حافزا فعــالا لمحاولة اختيــار أية حلول أخرى .

الجزء السادس

الخاتمة

- ١ -
اكثر الطرق تشجيعا نحو السلم

لقد ابتدع الرومانيون الحكمة التالية : « اذا اردت السلم فتهيأ للحرب » ولكن الحروب العدة التى خاضوها ومسلسلة الحروب التى لا تعد التى تلت عصرهم قد أظهرت أن هنـاك خطأ فى حجتهم ـ أو أنهـا كانت بسـيطة جدا ولم تكن عميقـة الأسس · اذ بعـد الحرب العـالمية الثانية أبرز كالفين كوليدج هذه الملاحظة بلهجة لاذعـة كما يلى : « لم تحظ أية أمة بجيش هام بصورة كافية ليحميها ضد هجوم فى حالة السلم أو ليؤمن لها النصر فى حالة الحرب » .

وبدراسة كل الحروب التى نشبت توصلت الى اقتراح حكمة منذ خمسـة وعشرين عاما أكثر صـحة وهى : « اذا اردت السـلم فافهم الحرب » . وقد تدعم هذا الاستنتاج بوقوع الحرب العالمية الثانية وبالنتائج التى ترتبت عنها .

ان هذه الحكمة تدل على الطريق الى السلم الذى هو أكثر تشجيعا من انشاء الخطط التى ظهرت فى غالب الاحيان وكأنها « قصـور فى اسبانيا » .

من الممكن أن تكون كل خطة سلم عديمة الجدوى وخطيرة أيضا . وهى بدون فائدة كمعظم الخطط الا اذا كانت من طبيعة مادية أساسا وتتهاوى نتيجة اهمال الطبيعة البشرية . ومما يزيد الامر سوءا هو أنه كلما كانت الآمال المعقـودة على مثل هذه الخطط آمـالا كبيرة كان من المحتمل أن يسارع تهدمها بالحرب. وليس هناك من وصفة للسلم ممكن تركيبها كتركيب الدواء الذى يعطيه الطبيب . ولكن فى الامكان وضع سلسلة من النقاط العملية والمبـادىء الاولية المسـتخرجة من جملة التجارب الانسانية فى كل الازمنة . انه من الضرورى دراسة الحرب وتعلمها ابتداء من تاريخهـا والبقاء أقوياء اذا أمكن ، والمحافظـة على برودة الدم فى كل الحالات ـ وعلى الصبر الذى ليس له حدود . وعلينا الا نغلق الباب على العـدو فى طريق مسدود بل لزام أن نساعده على انقاذ واجهته . وعلى كل منا أن يضع نفسه فى حذاء الاخر بشكل يستطيع

معه أن يرى الاشياء بعينيه . وعلى كل منا أن يتجنب الفضيلة المبالغ فيها لانه لا شيء يعمى الابصـار أكثر من ذلك . والحذر من وهمين قاتلين ضرورى : فكرة الانتصـار وفكرة أن الحـرب لا يمكن أن تكون محدودة .

وقد فسرت كل هذه النقاط بوضوح أو غموض فى كتاب من اقدم الكتب المعروفة عن مشاكل الحرب والسلم : كتاب Sun - Tsu منذ حوالى خمسمائة عام قبل المسيح . ان الحروب العديدة ومعظمها كان لا جدوى منها ، تلك الحروب التى نشبت منذ ذلك الوقت تبرهن الى اى مدى لم تتعلم الشعوب من التاريخ الا القليل . ولكن الدرس قد نقش أيضا بصورة أعمق . واليوم ومنذ تطور القنبلة الهيدروجينية فان الامل الوحيد للبقاء ، بالنسبة للطرفين ، هو فى الملاحظة الدقيقة لهذه الاركان الثمانية للسياسة . وقد يبدو غريبـا أن النصـيحة الاولى للمحافظة على السلم هى فى دراسة الحرب .

ولكن ليس هناك من دواء أحسن من دراسة الحرب ضد الاتجاه الميال الى حلول القوة والمؤمن بهذه الحلول شريطة ان تكون هذه الدراسة دراسة عميقة عمقا كافيا .

وهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من دراسة متسفيضة للحرب وحقائق التاريخ . ويبدو واضحا أن الوسيلة الوحيدة لتجنب الحرب هى فى الاحتراس من اتباع الخطوات التى عجلت فيها بالتجربة. وبالرغم من أن هذه الطريقة تبدو وكأنها طريقة سلبية الا أنها شكل من أشكال السلبية الذى يقود الى مكاسب ايجابية ، لأنها طريقة تقينا بشكل اكيد من الاساليب التى تسبب حوادث مميتة مع الاحتفاظ بالطريق حرة امام التبادل الطبيعى بين الدول الأمر الذى يشجع العلاقات السلمية .

ولكى نحدد خطر الحرب لابد من الصبر الطويل . وهذا ليس بالسهل على رجال الدولة فى الديمقراطيات الغربية وبخاصـة أولئك المتعطشون الى الحلول السريعة بمزاجهم .

وحتى عندما يفهم رجال الدولة هذه الضرورة يخضعون لضغط الناخبين الحساسين . وفى الوقت نفسـه يتعرض صبرهم الى اختبارات صعبة عندما يتعاملون مع رجال الدولة فى الشرق الذين لا يخضعون لأمثال هذا الضغط وتعودوا أن يتركوا الوقت يمر ، وقد أبدى هـذه الملاحظة بتعقل السير انتونى ايدن منذ ستة أعوام مع أنه ظهر فيما بعد

أنه قد نسي النصيحة القائلة « ان الثرثرة مفضلة دوما فى الحرب » . فمن واجب الجيل الصاعد من رجال الدولة أن يكون مدربا على اكتساب قوة احتمال لا محدودة فى الثرثرة لان الاختيار بين حلين يستطيع أن يقود بسهولة الى الانتحار فى عصر القنبلة H (الهيدروجينية) .

ومن ناحية أخرى فان التحدث عن اتفاق هو رمز لتصور المستقبل وسلوك أيضا يدعو الى التفاؤل بشكل مبالغ فيه مبالغة تحمل فى طياتها شيئا من الخطورة لأنه ليس هناك من شيء قادر على ايجاد وضع خطر او العمل على تفاقمه أكثر من صدمة يسببها مثل هذا الوهم . فالشعوب التى ترغب وتأمل بحماس كبير الاتفاق السلمى هى أكثر الشعوب قابلية لأسوأ الانعكاسات . وتكون ردود أفعالهم ردودا هجومية عندما تتحطم آمالهم وتخدع فى أى اتفاق. ويبدو أن مخطط السلم يولد احيانا شعورا بالفضيلة بسبب الحرب او يعجل بوقوعها بدلا من أن يمنعها .

ان كلمة «اتفاق» تملك معنى غير حقيقى فى انتهاء المشاكل وتهيىء كذلك الطريق الى الوهم . ودراسة التاريخ لا تشجع كثيرا الايمان بامكانية هذا الاتفاق بالرغم من انه من المرغوب فيه أن يشجع ذلك . ومن الناحية السياسية نجد ان الاتفاقات التى تقصدها الحكومات معرضة لأن تنتهك بسبب التبدل فى الحكومات أو التبدل فى المزاج الشعبى وبتطورات الصداقة ، وبتغير الشروط الاقتصادية وكذلك فى التبدلات التى تطرأ على توازن القوى . ان نوع الاتفاق الذى يأخذ شكل معاهدة موقعة وممهورة هو فى الغالب أقل الاتفاقات ثباتا لأن جموده يجعله أقل ملاءمة للتغييرات فى الشروط .

والتاريخ لا يظهر مشجعا كبيرا لاحتمال الوصول الى اتفاق حول نزع السلاح . فقد جرت محاولات متكررة للقيام بخطوات باتجاه السلام بهذا الاسلوب ولكنها كانت دون فائدة فى حين كان البحث عن الأمن فى السباق الى التسلح قاتلا للسلم أيضا ، ومشاريع نزع السلاح لم تحقق أيضا أحسن وعودها .

ويبدو أن الاقتراح بتخفيض الأسلحة هو أسهل الحلول ويقدم اكبر الفائدة لا أقلها على المستوى الاقتصادى . ولكن المقاييس العددية، تشكل ، وفى التطبيق العملى ، أصعب تقرب من المشكلة . فعندما تدخل الارقام فى الحساب ، من الصعب الحصول على اتفاق عام حول النسبة التي يقدر ان تطلبها مختلف الدول لسلامتها . اذ تميل كل دولة بصورة

طبيعية الى المبالغة بتقدير وضعها الخاص وتبالغ فى تقدير الحد الادنى من احتياجاتها الخاصة بينما لا تبرر طلب الدول الأخرى احاجتها . وهكذا نجد ان النقاش حول النسبة الملائمة للقوى الوطنية يقودنا الى مشاجرات لا تنتهى دون أن نصل الى حل نهائى .

ان مثل هذا التقرب الكمى من المشكلة يبدو اليوم ايضا وكأنه غير قابل للتطبيق ، فروسيا تتفوق فى العدد والعتاد فعلا بشكل نجد فيه ان كل تنقيص عام على قاعدة النسبية ، لن يجدى شيئا في تحسين سلامة الدول الغربية التى هى أضعف منها بكثير فى هذه المجالات . وهذا قد يقود الى تثبيت وضع الدول الغربية الحالى المتصف بالنقص . وقد تكون انعكاسات هذا العمل خطرة من الناحية السيكولوجية والمادية ايضا . **ان الشعور بعدم الأمن يعمل من أجل الحرب بينما الشعور بالأمن يعمل من اجل السلم .**

والشكل الكيفى للتسلح كالشكل المقترح فى جنيف عام ١٩٣٢ قد يشكل تقريبا اكثر فائدة من المشكلة .

أولا : لأن الغاء بعض الاساحة سيكون مقبولا اكثر من السلم العددى .

ثانيا : لأن الالغاء العام لبعض الاسلحة يقضى عندئذ على تصور نجاح أى هجوم .

فلو ألغيت الدبابات والطائرات المقنبلة فى كل مكان عام ١٩٣٢ كما اقترح فى ذلك الوقت وقبل الاقتراح مبدئيا واو انشىء جهاز للتفتيش الدولى لمنع احيائها ، لما حدثت الحرب الخاطفة المنتصرة عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، لأن هتلر مدين بانتصاراته الاولية السريعة لهذه الاسلحة الخارقة الخاصة . وبالمقارنة فان كمية القطعات لا تهم الا قليلا . ففى الواقع كان لخصوم هتلر التفوق فى هذا المجال . فلو الغيت الاساحة الحاسمة لكان من الصعب على هتلر ان يصنعها سرا وبهذه الفاعلية دون ايقافه من قبل الرقابة الدولية ، لأن قيمة الدبابات والقاذفات وفاعليتها هى فى فاعلية السدنة الذين يكتسبون الممارسة العملياتية « فى التمارين » ومن الصعب اخفاء مثل هذا التدريب بسهولة .

ولكن قيمة مثل هذا الاتفاق اليوم ، حول نزع سلاح كيفى تصبح عديمة الفائدة بسبب وجود امكانيات كبرى لاجراء التمارين العملية الضرورية فى اى مكان فى اعماق روسيا الآسيوية وبسبب تطور الاسلحة الذرية والقذائف الصاروخية كواسطة من وسائط القذف .

وقد تكون فرص التوارى عند الروس أكبر منها عند الاوربيين ، فروسيا أقدر على التوارى عن عيون جهاز التفتيش الذى جرى الاتفاق عليه . وفى هذا الاقتراح أيضا لن تكون هناك امكانيات كبرى لاكتشاف أية اختراعات جديدة مشئومة والاعلام عنها الا اذا أعطيت للطرفين حرية فى التنقل بشكل يستطيع فيه الزوار اليقظون والمحبون للاستطلاع كمراسلى الصحف مثلا ، من التحليق فوق أية منطقة بطائرة خاصة او بالطائرة الهيليكوبتر وأن يحطوا وأن يدخلوا فى اى مكان . وهذا يشكل ضمانة أفضل بكثير من أية صورة شكلية للمراقبة يمكن تخيلها فى خطة نزع السلاح .

ان الايمان بما يمكن أن يكتشفه العلم يضعف من التفاؤل بمتانة أى اتفاق حول نزع السلاح حتى ولو عقد هذا الاتفاق . ففى القرون الاولى كان ايقاع التطور بطيئا جدا ويتيح قاعدة متينة ومعقولة للحسابات العسكرية . وحتى فى ذلك الوقت كانت هناك كثير من الاخطاء لسبب بسيط هو أن الادمغة العسكرية الرسمية كانت بطيئة فى تعديل مفاهيمها . ولكن فى أيامنا هذه أحدث تطبيق العام على الحرب تسارعا متزايدا فى تطور التسليح ، الامر الذى يهدد اليوم بالغاء كل امكانية لاى حساب عسكرى .

لقد كنت أحد المحامين الاوائل عما يدعى البحث العملياتى أى تطبيق الطرق العلمية فى التحليل على دراسة الحرب . وعندما حاولت تطبيقها بنفسى بقدر استطاعتى ، توصلت أن أكون سعيدا الى حد ما بأن تنبأت بالتطورات الرئيسية التى سيطرت على الحرب العالمية الثانية بعد الحرب العالمية الاولى . أما اليوم فاشعر بنفسى مترددا جدا فى أن أحاول التنبؤ بأى شيء حول الحرب العالمية الثالثة فيما لو نشبت أكثر من التأكيد الاساسى بأنها قد تحدث البلبلة فورا . وأنا لا أحس بأية ثقة فى جهاز للبحث العملياتى ولا حتى فى أحسنها تنظيما ، فالاشياء تتطور بسرعة كبرى فى مجال التسليح بشكل اصبح فيه الحساب والحساب العلمى أيضا نوعا من العمل ليس بأفضل من عملية المضاربة .

وهكذا يبدو بوضوح عدم الاستقرار الفنى لكل قاعدة عسكرية للاتفاق على أية خطة لنزع السلاح المتبادل ، وليترك لى المجال كى أضيف أنى لا اريد أن أقلل من قيمة الربح السيكولوجى لاية محاولة تبذل لتحقيق أى اتفاق محدد فى المجال العسكرى . فكل خطوة يخطوها أحد الاطراف بهدف التقليل من التوتر ولايقاف أى عمل هجومى ، حتى

ولو كان هذا الايقاف محدودا ، هذا العمل من شأنه أن يساعد على ابعاد الحرب . ومن الضرورى أن نركب بعض المخاطر فى هذا الاتجاه نظرا لقيمتها السيكولوجية . ولكن ليس من الحكمة أن نعتمد كثيرا على هذه الخطوات بل قد يكون من الحكمة أكثر أن نعتبرها فرعية .

أن الامل الوحيد للحفاظ على السلم يكمن فى المستوى الأعلى للاستراتيجية الكبرى فبينما لا تهتم الاستراتيجية الا بربح الحرب فان للاستراتيجية الكبرى تصورات بعيدة جدا . وحتى فى وقت الحرب فانها تنظر الى السلم الذى سيليها وعليها أن تدير الحرب مع بقاء هذا الهدف بصورة دائمة أمام عينيها وليست الاستراتيجية الكبرى أقل ضرورة فى زمن السلم ، لا للمحافظة على السلم فقط ولكن لتحقيق أفضل وضع سلمى أيضا . ومن الممكن أن تأخذ اسم « الاستراتيجية » (السوقية) العليا المخصصة لايضاح المصالح الخاصة .

ويبقى رجال الدولة الرجال الذين يديرون السوقية العليا وعلى العسكريين أن يفهموا هذه السوقية باعتبارهم خداما للحكومة . فاذا كانت سياسية ـ بالمعنى الحقيقى للسياسة ـ فانها تتطلب من القادة السياسيين تفهما للحرب وبصورة خاصة للشروط التى تشن ضمن اطارها الحروب .

ومن الحكمة لرجال الدولة الغربيين الذين يعالجون هذه المعضلة الحالية ، ومن الحكمة لنا جميعا أن نتهيأ لاستمرار الصعوبات وأن نكون مستعدين لتخطيها من أن نتأمل فى اتفاق نهائى . مثل هذه الاتفاقات ليست مألوفة فى التاريخ ولكن الاوضاع تتطور . وهذا التطور الحقيقى قادر مع الزمن على حل مشكلاتنا الحالية بصورة غير مباشرة . وقد حدث هذا مرارا فى الماضى ، حتى بالنسبة للمشاكل التى تبدو غير قابلة للحل بصورة كاملة .

فخلال القرون الوسطى كان تهديد الاسلام وسواسا للدول الغربية . فمن القرن الحادى عشر حتى القرن الرابع عشر جرت سلسلة من الحروب الصليبية لم تحقق ربحا دائما . بل على العكس ساهمت الحروب الصليبية فى توحيد الاسلام وانتهت بامتداد منطقة نفوذه نحو الغرب بوثبة خطرة ، ومع ذلك انحسر المد بعد ذلك ، وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر تمزقت المسيحية وتقوضت الحضارة الغربية من جراء الحروب الدينية بين المتعصبين للكاثوليكية والبروتستانتية ، وقد أحدثت هذه الحروب خرابا متبادلا ولم تتوصل

الى أية نتيجة حاسمة ولم تنته ابدا الى اتفاق نهائى . ومع ذلك زالت المشكلة بالتدريج ، تلك المشكلة التى كانت تتبدى وكأنها لا حل لها .

وفى القرن التاسع عشر كانت نتائج التحالف الانجلو – روسى الموقع بعد الانتصار على فرنسا النابوليونية هى أن انجلترا والهند الانجليزية بقيت مدة تسعين عاما تحت تهديد حرب مع روسيا ، واليوم ومع القرن العشرين تطور الوضع ، فقد تحالفت انجلترا وروسيا من جديد مع فرنسا عدوتهم السابقة .

ولزاما علينا أن نتعلم ما علمه التاريخ لنا وهو انه لا وجود لصراع نهائى وأزلى فتخفيف التوتر ، وان اتخذ شكلا مؤقتا ، يتيح أحسن الفرص لتحسين الوضع . وهذا يعنى زوال التهديد الحالى.

وقد علمتنى دراسة الحرب انه كان من الممكن تجنب معظم الحروب وأن اشعالها كان فى معظم الاحيان بتأثير رجال الدولة الراغبين فى السلم ، الذين فقدوا اتزانهم أو صبرهم ووضعوا خصمهم فى وضع لا يستطيع أن ينسحب منه دون أن يفقد ماء وجهه . فكثير من الجهود الخرقاء بقصد استباق هجوم مشتبه به كانت السبب فى الغالب لاثارة الحرب وبشكل خاص عندما تتخذ بعض التدابير بوحى سياسى يتجاوز الامكانيات السوقية .

وهناك عديد من الامثلة الحديثة . فضمانة تشمبرلن لبولونيا فى عام ١٩٣٩ ، والانقلاب المفاجىء فى سياسة التهدئة ، كان له أثر التحريض والاغراء . فليس هناك من حاكم مطلق (ديكتاتور) ، وبخاصة من نوع هتلر ، يؤمل منه أن يتقبل مثل هذه الصفقة . وفى اللحظة نفسها نجد أن انجلترا لا تستطيع عمليا مساعدة بلد بعيد كبولونيا، مساعدة فعالة، الامر الذى يقنع هتلر بعدم جدوى هذه الضمانة ، وقد دلت المصنفات الالمانية والتى صودرت أن هتلر لم يكن ينوى الاهتمام ببولونيا فى عام ١٩٣٩ وأنه لم يقرر الهجوم عليها الا بعد أن كرر تشمبرلن العرض الذى قدمه ، عرض المساعدة الذى لا يمكن تنفيذه . وقد كان لعرض الضمانة هذا مفعول القفاز الذى يلقى به أو كالخرقة الحمراء التى يضرب بها المثل والتى تحرك أمام الثور . وهكذا فان الضمانة تؤكد بكل بساطة أن الحرب ستبدأ فى اللحظة التى لا تكون فيها الشروط ملائمة للدول الغربية .

والنرويج تشكل مثلا آخر . فنحن نعرف اليوم أن هتلر كان

شديد الحذر فى التورط فى غزو النرويج ألى اللحظة التى سمع فيها خطب تشرشل والاستعدادات الاولية التى أنذرته وأقنعته بأننا كنا على وشك احتلال هذا البلد المحايد الواقع على جناحه. فبينما كان تشرشل يذكى هذا التوسع فى الحرب كخطيئة ألمانية تسببنا فى وقوعها والتى تتيح لنا كثيرا من الميزات انقلبت ضد صالحنا وصالح حلفائنا .

وكذلك أيضا عندما صد الغزو الشيوعى لكوريا الجنوبية فى عام ١٩٥٠ ، كان الاندفاع الانتقامى الى ماوراء خط العرض ٣٨ هو الوسيلة الاكيدة لاجبار الصينيين على التدخل فى النزاع الكورى ، بعد ترددهم مدة ثلاثة أسابيع ، ولقد كان رد فعل رجال الدولة الفربيين ردا سيئا اذ اسكرهم النصر الذى حصلوا عليه فى اعادة احتلال كوريا الجنوبية فلم يبذلوا الجهد المناسب لايقاف تقدم الصينيين (١) .

لقد كان على رجال الديمقراطيات الغربية أن يتعلموا درسين أساسيين من تجاربهم المرة المتكررة منذ عام ١٩٣٩ . **أولا** : عدم محاولة الخداع بيد معروف أنها ضعيفة ، **وثانيا** : أن يفحصوا فى كل خطوة يخطونها خطتهم من وجهة نظر الخصم قبل القيام بهذه الخطوة .

فهناك رأى شائع بشكل واسع فى الغرب يقول بأنه لا امكانية للتعايش الحقيقى او الدائم مع النظم الشيوعية فى روسيا والصين ، أن هذه الاخيرة ستستمر فى استغلال الفرص وستكسب الحد الاقصى من الميزات فى كل مكان تستطيع فيه ذلك . ويستند هذا الشعور بشكل واسع على تجربة الميول الجماعية ومعرفتها . ولكن كلما كان هذا الرأى صحيحا وله ما يبرره ، كلما كان من الحيوى أن يحتفظ رجال الدولة الغربيون بأذهانهم (وهم يأخذون التدابير المضادة) بهذا الدرس الاساسى للتجربة البوليسية وهى « أن السارق لايرتكب جريمة القتل الا اذا وضع فى طريق مسدود » . وهذا ينطبق على مجموعة الشعوب كما ينطبق على أصغر شعب فيها .

وهناك درس آخر من دروس السوقية ينبغى أن يكون ركنا من

---

(١) ان هذا الرأى للمؤلف قابل للمناقشة ، اذ يذكر القراء أن سبب اعفاء الجنرال ماك آرثر من قيادته بسبب تمسكه بضرب مراكز التموين فى منشوريا وهذا العمل من شأنه أن يحول الحرب المحدودة فى كوريا الى حرب شاملة وكذلك كان الرأى العام الغربى فى عام ١٩٥٠ أى بعد انتهاء الحرب بخمس سنوات لايتقبل فكرة حرب عالمية جديدة .
ـ المعرب ـ

اركان السياسة وهى فى الفائدة التى يجنيها كل فرد اذا وضع قدميه فى حذاء خصمه وأن ينظر الى كل خطوة يخطوها ، من وجهة نظر الخصم ، قبل أن يقوم بها . فلكى نخفف من اخطار التعجيل بوقوع الحرب ، علينا أن نحاول فهم عقلية الروسى الشيوعى . وهذا لايتطلب فقط فهم منطقة الماركسى وحماسته لمبدئه وثوريته المختمرة وقوة اقناعه ولكن أن نفهم أيضا شكوكه الخفية وريبته الشديدة وجهله بالعالم الآخر وهى ميزات تشكلت من انعزال طويل ومن أسلوب الحكم. وهذا ينطبق ، مع بعض الفروق ، على الصين الشيوعية .

فاذا أخذنا بعين الاعتبار هذه التدابير العلية ونظرنا الى الوضع السوقى « من الناحية الاخرى للمرتفع » نصبح قادرين أكثر على فهم الشكل الذى يجب أن تسير عليه خطواتنا ، وما هى هذه الخطوات التى نخطوها كاجراءات لحمايتنا ، وتصبح هذه الخطوات افعالا لاكتساب منطلقات هجومية ، وان التوسع فى اقامة القواعد الامريكية فى الشرق الاوسط والشرق الاقصى ، ضمن النوايا الدفاعية ، من الطبيعى أن يبدو الطرف الآخر أنه توسع فى المنطلقات الهجومية تندفع اقرب مايمكن من المراكز الحيوية لروسيا والصين . وقد تثير كرد فعل محاولة عنيفة لصدها بتوسيع المنطقة التى يشرف عليها الشيوعيون .

ومن الطبيعى أن قادة الاتحاد السوفيتى لايريدون المغامرة فى حرب لانهم لو ارادوها لضربوا قبل أن يبدأ الغرب فى اعادة التسليح فى وقت يسهل فيه العمل اذن فان الخطر الاكبر اليوم هو أن تقول الدول الغربية شيئا أو أن تفعل ما يحتمل أن يعطى انطباعا الى الحكومة الروسية بأن الدول الغربية ستبادر بالهجوم فى أول فرصة ملائمة .

واذا اقتنعت الحكومة الروسية بأن مثل هذه الضربة ستحدث بالتأكيد ، فمن المحتمل انها لن تنتظرها.

ومن وجهة النظر هذه ، من الطبيعى أن هناك خطرا اكبر فى مضاعفة القوة الجوية السوقية الامريكية والقذائف ذات المدى الطويل ، وينطبق هذا على حلف الاطلسى فى الجهود التى يبذلها لانشاء قوات برية وجوية تكتيكية (تعبوية) للدفاع عن اوربا الغربية والجنوبية . ومن الممكن الوصول بهذه القوى الى درجة كافية من المتانة لايقاف غزو روسي ولكنها لن تكون كذلك في الهجوم على روسيا . فستكون هذه

القوى ضمن اطار الهدف منهـا ، قوى دفاعية وليست هجوميـة ، ستكون درعا أكثر من أن تكون سيفا .

ان درعا ملائما على الارض هو أفضل من الضـمانة التى تعتمد ببساطة على التهديد بالانتقام الذرى أو بالقذائف الصـاروخية . ان القنبلة الذرية ليست فردا جيدا من أفراد الشرطة أو رجلا من رجال قوة المطافىء ولا حارسا حسنا من حراس الحدود ، وليست مضمونة فى ايقاف غزو أو انفجار الا انهـا قادرة على أن تكون مميتة للطرفين بسبب آثارها النهائية .

ان احسن ضمانة من كل هذه الضـمانات هو الاحتفاظ ببرودة الاعصـاب . ان الحنق والاثارة هى الاخطار الاولى لان مثل هـذه الحركات الانفعالية ذات قدرة كبرى على اثارة انفجار قاتل . وليس هناك أكثر خطرا من الشعور التالى : (اتركونا نبدأ لان هذا كان من الممكن أن يقع). فالحرب ليست وسيلة للتخـلص من الخطر والجهـد . انها وسـيلة للدخول فى حفرة مجهولة العمق .

ومن جهة أخرى فان توترا توازى قوته التوتر الذى ساد أثنـاء العشر سنوات الاخيرة (أى من ١٩٥٠ ــ ١٩٦٠) من شأنه أن يزول اذا أبعدت الحرب اطول مدة ممكنة . وقد حدث هذا غالبا فى التاريخ لان الاوضاع تتبدل ولاتبقى ابدا بنفس حالتها السابقة .

ولكن من الخطر دائما أن يكون الانسان مندفعـا وعـديم الصبر بمحـاولته زيادة سرعة مسيره ، ان وضـعا مثقلا بالتهـديد بالحـرب لايستطيع أن يتطور الا بطريقتين . فهو من شأنه أن يتحسن بالطبع اذا تجنبنا الحرب دون تسليم ، وقد تأكد مثل هذا المنطق بالتجربة .

الفهرس

الدار القومية للطباعة والنشر